حضارة الفرس

المؤلف

د. محمد علي

إعداد

د. منى سعد المشكلط



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : حضارة الفرس

المـــــــــؤلف : د. محمد علي

رقـــم الإيداع :

الطبعة الأولى ٢٠١٦

مكتبة جزيرة الورد
القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل
ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤
Tokoboko_٥@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف].

الفرس هو اسم قديم لـــ ايران استخدم لسنة ١٩٣٥. فارس كانت موطن الامبراطورية الفارسية. والمرجح أن الفرس القدام كانو قبيلة رحالةهاجروا في زمن غير معروف عبر جبال القوقاز للهضبة الايرانية ، وفي القرن السابع قبل الميلاد اســتقروا في اقليم فارس وكان وقتها خاضــعاً للإمبراطورية الآشــورية ، وارتبط الحكام الفرس بـ الميديين الذينأنشأوا دولة قوية فى القرن السابع قبل الميلاد.

في الواقع الفرس أصــحاب حضــارة عريقة وقديمو وعندما غزاهم العرب كانواأمة متقدمة ومتحضرــة. وقد ا ستمر عطائهم الحـ ضارى بعد الفتح الإ سلامى أيـ ضاً ، وظهر منهم علماء وفلا سفه وأدباء كبار مثل ابن سينا ، و الفارابي والخوارزمي والبيروني والرازي والطوسي والكاشي والفردوسي وابن المقفع والأصــفهاني ورشــيد الدين الهمذاني وعمر الخيام وغيرهم كثيرين من عظماء و نوابغ فارس.ونظراً لأهمية هذه الحضارة بين حضارات العالم القديم فقد قدم المؤلف هذا الكتاب في شكل بانوراما من خلال نظرة عامة مختصرة لأسباب نشأتها ومظاهرها . وقد راعى أن يكون العرض مبسطاً ليتناسب مع كافة مستويات القراء .

راجياً من المولى عز وجل أن يتقبل هذا العمل خالصــاً لوجهه الكريم وأن يكون نافعاً لكل من يقرأه .ويهدي هذا المؤلف إلى أرواح شــهداء ليبيا الأبرار ، وإلى روح أبيه الطاهرة ، وإلى أبناء عمومته في ليبيا ومصر .

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [هود].

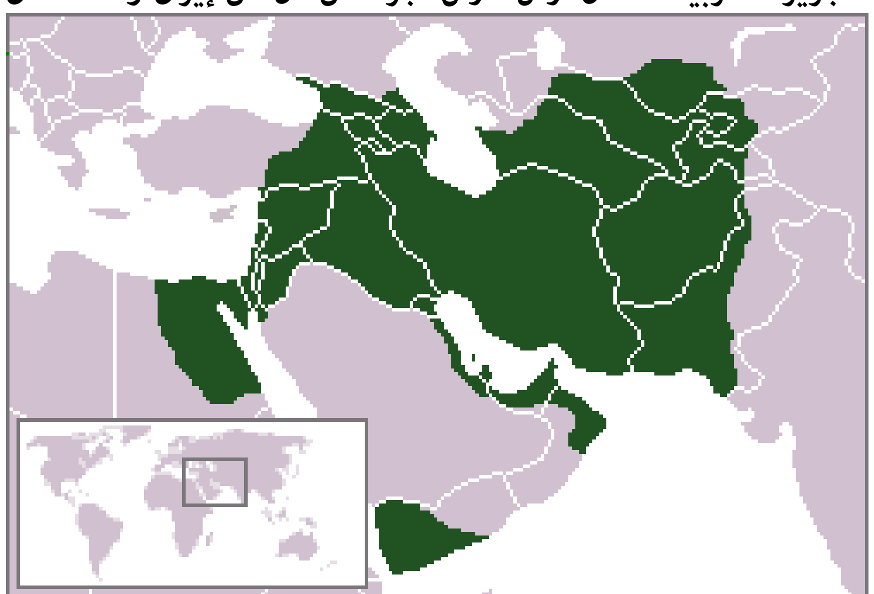
صدق الله العظيم

المُؤلف

أ. د. محمد علي

تمهيد الحضارة الفارسية

الإمبراطورية الفار سية أو فارس (بالفار سية: شاهنشاهي إيران) هو الا سم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفار سية الكردية اللتان كانتا قومية واحدة وانفصلتا عبر الزمن وإن كانت اللغتان ما زالتا متشابهتان إلى حد كبير جداً والتي تشكل اليوم إيران. تقع الإمبراطورية الفار سية شرق وشمال شبه الجزيرة العربية. تشمل أرض فارس أجزاء من كل من إيران وأفغانستان الحاليتين .



تأسست الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م. بواسطة كورش.وتعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسورية، من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي، حتى إنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في الشهرة والقوة، ولقد مرت هذه الدولة بعدة أطوار قبل البعثة وبعده.

في ظل حكم قراقوش الكبير وداريوس الأول وأحشورش وغيرهم من القواد أصبحت فارس موطناً لحضارة مزدهرة ومركزا لإمبراطورية واسعة . أطلق الفرس على المنطقة اسم أرض الآريين الذي اشتق منه اسم ايران ، ويسمي الفرس لغتهم اللغة الآرية .

كان الفرس الأوائل بدواً جاءوا إلى المنطقة من جنوبي أرض الأورال في القرن العاشر قبل الميلاد ، وصاروا – بعد تحضرهم – إداريين ومنظمين جيدين ، وقد استمرت الإمبراطورية التي أنشأوها أكثر من مائتي سنة . ابتكر الفرس أشياء مهمة في الحكم والقانون والدين ، كما ابتكروا نظاماً بريدياً استخدموا فيه تناوب الخيول السريعة. كذلك أنشأوا نظاما للري ، وحاولوا توحيد المكاييل والمقاييس .

عامل الفرس رعاياهم بطريقة أفضـــل مما فعل ســـابقوهم ، وربما أثروا في ممارســـات الحكومات المتأخرة وسـياسـاتها . لقد بنى الاسـكندر المقدوني على منجزات الفرس ليوحد إمبراطوريته ، واسـتفاد منهم العرب في بناء بعض مظاهر حضارتهم لاحقاً .

في القرن السـادس قبل الميلاد أصـبحت فارس مركزاً للإمبراطورية الأخمينية الواسـعة التي شـملت معظم العالم المعروف آنذاك . امتدت من شمال إفريقيا وجنوب شرقي أوروبا غرباً إلى الهند شرقاً ، ومن خليج عمان جنوباً إلى جنوبي تركسـتان وروسـيا شـمالاً . وفي بداية القرن الخامس قبل الميلاد غزا الفرس بلاد اليونان . إلا أن اليونانيين تمكنوا من طردهم خارج أوروبا وأوقفوا توسـع إمبراطوريتهم . اسـتطاع الإ سكندر الأكبر هزيمة الإمبراطورية الفار سية عام ٣٣١ ق.م . وبعد ذلك سيطر الفرثيون والسا سانيون الفرس على بلاد الفرس قبل أن يفتح العرب المسلمون بلادهم عام ٦٤١م



أطلال برسبوليس أشهر مدن فارس في جنوب غربي إيران كان داريوس الأول قد بنى المركز في حوالي عام ٥١٨ ق.م.

ومازالت أجزاء من قاعة اجتماعات داريوس وكذلك أجزاء من القصر باقية حتى الآن



نبذة تاريخية عن تاريخ إيران

"إيران وفارس" اسـمان اسـتعملا للدلالة على قطر واحد، ولكنهما لسـا مترادفين تماماً، فلما هاجرت الأقوام الآرية من موطنها الأصلي جنوبي بحر الآرال إلى الهضبة المرتفعة الواقعة أسفل بحر قزوين، سموا الموطن الجديد "إيران" ومعناها "موطن الآريين".

الآريون هم قبائل بدوية رُحل آسـيوية مثل: الماديين (الميديين)، البارسـيين (الفرس)، والفريتيين (الاشكانيين)، تنتمي إلى العرق الأبيض، شكلت نواة الشعوب الهندو-أوربية. هاجرت تلك القبائل على دفعات إلى الهضـبة الإيرانية التي عرفت في ما بعد باسـم إيران. بعض التقديرات تقول أنهم جاءوا من آسيا الوسطى وبعضها من منطقة بين بحر الخزروالبحر الأسود. وكان السكان الأصليين في إيران ١٥ شعباً -منهم الجيروفت والعيلاميون - يعيشون حياة مسالمة، وهم ذات حضارة عريقة.

أهم الممالك التي نشأت في بلاد فارس بعد الهجرة الآرية :

- الامبراطورية الميدية (٧٢٨ – ٥٥٠) الميدية ق.م) الميديون كانوا أحد الاقوام التي اسـتوطنت الشـمال الغربي لما يعرف الآن بإيران. واختلط بعضـهم بالشـعوب المحلية في جبال كردسـتان مكوناً الشعب الكردي. وهناك نوع من الإجماع إن الميديين لم يكونوا من الفرس، وإن كان أصل الشعبين من قبائل الآريين. حيث استقرت قبائل الفرس البدوية في الجنوب عند منطقة سموها "فارس" " بار سيس في اليونانية، معناها السائب والغازي) قرب شيراز اليوم.

- الامبراطورية الإخمينية(٦٤٨ – ٣٣٠)ق.م لا تكاد توجد أي نقوش تتكلم عن الفرس (قبلكوروش الكبير الثاني). قام كوروش باحتلال مملكة ماديا أولاً، ثم قام بالهجوم على بابلمركز حضـارة العالم القديم. ثم توسـع إلى بلاد الشـام، وكذلك إلى غرب الأناضـول إلى بحر إيجة. وتوسـع شـمالاً إلى جبال القوقاز. كما توسـع شرقاً في آسـيا الوسـطى إلى أقصى ما وصـلت إليه الحضـارة (يعتقد بوصـوله إلى حدود قرقيزسـتان)قام ابنه من بعده باحتلال مصر، ثم انشـغل أحفاده بحروب ضـد اليونان وشـعوب البحر الأسود.

- الإمبراطورية السـلوقية(٣٣٠ – ١٥٠) ق.م. بعد قضـاء الاسـكندر الأكبر على الإمبراطورية الإخمينية تم تقسـيم مملكته بين ضـباطه . حيث شـكل بعضـهم الإمبراطورية السـلوقية ذات الثقافة اليونانية.

- الإمبراطورية البارثية (٢٥٠ ق.م. ٢٢٦م) (الاشكانيين)

- الإمبراطورية الساسانية (٢٢٦ – ٦٥٠)

ويرى كذلك علماء الآثار والمستشرقون "أنهم تمتعوا بثقافة وفن واقتصاد وسياسة" حيث عاشت المنطقة بترف وازدهار إلى مجئ الفتح الإسـلامي الذي دمر العرب من خلاله الكثير من علائم الحضـارة الفارسـية الكردية . كما أن لغتهم كانت مادة لأعمال شـعرية وملحمية رائعة مثل شـاهنامة الفردوسي وأعمال الشـعراء العظام مثل جامي وسـعدي وحافظ الشـيرازيمولوى وباباطاهر همداني ونالي غيرهم كثير.

يمكننا أن نعد قيام الدولة الأخيمنية (حكم كوروش) ٥٠٠ قبل الميلاد، بداية لتاريخ الحكم الإمبراطوري، الذي يقوم على توارث الحكم في الأسرة الملكية. إن هذا النوع من الحكم الذي يقوم على الوراثة، استمر في السلالات الملكية التي تلت السلالة الاخيمنية مثل الاشكانية والساسانية.



ويمكن تقسيم تاريخ إيران القديم إلى ثلاث مراحل:

١- حقبة ما قبل التاريخ :

وتبدأ من أولى الشواهد على وجود الانسان على شبه الهضبة الإيرانية (آلاف السنوات قبل الميلاد) والتي انتهت تقريباً مع بداية الألف الأول قبل الميلاد.

٢- حقبة التاريخ البدائي :

وتغطي تقريباً النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد.

٣- حقبة الأسر الحاكمة:

(من القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد):

عندما أصبحت إيران في بؤرة ضوء التاريخ المدون. باستثناء حضارة "علام" المتمركزة بعيداً عن الهضبة الايرانية في منطقة خوزستان المنخفضة، ذلك أن التاريخ المدون بدأ هناك مبكراً كبدايته في منطقة بلاد الرافدين (حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد). حقبة ما قبل التاريخ العصر الحجري القديم: وأول شواهد هذا العصر موجودة على حفريات في جبال زكروس غرب إيران، والتي تعود إلى حوالي ١٠٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد. العصر الحجري الحديث: تشير الدلائل أن منطقة الشرق الأوسط بصفة عامة كانت إحدى أقدم المناطق في العالم القديم التي مرت بما يسمى ثورة العصر الحجري الحديث. حيث شهدت هذه الثورة نمواً في نمط الحياة الزراعية الريفية المستقرة التي تعتمد أساساً على الزراعة والرعي. وهذه الشواهد يعود تاريخها إلى الألفية الثامنة والسابعة قبل الميلاد. وفي سنة ٦٠٠٠ قبل الميلاد تقريباً انتشرت هذه الأنماط من الحياة الزراعية والرعوية في أنحاء كثيرة من الأراضي الايرانية وفي خوزستان. الألف الخامس إلى منتصف الألف السادس قبل الميلاد: هناك القليل من المعلومات عن حضارة تلك الحقبة. ويميل الباحثون إلى التركيز على حقبتي العصر الحجري الحديث والعصر البدائي، والأدلة المتناثرة على وجود تطورات ثقافية وفنية هامة في العصرين النحاسي والبرونزي الأول.

٤- أواخر الألف الثالث والألف الثاني قبل الميلاد:

تتميز بداية هذه الحقبة عموماً بعزلة ملحوظة للهضبة أكثر من التي قبلها، بينما تميز النصف الأخير منها بحالات جديدة واضحة من التمزق، فريدة في التاريخ الإيراني، مهدت الطريق لتطورات في عصر

التاريخ الدائي. ففي شمال ووسط غرب إيران تطورت الحضارات المحلية إلى حالة من العزلة النسبية نتيجة للأحداث الجارية في أماكن أخرى.

٥- حقبة ما قبل الأخمينيين ٨٠٠٠ ق م:

حث مكنت الثورة الزراعة من إقامة مستعمرات دائمة وتكوين حضارات مزدهرة. فقد أصبحت شبه الهضبة الإيرانية مهداً لواحدة من أقدم الحضارات في التاريخ.

٦- ٥٠٠٠ ق م:

تشير بعض آثار هذه الحقبة إلى تقدم صناعة النبيذ.

٧- ٣٩٠٠ ق م:

مدينة سيالك) Sialkبالقرب من كاشان)، وهي أول مدينة بُنيت على الهضبة الإيرانية.

٨- ١٥٠٠-٨٠٠ ق م:

طوائف الميديين والفرس، وهم من البدو الآريين الرحل الذين سكنوا شبه الهضبة الايرانية قادمين من آسيا الوسطى. وقد استقر الميديون في غرب إيران، وأصبحوا هم والفرس في الجنوب خاضعين، في البداية، للدولة الآشورية، ولكنهم سرعان ما استقلوا بأنفسهم ثم قهروا الدولة الآشورية.

٩- ١٠٠٠ ق م:

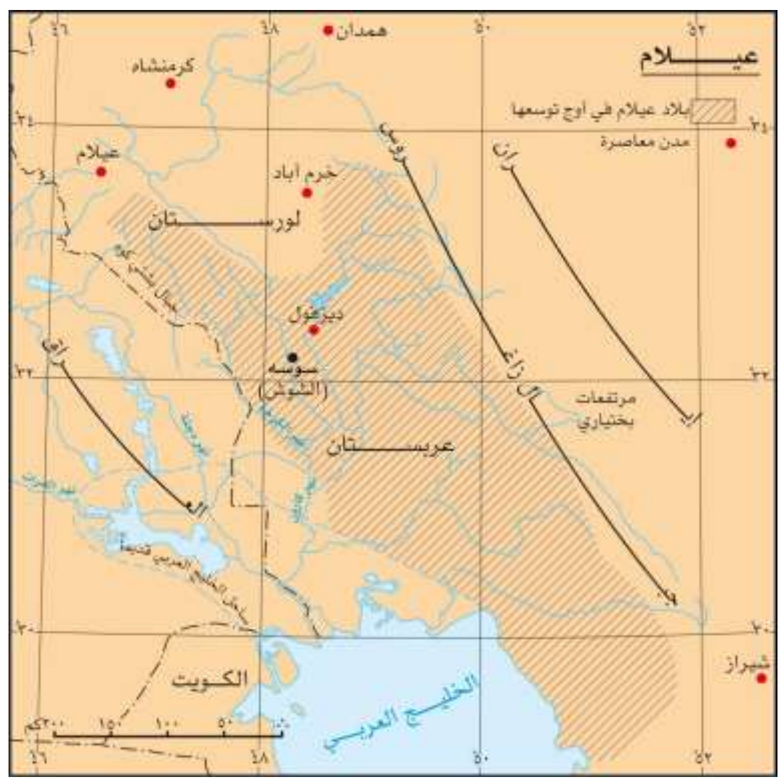
النبي الفارسي زرادشت كان أول الأنبياء الذين قالوا بوجود إلهين، واحد يمثل الخير والآخر يمثل الشر.

الحضارة المبكرة :

كانت أولى الحضارات في فارس تلك التي أقامها العيلاميون الذين ربما استوطنوا البلاد منذ حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م. وقد بدأت قبائل الميديين والفرس تنتقل داخل فارس في القرن العاشر قبل الميلاد . وأنشأ الميديون أول دولة لهم في الهضبة الفارسية في القرن الثامن قبل الميلاد ووصلوا ذروة قوتهم في أواخر القرن السابع قبل الميلاد . ثم تمكن الفرس بقيادة قورش الكبيرمن الإطاحة بالميديين في حوالي عام ٥٥٠ ق.م.

الفصل الأول
حضارة عيلام (حضارة إيلام)

هي واحدة من أول الحضـارات الواقعة في أقصى غرب وجنوب غرب ما يطلق عليه حالياً إيران في الأراضي المنخفضـــة من محافظتي إيلام وخوزســـتان وجنوب العراق. استمرت الحضارة بين عامي ٢٧٠٠ ق.م. و ٥٣٩ ق.م.



جغرافية بلاد عيلام :

تمتد المنطقة الجغرافية لبلاد عيلام القديمة إلى الشرق من جنوب بلاد الرافدين، وكانت على اتصال بها منذ العصور المبكرة، حيث كانت حدودها خاضعة للتغير المستمر حسب تغير موازين القوى السياسية القديمة في المنطقة.

ويمكن القول إن التخوم الشمالية لبلاد عيلام امتدت في أوج توسعها من كرمنشاه الحالية في الشمال ـــ الغربي إلى طريق خراسان الكبير القادم من بغداد في الشمال. وتمثل سلسلة جبال زاغروس الحدود الشمالية ــ الشرقية لبلاد عيلام، ويحدّها جنوباً الساحل الشرقي للخليج العربي، ويحدها شرقاً مرتفعات بختياري. وكانت حدودها الغربية أكثر عرضـــة للتغيير، وكان الثقل الســـياسي للدولة في العراق القديم عاملاً رئيســـاً في تحديد امتداد الرقعة الجغرافية لبلاد عيلام. وتمثل ســـهول بلاد عيلام امتداداً طبيعياً للسهل الرسوبي لبلاد الرافدين، وقد تحكم هذا الموقع الجغرافي بالمسار التاريخي للمنطقتين في مختلف العصور. وحسب المصطلحات الحديثة فإن بلاد عيلام تطابق تقريباً إقليم عربستان (خوزستان) الحالي في جنوب غربي إيران.

تشتمل منطقة عيلام على قسمين رئيسين؛ أولهما السهل الرسوبي، ويعرف تاريخياً باسم «سهل سوسيانا» أو «سهل شوشيانا» نسبة إلى العاصمة العيلامية القديمة سوسه التي تقع فيه. وثانيهما المرتفعات الجبلية الممتدة إلى الشرق من السهل الرسوبي، وتقع فيها العاصمتان القديمتان الأخريان لعيلام، وهما إنشان (قرب مدينة شيراز الحالية) وشيماشكي (قرب مدينة خرم آباد الحالية). وتبلغ مساحة منطقة عيلام نحو٤٢٠٠٠كم٢، ويتميز السهل الرئيسي فيها بأرضه الغرينية الرسوبية، ويتدرج ارتفاع هذا السهل من مستوى سطح البحر عند شواطئ الخليج العربي إلى ارتفاع ١٧٠م عند بداية هضبة لورستان في الجهة الشمالية، وفي أراضي عيلام خمسة أنهار تنبع من جبال زاغروس، تجري في سهل سوسيانا. أما موسم الأمطار فيستمر مدة ثلاثة أشهر في السنة، ويشهد معدل سقوط يراوح مابين ٤٠٠ و٨٠٠ ملم.

وإذا كانت عيلام من الناحية الجغرافية تشمل ما يعرف حالياً بعربستان ولورستان وجبال بشتي ـ كوه والبختيارية؛ فإنها من الناحية التاريخية قامت على اتحادٍ شمل مراكز عدة أبرزها العواصم القديمة الثلاث: سوسه، إنشان، وشيماشكي.

وكانت حاضرتها مدينة السوس القديمة (مدينة شوشان الحديثة) كانت فيما مضى مركز إقليم يسميه اليهود بلاد عيلام- أي الأرض العالية. في هذا الصقع الضيق الذي تحميه من غربه المستنقعات ومن شرقه الجبال الحافة بهضبة إيران العظيمة ، أنشأ شعب من الشعوب لا نعرف أصله ولا الجنس الذي ينتمي إليه إحدى المدنيات الأولى المعروفة في تاريخ العالم. وقد وجد علماء الآثار الفرنسيون في هذا الإقليم منذ جيل مضى آثاراً بشرية يرجع عهدها إلى عشرين ألف عام ، كما وجدوا شواهد تدل على قيام ثقافة راقية يرجع عهدها إلى عام ٤٥٠٠ ق.م .

ويُعرف موقع العاصمة الأولى اليوم باسم الشوش، ويعود تاريخ تأسيسها إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، وقد كانت العاصمة الرئيسة في العصر العيلامي الوسيط (١٥٠٠ـــ ١١٠٠ق.م)، لكن أهميتها تضاءلت بعد ذلك العصر. واستعادت بعض أهميتها في العصر الأخميني (في منتصف الألف الأولى قبل الميلاد) حينما أصبحت إحدى ثلاث عواصم رئيسة مع برسيبوليس وإكبتانا (همدان حالياً). وعلى الرغم من أعمال التنقيب التي قامت بها البعثة الفرنسية في موقع سوسة منذ عام ١٨٩٧م؛ لم يزل كثير من بقايا هذه المدينة غير مكتشف.

وقد أطلق العيلاميون اسم إنزان على العاصمة الثانية إنشان، ويعرف موقعها اليوم باسم تل مليان الذي قامت بالتنقيب فيه بعثة من جامعة بنسلفانيا، وذلك في عقدي الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، ودلت تلك التنقيبات على أن تاريخ هذه المدينة يعود إلى الألف الثالثة قبل الميلاد، ويعد موقعها من أكبر المواقع الآثرية في حوض نهر كور.

ولم يزل موقع العاصمة الثالثة، شيماشكي، غير معروف حتى الوقت الحاضر، ولكن معظم الباحثين يميلون إلى الاعتقاد أن موقع شيماشكي ينبغي أن يكون ضمن المنطقة الممتدة مابين موقع إنشان وبحر قزوين، وربما كان في المنطقة المحيطة بمدينة خرم آباد الحالية، ومن بين المدن العيلامية المهمة الأخرى «أوان»، التي ورد ذكرها مراراً في النصوص المسمارية، واقترن ذكرها بسلالة ملكية حاكمة مابين الأعوام ٢٥٠٠ و١٥٠٠ قبل الميلاد. ومن المرجح أن لا يبعد موقع «أوان» كثيراً عن موقع سوسة باتجاه الشمال، وربما كان قريباً من مدينة ديزفول الحالية.

وفضلاً عن هذه المراكز الرئيسة؛ حفظت النصوص المسمارية أسماء العشرات من المدن والقرى في بلاد عيلام، ولكن لم تحصل تحريات وتنقيبات آثرية كافية لتحديد مواقعها على الأرض.

ويبدو أن أهل عيلام كانوا في ذلك الوقت قد خرجوا من الحياة البدوية ، حياة صيد الحيوان والسمك ، ولكنهم كانت لهم وقتئذ أسـلحة وأدوات من النحاس ، وكانوا يزرعون الحبوب ويؤنسون الحيوان ، وكانت لهم كتابة مقدسة ووثائق تجارية ، ومرايا وحلي ، وتجارة تمتد من مصر إلى الهند. ونجد بين أدوات الظران المسواة التي ترجع بنا إلى العصر الحجري الجديد مزهريات كاملة الصنع رشيقة مستديرة عليها رسوم أنيقة من أشكال هندسية أو صور جميلة تمثل الحيوان والنبات ، تعد بعضها ما صنعه الإنسان في عهود التاريخ كله.

ولسنا نجد في تلك البلاد أقدم ما عرف من عجلات الخزاف وحسب بل نجد فيها أيضاً أقدم ما عرف من عجلات المركبات ، ذلك أنا لا نعثر مرة أخرى على هذه المركبة التي كان لها شأن متواضع ، ولكنه شأن حيوي ، في نقل المدينة من مكان إلى مكان ، إلا بعد هذا الوقت في بلاد بابل ، ثم بعد ذلك أيضا في مصر.

إنتقل العيلاميون من هذه البدايات المعقدة إلى حياة السلطان والغزو ذات الأعباء الثقال ، فإمتلكوا سومر وبابل ثم دارت عليهم الدائرة فإستولت عليهم هاتان الدولتان كلتاهما بعد الأخرى. وعاشت مدينة السوس ستة آلاف من السنين ، شهدت في خلالهما عظمة إمبراطوريات سومر ، وبابل ، ومصر ، و أشور ، و فارس، و اليونان ، و روما ؛ وظلت بإسم شو شان ، مدينة مزدهرة حتى القرن الرابع عشر الميلادي. ومرت بها في خلال تاريخها الطويل فترات مختلفة نمت فيها ثروات نمواً عظيماً. وحسبنا شاهداً على هذا و صف المؤرخين لما عثر عليه فيها آ شور بانيبال حين إ ستولى عليها ونهبها في عام ٦٤٦ ق.م من ذهب وفضة ، وحجارة كريمة ، وجواهر ملكية ، وثياب ثمينة ، وأثاث فخم ، ومركبات ساقها الفاتحون وراءهم إلى نينوي.

ذكر المؤرخون هذه المغانم كلها ولم يحاولوا الإنتقاص من شأنها أو الإستخفاف بها. وهكذا بدأ التاريخ دورته المحزنة فبدلها في وقت قصير من فنها المزدهر حرباً وخراباً .

التاريخ :

في ما يقارب ٢٧٧٦ قبل الميلاد ظهر على الساحة حضارة (أون تاش) في غرب من إيران بمحاذاة جبال زاكروس اي في شرق بلاد السومر، لم تكون ظهور هذه الحضارة محض صدفة ، بل كانت الارضية جاهزة لبناء هذه الحضارة، لأن أهل هذه الحضارة لهم صلة الدم مع الأبناء السومر ومن المحتمل انشق أبناء ملك اون تاش عن الإمارات السومرية ولهذا اطلق السومرين اسم ايلم او ايلام على جماعة الملك اون تاش .

تقع حضارة اون تاش – ايلام - في منطقة المحاذية لجبال زاغروس وكانت عاصمتهم في إوان (آوان) في البداية وبعد الفترة من الزمن انتقلت عاصمتهم إلى مدينة سوسة .

كانت هذه الدولة تتكون من عشرة عشائر وكل عشيرة كانت لها أمير وكل هذه الامارات متوحدة في ظل الملك اون تاش . هؤلاء بنوا لهم حصن أو قلعة سمية قلعة بإسم مؤسسهم ملك اون تاش أي قلعة أون تاش، ولكثرت غاراتهم على مدن سومر اطلق عليهم اسم ايلم (ايلام) والتي تعني المرعب او المرهب (الإرهاب) كلمة ايلم كلمة سومرية بالتأكيد .

أما ثقافة الايلاميين فكانت متأثرة بثقافة السومرية بالاضافة إلى بعض الخصوصيات تخص المجتمع الايلامي (تقاليد عشائر أون تاش) أي كانت لهم عدة آلهة تختلف اسمائهم اختلافاً تاماً عن الأسماء آلهة السومر فمثلاًإله الأم كانت ترمز إلى القمر عند السومر وتسمى الإله (ننه) ، أما الإلهة الام عند ايلاميين اسمها

غرورجة أو (قررجة Kiririscha) . وبالإضـــافة إلى هذه الآلهة هناك إلٰهين آخرين بهذين الاســـمين (Inschuchinn Ak) و (Hum Ban) .

علماء الآثار والمؤرخون يقولون أنهم لم يثبتوا لحد الآن أ صل الايلاميين (اونتاش) بالرغم أنهم يقولون أن الألواح الطينية والفخاريات والأدوات المنزلية والأســـلحة والأدوات الزراعية والدفاعية والتي عثرت عليهم في الحفريات بمدينة سو سة منقو شة بالنقش المنسوب لحضارة الآنو Annau التركستانية طبق الأصل أي نفس الأدوات ولا يوجد أي فرق بين الأدوات والنقوش في حضارة الآنو وحضارة الايلام وحضارة الســـومر- (الكلام لمؤرخين وعلماء الآثار)- ولا زال يقولون أنهم ليســـوا متأكدين من أصـــول الايلاميين بالرغم أن علماء الآثار والمؤرخين الترك والأذربيجانيين والاونكارون يؤكدون أن الأصـــول الســـومرية والايلامية والآنو من الأصـول الآلتائية (الالطائية) ، ودليل على ذلك هو أن الأســماء كلها أسـماء الطائية المنغولية التركية التتارية الياقوتية. ويؤكد المؤرخون أنه لم يكون أي وجود لعنصر الآري في هذه المنطقة قبل ١٩٠٠ قبل الميلاد سيدنا المسيح.



الموقع الحالي الزقورة Chogha Zanbil ، والتي توجد بالقرب من الهيكل الرئيسي



نقش بارز لامرأة لها ذيل وتحمل ثعابين



خريطة توضح مناطق الإمبراطورية العيلامية (باللون الأحمر) والمناطق المجاورة لها. يظهر تمديد العصر البرونزي التقريبي للخليج الفارسي.



امرأة تحمل مايمكن أن يكون جهاز الغزل أما مطاولة مع وعاء يحتوي على السمكة بأكملها



كوب من الفضة مرودشت، فارس، مع نقش الحقبة العيلامية. أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد - متحف الوطني إيران.



نقش بارز يمثل اسماك الماعز



وسجلت حملة آشوربانيبال ضد سوسة منتصرا في هذه الإغاثة في ٦٤٧ قبل الميلاد، تظهر فيها ارتفاع ألسنة اللهب من المدينة واطاحة جنود الآشوري مع المعاول وعتلات وهي تحمل من الغنائم.



يمثل النقش التنين المقرن يصارع مع الثعابين



حمامة من اللازورد مطعمة بالذهب من مدينة سوسه في عهد الاخمينيين

أصل العيلاميين :

يكتنف الغموض أصـــل العيلاميين - كما ذكرنا من قبل - ، ومن الصــعوبة إيجاد صـــلة لهم بالأقوام الإيرانية التي قدمت إلى المنطقة في مطلع الألف الأولى قبل الميلاد، ومنهم الميديون والفرس، ذلك أنهم

قد سبقوا تلك الأقوام بما يقرب الألفي عام. ومما يمكن قوله، في ضوء الدليل الكتابي الذي تقدمه النصوص المسمارية القديمة، إن العيلاميين كانوا يؤلفون الغالبية الواضحة من سكان الإقليم منذ نحو٢٦٠٠ قبل الميلاد على أقل تقدير.

وهناك باحثون يذهبون إلى وجود صلة للعيلاميين بالأقوام الجبلية القديمة في المناطق الممتدة إلى الشمال ـــ الشرقي من بلاد عيلام، ومن تلك الأقوام اللولوبيون والكوثيون والكاشيون. ويستند هؤلاء الباحثون في بناء رأيهم هذا على الصلة مابين اللغة العيلامية، ولغات تلك الأقوام.

يعود أصل اسم عيلام إلى اللغة الأكدية إذ أطلق الأكديون اسم «إيلامة» على هذه البلاد، ومن المرجح أن هذا الاسم مشتق من الجذر الأكدي «الُ» بمعنى علا أو صعد، وبهذا يكون معنى الاسم «الأرض العالية». وتتفق هذه الدلالة مع دلالة الاسم السومري لبلاد عيلام وهو «نِم » (NIM) الذي يعني، باللغة السومرية «المرتفع».

أما التسمية التي أطلقها العيلاميون أنفسهم على بلادهم، وجاءت في النصوص المسمارية العيلامية القديمة بصيغة «خابرتي» المتألفة من المقاطع وتلفظ أيضاً «خاروتي» أو «خافرتي»، وهنالك باحثون يميلون إلى قراءتها «خاتمتي» أو «خالتمتي».

ويُعتقد أن هذه التسمية تعني باللغة العيلامية «أرض الإله». وقد أطلقت النصوص الفارسية المتأخرة على بلاد عيلام اسم « أوفايا» أو «هوفايا» ، وهو الاسم الذي اشتق منه اسم «خوز» ثم «خوزستان» وكذلك «حويزه»، وهي الصيغ المتداولة في المصادر العربية لهذا الإقليم، وتتطابق دلالتها مع اسم «عربستان» الحالي.

***

الفنون العيلامية :

لقد كشـــفت التنقيبات الأثرية عن وجود فخار حلف (من الألف الخامســـة قبل الميلاد) في منطقة عيلام، وكذلك فخار العبيد الذي اكتشف في الطبقات السفلية من موقع مدينة سوسه، وقد عرفت عيلام صـناعة الأختام الأسـطوانية منذ الألف الثالثة قبل الميلاد، واسـتمرت في العصـور اللاحقة. ولعل أقدم المنحوتات البارزة في عيلام تعود إلى الألف الرابعة قبل الميلاد، وهي منحوتة كورنجان على واجهة جبل، إلى الجنوب من موقع مدينة إذشان، وتطور فيها فن النحت المجسم ونحت المسلات التي أظهرت تأثراً بحضارة بلاد الرافدين القديمة.



لقى من عيلام كشفت في مدينة سوسة في إيران تعود
إلى الألف الثالث قبل الميلاد (متحف إيران)

وفي مجال العمارة انتقلت إلى بلاد عيلام عمارة الزقورة ، وهي المعابد العالية المدرجة، وقد اشْـتُهِرَتْ في بلاد عيلام زقورتان أحداهما في مدينة سـوسـة ، والثانية زقورة جوخه زنبيل، وهو موقع مدينة دور ـ أونتاش ، التي شيدها الملك العيلامي أونتاش ـ نابريشا (١٢٧٥ـ ١٢٤٠ق.م).

وفي مجال الكتابة شـهدت بلاد عيلام ابتكار كتابة صـورية معاصرة تقريباً للكتابات الأولى من دوري الوركاء وجمدة نصر ـ (في حدود ٣٣٠٠ ـــ ٢٩٠٠ق.م) في بلاد الرافدين القديمة، وقد أطلق عليها الكتابة «شـبه العيلامية» **Proto - Elamite**. تلا ذلك ظهور «الخط العيلامي القديم» في عهد الملك العيلامي بوزر ـــ أنشو شناك المعاصر للدولة الأكدية في بلاد الرافدين القديمة. ولكن اللغتين السومرية والأكدية انتشرـتا في بلاد عيلام، وفي عهد الملك العيلامي خمبان ـــ نومينا الأول (نحو ٢١٧٥ ق. م) ظهر الخط العيلامي الوسيط .

الفصل الثاني
حضارة ميديا (الميديون)

الميديون كانوا أحد الاقوام التي ا ستوطنت ايران قديماً حيث عا شوا في الشمال الغربي لما يعرف الآن بـا يران وكـان موطنهم حســب الجغرافيـة الحـاليـة تشــملطهران و همـدان و أصفهان و أذربيجان ومنطقة كاردوخ.

وإستنادا إلى كتابات المؤرخ اليوناني هيرودوت فإن الميديين كانوا مؤلفين من ستة قبائل رئيسية وهم بوزا وباريتاك وستروخات وآريا وبودي وموغي وأطلق هيرودوت إسم الآريين على القبائل الميدية .

لايعرف الكثير عن أصـل الميديين وإسـتنادا على العهد القديم من الكتاب المقدس فإنهم من ســلالة يافث إبن نوح الميديون هم شــعوب آرية (هندو- أوربية) ، كانوا يتكلمون اللغة الهندو- أوربية. هاجرت هذه الشـعوب من شرقي البحر الأســود في بداية الألف الثانية قبل الميلاد إلى المناطق الممتدة من كوردســتان إلى الهند، وإن كان نزوحهم للهند مؤرخ بنحو ١٦٠٠ قبل الميلاد. الميديون كانوا يقطنون في إقليم بخار وسمرقند، وإنهم توغلوا منه نحو الجنوب شيئاً فشيئاً حتى وصلوا إلى كوردستان الحالية.

إن أول ذكر للميديين في السجلات الآشورية كان أيام الملك الآشوري "شلمنصر الثالث" في سنة ٨٣٥ قبل الميلاد، عندما تم ذكر دفع الميديون الجزية للملك الآشـوري شـلمنصرـ الثالث حيث كان هذا أول احتكاك بين الميديين والآشـوريين الذين كانوا آنذاك منشـغلين بتوسـيع إمبراطوريتهم . وهناك نوع من الإجماع على أن الميديين لم يكونوا من الفرس عِلماًبأن لغتهم كانت متقاربة

موطن الميديين حســب الجغرافية الحالية تشــمل طهران وهمدان وأصــفهان وأذربيجان ومنطقة كاردوخ. من جهة أخرى.

يذكر د .زيار في كتابه "إيران...ثورة في انتعاش" ، والذي طبع في نوفمبر ٢٠٠٠ في باكستان : (فإنه بحلول سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد، هاجرت قبيلتان رئيسيتان من الآريين من نهر الڤولگا شمال بحر قزوين وإستقرتا في إيران وكانت القبيلتان هما الفرس والميديين. أسس الميديون، الذين إستقروا في الشمال الغربي، مملكة ميديا. وعاشـت الأخرى في الجنوب في منطقة أطلق عليها الاغريق فيما بعد إسـم "بارسـيس" ومنها إشـتق إسـم فارس ، غير ان الميديين و الفرس اطلقوا على بلادهم الجديدة اسم ايران التي تعني "أرض الآريين" .

بينما يرى المؤرخ محمد أمين زكي، بأن هناك إحتمالاً كبيراً بأن هذه المجموعة تشكلت من عدة قبائل مثل "لولو وكوتي وكورتي وجوتي وجودي وكاساي وسوباري وخالدي وميتاني وهوري ونايري".

يقول ابن خلدون بأن الكورد منحدرون من الميديين .

و يذكر حســن بيرنيا في كتابه المعنون " تاريخ (إيران باســتاندا)" بأن الميديين هم من الشـعوب الآرية وهم أجداد الكورد ولغتهم هي نفس لغة الكورد الموكريانيين وفي كتابه "عشــق وســلطنة " يقول بأن لغة المادين هي لغة كردية .

كما يشير مردوخ إلى أن السلطان الأول للميديين هو "آراماس" و المعروف عند اليونانيين ب"ديوكس" .

يقول عالم الآثار دومركان بأن الميديين كانوا موجودين منذ أكثر من ٢٠٠٠ سـنة قبل الميلاد وأســسـوا إمبراطوريات وسلطنات كثيرة وعُرفت عن حروبهم وشهرتهم وتفوقهم منذ سنة ٧٠٠ قبل الميلاد .

يقول المؤرخ اليوناني "كيتزياس" بأنه تعاقب على حكم الإمبراطورية الميدية عشرـة سـلاطين وكان آخرهم (آسـتي كاس) و أن الإمبراطورية الميدية دامت لمدة ٣٥٠ سـنة. بهذه الأدلة يتأكد وجود الكورد تاريخياً منذ زمن طويل .

نسـتنتج مما تقدم بأن الشـعب الكوردي ينحدر من مجموعتين من الشـعوب، المجموعة الأولى (المانيون) التي كانت تقطن كوردسـتان منذ فجر التاريخ و يُسـمّيها المؤرخ الكوردي محمد أمين زكي بـ "شعوب جبال زاكروس" التي لم تكن شعوب هندو - أوروبية.

إمتزجت الشـعوب الأصـلية في المنطقة مع أقوام آرية (هندو- أوربية)، مثل الميديين، التي تُشـكّل المجموعة الثانية من الشـعوب المكوّنة للشـعب الكوردي والتي هاجرت من شرقي البحر الأسـود إلى كوردستان واستوطنت فيها مع شعوبها الأصلية.

و يبرز هذا الإعتقاد الراسـخ وهذه القناعة لدى الأكراد بأن الميديين هم أحد جذور الشـعب الكردي في ما يعتبره الأكراد نشيدهم الوطني حيث يوجد في هذا النشيد إشارة واضحة إلى إن الأكراد هم "ابناء الميديين" وإسـتنادا إلى المؤرخ الكردي محمد أمين زكي) ١٩٤٨ - ١٨٨٠(في كتابه "خلاصـة تاريخ الكرد وكردستان" فإن الميديين وإن لم يكونوا النواة الأساسية للشعب الكردي فإنهم إنظموا إلى الأكراد وشكلوا حسب تعبيره "الأمة الكردية".

إ ستناداً إلى كتابات هيرودوت فإن أ صل الميديين يرجع إلى شخص إ سمه دياكو الذي كان زعيم قبائل منطقة جبال زاكروس وفي منتصـف القرن السـابع قبل الميلاد حصـل الميديون على إسـتقلالهم وشـكلو إمبراطوريـة ميـديـا وكـان فرورتيش(٦٣٣ - ٦٦٥)قبـل الميلاد أول إمبراطور وجـاء بعـده إبنه هووخشتره .

بحلول القرن السـادس قبل الميلاد تمكنوا من انشـاء امبراطور ية ضـخمة امتدت من ما يعرف الآن باذربيجان إلى آسيا الوسطى وأفغانستان .



إمبراطورية ميديا والمناطق المجاورة، ح. ٦٠٠ ق.م.

حدود الإمبراطورية وعاصمتها :

تعد الإمبراطورية الميدية من إحدى الإمبراطوريات العظمى في التاريخ القديم التي أقيمت على أرض كوردستان الحالية ولعبت دوراً كبيراً في نشوء الحضارة الإنسانية في المنطقة التي كانت تُعرف قديماً لدى اليونانيين بإسم "ميزوبوتاميا" التي كانت تُطلق على الأراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات. مساحة كوردستان الحالية تقلصت كثيراً، مقارنة بالأراضي التي كانت تُشكّل الإمبراطورية الميدية .

إن مركز هذه الإمبرطورية العظيمة كان في مدينة همدان الإيرانية الحالية والتي تقع في موطن الفيليين .

من هنا ندرك أن الفيليين هم المؤسسون لهذه الإمبراطورية التي كانت أعظم وأكبر إمبراطورية في المنطقة في ذلك الوقت ويعني أيضاً أن الشريحة الفيلية هي أحفادالميديين و أن جذور الفيليين في المنطقة (في كل من العراق وإيران الحاليتين) هي جذور عميقة بعمق التأريخ نفسه.

كانت تحد ميديا من الشرق أفغانستان ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الشمال مناطق "كادوس" فيما وراء نهر "آراس" ومن الجنوب الخليج الفارسي العاصمة "جه مه زان" تعني مكان الاجتماع في اللغة الكردية وإستُخدمت أحياناً اسم "هيكمه تانا"، إلا أنها إشتهرت بإسم "آكباتان" وهذه التسمية أطلقها عليها اليونانيون وقد تم تثبيتها في المراجع اليونانية بهذا الإسم.

نشأة الإمبراطورية الميدية :

بدأت قبائل الميديين تتجمّع لتؤ سّس أول إمبراطورية معروفة لها في حدود عام ٧٠٨ قبل الميلاد. وقع إختيارهم على رجل كان يتولى منصب العمدة في إحدى القرى الميدية وكان إسمه "دياكو) " **Diyaoku** ٦٧٥ – ٧٢٧) ق . م)، و كان الإغريق يُسمّونه بـ"ديوكس **Deioces**".

بدأ دياكو بتوحيد المملكة التي كانت تتألف من منطقة واسعة تقطنها القبائل الكوردية "بوسيون وآريزانتو وبارتاكتي وبوديون وموغ وميتاني" وباشر ببرنامج لتوحيد جميع سكان ميديا ضد الهجمات المتوا صلة للقوات الامبراطورية الآ شورية الحديثة (٧٤٥ – ٦٠٦ ق.م.) التي كانوا يتعر ضون لها. تم قتل الملك دياكو من قِبل الآشوريين، حيث تآمروا عليه بدعوته الى وليمة و تم قتله هناك خلال تلك الوليمة.

بعد دياكو، تسلم الحكم الملك "خشتاريتي) ٦٥٣- ٦٧٥ " **Khashtariti**ق.م) أو "خشاتريتا **Khshatrita**" باللغة الأكدية، بينما يسمّيه المؤرخ اليوناني هيرودوت بـــ "فراورتيش **Phraortes**". بدأ حكمه بسياسة المجاراة والمهادنة مع الحكومة الآشورية. هذه السياسة ساعدته في زيادة نفوذه بين الشعوب الآرية، حيث كانت شعوبآرية قد قدمت من الشرق وانضمت إلى الميديين، وجّه خشتاريتي أنظاره نحو قبائل الفرس الأخمينيين، فقاد حملة عسكرية لإخضاع مملكتهم و نجح في مسعاه، حيث أخضع الفرس للحكم الميدي وبذلك إستطاع توحيد الميديين والفرس. كما أن إنهاك سرجون لقبائل "الأورارتيين **Ourartens** " و "المعانيين **Manens** " بحملاته وغزواته المستمرة عليهم، قد ساعدت الميديين على التوسّع نحو الغرب وإحتواء هؤلاء في مملكتهم الفتية بمساعدة السيمريين – **Cimmerians**، في عام ٦٧٠ ق.م. كل هذه التطورات الإيجابية دعت الميديين إلى الإمتناع عن دفع الجزية للآشوريين، التي كانوا يدفعونها مضطرين خلال فترة زمنية طويلة. بعد ذلك قام الملك الميدي بحملة عسكرية في هجوم كبير على مدينة نينوى عاصمة الآشوريين ولكنه مات أثناء محاصرتها ولم يتحقق حلمه في توسيع إمبراطوريته وإبعاد الخطر الآشوري عن شعبه .

بعد وفاة فراورتيش، إستلم الشاب "وفاكشترا **Ouvakhshatra** أو كياكسارا **Cyaxares**" (كيكاوس)، الذي كان حفيد الملك "دياكو" ، مقاليد الحكم في عام ٦٣٢ قبل الميلاد. وإنتهج سياسة والده في تعامله مع جيران المملكة ونجح في تحقيق حلمه بحيث أصبح يمتلك أقوى إمبراطورية تحكم هذه المنطقة وتفرض شروطها على الآخرين. بدأ الملك "كياخسارا" بالعمل على لم شمل الشباب الميدي وبعض القبائل

الميدية، مستفيداً من المصاعب التي كانت تواجه "السيتيون" (الاسكثيون)، بعد أن أصبحت دولتهم مترامية الأطراف ويلاقون صـعوبات في القيام بإدارتها وحكمها، حيث كانت مملكتهم أصـبحت تمتد الى فلسـطين. كما أنه قام بإعادة تنظيم الجيش على أسـاس جديد، إذ قسّـمهم الى أصـناف الرماة والرمّاحين وحاملي السهام والفرسان. ثارت الشعوب التي كانت ترزح تحت حكم "الستيين". إستغل "كياخسارا" الظروف الصعبة التي كانت تمر بها المملكة الكيسية، فأعلن ثورته عليهم و إستطاع تحرير بلاده منهم .

بعث الملك الميدي بسـفرائه إلى الملك البابلي "نبوبولاصر" ليعلن له صـداقته وليقترح عليه التحالف ضـد عدوّهم المشـترك المتمثّل في المملكة الآشـورية. تعمقت وتوثقت العلاقات بين الإمبرطورية الميدية والآشورية، خاصة بعد أن وقع "نبوخذ نصر" إبن "نابوبلاصر" البابلي في غرام إبنة الملك الميدي، أميتسا (أوميد)، عندما كان يصـطحب والده في زيارته لمملكة ميديا، فتزوجها وقام ببناء حدائق بابل المعلقة لها، عندما وجد أن طبيعة بابل كانت غير ملائمة لأوميد لأن بلادها "ميديا" كانت ذات طبيعة سـاحرة فأراد أن يخلق لها طبيعة جميلة كطبيعة مملكتها. أبرمت مملكة ميديا وبابل إتفاقيات سياسية وعقدتا تحالفات عسكرية، لتفادي الأخطار المتأتية من الأطماع والتهديدات الآشورية لمملكتيهما.

التهديد المستمر الذي كان يُشكّله الآشوريون للدولتين، الميدية والبابلية ومعاناة الشعوب الرازحة تحت الإمبراطورية الآشـورية، دفعت الدولتين الى الإتفاق معاً للقضـاء على الإمبراطورية الآشـورية. حملات وغزوات السـكيثيين المتكررة على الإمبراطورية الآشـورية سـاهمت الى حد ما في إضـعاف الآشـوريين. هيّأ "كياخسـارا" جيشـه إسـتعداداً للهجوم على نينوى ولكن بينما كان يتهيأ لتنفيذ خطّته، وردته الأخبار بأن " السـكيثيين Scythiques"إنطلقوا من القوقاز ليهاجموا مملكته، فإضـطر للعودة إلى ميديا لمجابهة الخطر القادم من السكيثيين. حطّم السكيثيون آسيا ودمّروا كل ما إعترض سبيلهم إلى أن وصلوا الى حدود مصر. يدّعي "هيرودوت" بأن السكيثيين إستقرّوا في المنطقة لمدة ثمانية وعشرين عاماً، في حين يؤكّد مؤرخون آخرون بأنّهم لم يبقوا في المنطقة لأكثر من سـبعة أعوام. قامت الدولتان، الميدية والبابلية، بشـن هجوم كبير على الآشـوريين، حيث أن الميديين قاموا بالهجوم على العاصـمة الآشـورية، نينوى، من جهة الشرق والتقدم نحوها، بينما قام البابليون بالهجوم من جهة الجنوب .

بعد أن دارت رحى حرب ضروس بين المتحاربين، سـقطت نينوى في شـهر آذار ٦١٢ قبل الميلاد بيد الميديين والبابليين. الملك الآشـوري، الذي كان حليفاً للفرعون المصـري "بسـامتيخ"، هرب إلى "حران" للنجاة من الموت وإنتهاز فرصـة مؤاتية له للعودة والانتقام من الميديين، إلا أن الميديين قطعوا عليه طريق العودة الى الحكم من جديد، حيث هاجموا "حران" وقتلوه هناك.أمّا السـكيثيون، فقد إسـتطاع الملك الميدي "كياخسارا" إستدراجهم في فخ منخلال دعوة رؤساء قبائلهم إلى وليمة أقامها على شرفهم وبعدما لبّوا دعوته قام بقتلهم. بعد هذه الحادثة، لم يبقَ أمام السـكيثيين غير ترك المنطقة والعودة إلى بلادهم.وبعد إنهيار المملكة الآشـورية والإسـتيلاء على نينوى، تقاسـم الميديون والبابليون فيما بينهم ما تبقّى من مملكة آشـور، وهكذا توسّـعت المملكة البابلية إلى حدود مصر، بينما إحتفظ الميديون لهم بمنطقة دجلة العليا والفرات وإمتدّت حدودهم إلى البحر الأسود. لم يتوقف الملك "كياخسارا" عند هذا الحد، بل حاول بسط سيطرته على كل آسيا الصغرى، حيث "المملكة الليدية Lydie" وكانت عاصمتها " ساردSarde"

إسـتمر صراع الميديين مع الليديين لمدّة سـت سـنوات. بعد توسُّـط الملك البابلي "نبوبولاصر" أبرم "كياخسارا" معاهدة سلام مع ملك الليديين "آليات"Alyates وذلك في عام ٦٠٨ قبل الميلاد. وفقاً لهذه المعاهدة، تم تأشير مجرى نهر "هاليس"Halys (Kizil-Irmak)، الذي يصب في البحر الأسود و الواقع قرب مدينة أنقرة الحالية، كحدود بين المملكتين . بعد إبرام هذه المعاهدة، تميزت العلاقات بين الممالك الثلاث، الميدية والبابلية والليدية بالهدوء والسلام في عهد الملك "كياخسارا" الذي إستمر حتى وفاته في عام ٥٩٥ قبل الميلاد. تقول روايات أخرى أن الحرب بين الميديين والليديين إنتهت بسببحدوث كسوف

الشـمس أثناء فترة الحرب، إذ إعتقد الجانبان بأن هذه الظاهرة حدثت بسـبب غضـب الإله عليهم نتيجة تحاربهم، و لذلك قرروا إنهاء الحرب بينهم.

كانت الدولة الميدية قوية في عهد "كياخسـار" التي سـاهمت في نشرـ الأمن في منطقة ميزوبوتاميا وحولها وعا شت الشعوب في أمن وإ ستقرار، بعيدةً عن اعتداءات آل شوريين. يذكر المؤرخون بأن حرب المملكة الميدية على الآشـوريين، لم يكن هدفها الطمع أو التوسـع، وإنما كان للإنتقام ووقف إعتداءات الآشوريين وأن إنتصار الميديين في حربهم على الآشوريين كان لمصلحة جميع شعوب الشرق الأوسط في ذلك الوقت، إذ تميزت سياسة الآشوريين بالعنف والقتل والقسوة و الدمار تجاه شعوب المنطقة.

كان الآشوريون ينظرون إلى الإنسان كمخلوق خُلق للحرب، لذلك لم تكن للإنسان أية قيمة عندهم. بما أن النساء لم يكُنّ يشتركنَ في الحروب، لذلك كان المجتمع ينظر إليهن بإستخفاف و خاصة اللواتي كُنّ ينجبنَ إناثاً. لنفس السـبب المذكور، كان يتم إهمال الأطفال المصـابين بعاهة عقلية أو جسـدية، بل كان يتم التخلص منهم. الآشـوريون هم الذين أوجدوا الحجاب للنسـاء وجعلوهنّ أسـيرات المنزل، حيث ينحصر عملهنّ على خدمة الرجل و البيت و الإنجاب.

بعد وفاة الملك "كياخسارا"، تولّى إبنه ووريثه "أستياج" Astyages شؤون الإمبراطورية الميدية وبقي ملتزماً بالمعاهدة التي أبرمها والده مع الليديين في عام ٦٠٨ قبل الميلاد، حيث وثّق علاقاته مع الملك الليدي "آليات" بروابط عائلية خلال تزويجه من إبنته وفعل الشيء نفسه مع ملك بابل "نبوخذ نصر"، إبن ووريث "نبوبولاصر" عبر تزويج شـقيقته منه. وهكذا توطدت علاقاته السـياسـية مع الليديين والبابليين وعاشـت المنطقة خلال فترة حكمه بلا حروب أو قلاقل تُذكر. لم يكن الملك أسـتياج بمسـتوى سلفه من حيث القوة والشخصية السياسية, لذلك كان حكمه ضعيفاً والتي أدت الى زيادة نفوذ رجال القبائل القوية في البلاد.

إنهيار الإمبراطورية الميدية:

مرتّ على حكم "أسـتياج" للإمبراطورية الميدية خمسـة و ثلاثون عاما، عندئذً إنقلب عليه "سيروس"Cyrius أو "كوروش) "Kurushكيخسرو الكبير) في عام ٥٦٠ قبل الميلاد. يذكر "هيرودوت" في كتابه الأول (Clio ١٠٧)، أنّه بعد تفسير الكهنة "Les Mages" لرؤيا أستياج بخصوص كريمته ماندان "Mandane"، فضّـل تزويجها من "قمبيز الفارسي" بدلاً من أحد النبلاء الميديين، لكي يقضيـ على أية محاولة يقوم بها نبلاء قومه لإزاحته عن الحكم في المسـتقبل. يتابع "هيرودوت" حديثهبأنّ "ماندان" أنجبت ولداً من قمبيز أسمته "كوروش" Kurush .

عاش كوروش في كنف الشـعب الميدي و تلقّى تربيته بينهم. عندما أصـبح كوروش بالغاً، إسـتطاع الإطاحة بجدّه "أستياج"، بفضل أحد القادة الميديين الذي كان يُدعى "هارباج"Harpage ونصّب نفسه ملكاً على الميديين والفرس. من جهة أخرى، فأن المؤرّخ " ستيسياس"Stesias يذكر بأنه لم تكن هناك أية رابطة عائلية تربط كوروش بالملك الميدي. أمّا المؤرّخ "كزينفون" Xenophon فإنّ له رأي مشـابه لرأي "هيرودوت" في هذه المسألة، قائلاً بأنّ كوروش كان إبن "ماندان" الميديةوقمبيز الفارسي ، ويضيف بأنّه تربّى وأقام صباه بين الميديين في كنف جدّه أستياج إلى أن بلغ سنّ الرشد. التنقيبات الأثرية المكتشفة تدل بأنّ كوروش كان ينتمي إلى العائلة الأخمينية وأن والده كان ملكاً حيث يمكن قراءة الكتابة التي هي باللغة المسمارية على أحد الألواح "إبن قمبيز ، الملك القوي"، يتبعه " أنا كوروش، الملك الأخميني" وهناك إشارة أيضاً إلى أنّه كان ملكاً على مملكة "السوس"Susiane بعد إطاحته بـ "أستياج" و إسقاط لإمبراطورية الميدية.

إستطاع كوروش عن طريق جيشه المدرّب والمنظّم إحتلال آشور وبابل ومن ثمّ التقدّم نحو الغرب والدخول في معارك ضارية مع الليديين بقيادة ملكهم "كريسوس"Cresusالذي كان إبن الملك "آليات". لعب الميديون دوراً حاسماً في صمود الإمبراطورية الأخمينية أمام أعدائها وإستمراريتها، حيث تظهر هذه الأهمية بوضوح في كتابات داريوس التي عُثر عليها في" بيهيستون"Behistoun وكذلك تتحدث عنها المصنوعات الفخارية التي عُثر عليها في كل من "كودين تبه" Godin Tepe في كوردستان و "يوركان تبه"Yorgan Tepe (موقع نوزي Nouzi قرب ملاير Malayer) وعلى القطع الأثرية الثمينة التي تم إكتشافها بين كنوز "أوكسوس Oxus " والتي تعود للقرنين السابع والسادس قبل الميلاد.

ميديا تحت حكم إسكندر المقدوني :

بعد انتصار الا سكندر المقدوني وجيشه المؤلف من المقدونيين والأغريق على الملك الأخميني، وقعت كوردستان تحت السيطرة المقدونية – الأغريقة. وبعد وفاة الاسكندر سنة ٣٢٣ قبل الميلاد، كانت كوردستان و العراق وسوريا وإيران من حصة أحد قادته المدعو سلوقس. يمكن القول بأن إسكندر المقدوني لم يكن عنصرياً، حيث كان مرناً في تعامله مع الشعوب التي قام بإحتلال بلدانها و لم يلجأ إلى القضاء على ثقافة ولغة وحضارة شعوب منطقة الشرق الأوسط عندما وصل إليها، بل خلق حضارة ممزوجة كانت تحمل إسم الـ "هلنستية" ("هلنستية" متكونة من كلمتي "هيلين" و "ايست"، حيث أن "هيلين" هي إسم جدة اليونانيين وكلمة "إيست" تعني "الشرق" باللغة اليونانية). فيما يتعلق بأرض ميديا، عيّن الأسكندر المقدوني حاكماً ميدياً لها في سنة ٣٥٠ قبل الميلاد، كان يُدعى "اكسودات" ومن بعده، في سنة ٣٤٨ ق.م، تم تعيين شخصاً ميدياً آخراً كحاكم جديد لمملكة ميديا، والذي كان إسمه "أتروبات". في هذا العهدأُقيم حفل زفاف كبير ومشهور في التاريخ، إذ أقام الإسكندر المقدوني حفلة زواج كبرى له ولمائة من قواد جيشه، حيث تم زواجهم لفتيات شرقيات. تزوج الإسكندر المقدوني الفتاة الميدية "روكسانا" وتزوج قائده المقرب إليه "سلوقس" الفتاة الفارسية "أباما" وهكذا تم زواج القادة العسكريين لفتيات شرقيات آخريات. أرض ميديا أو المملكة التي كان يحكمها "أتروبات" أخذت تحمل اسم "أذربيجان" بمرور الوقت.

الإمبراطورية الأخمينية :

استقرت قبائل الفرس البدوية في الجنوب عند منطقة سموها "فارس " (معناها السائب والغازي) قرب شيراز اليوم. ولا تكاد توجد أي نقوش تتكلم عن الفرس قبل)قوروش الأكبرالثاني). تصفهم التوراة بأنهم : "أناس برابرة جداً وسفاحون لا يرحمون أحداً". جاء اليهود المنفيين ببابل بقورش الأخمني ونصبوه على شعوب المنطقة عنوة حيث دمر حضارتهم وا ستعبدهم وأزالهم عن الوجود عن بكرة ابيهم.

الأخمينيون أو الأخمينيديون بالفارسية: هخامنشيان) هم أسرة ملكية فارسية كونت لها إمبراطورية في فارس عام ٥٥٩ ق.م. واستولت علي ليديا (غرب الأناضول) وبابل وإيران وفلسطين ومصر، التي امتدت في أوجها إلى جميع أرجاءالشرق الأدنى، من وادي السند إلى ليبيا، و شمالاً حتى مقدونيا. وهكذا فقد تمكنوا من السيطرة على جميع الطرق التجارية المؤدية إلى البحر الأبيض المتوسط عبر البر والبحر؛ وقام ملوك الأخمينيين بإعادة بناء الطريق من منطق) السوس (Susa في عربستانإلى)سارديز(Sardis بالقرب من أفسس وسميرنا. أشهر ملوكها دارا(داريوس) الذي حاول غزو أثينا باليونان فهزم. وأسقط الإسكندر الأكبر هذه الإمبراطورية عام ٣٣١ ق.م. ومن ملوكها قمبيز قورش (سيروس). وتعتبر فترة حكم هذه الإمبراطورية هي فترة الحضارة الفارسية.

تأسيس المملكة الأخمينية:

تنتمي الأسرة الأخمينية إلى الفرس، أحد الشـــعوب الإيرانية القديمة، الذي كان الموجة الأخيرة من موجات الشـــعوب الهندية - الأوربية (الآرية) التي اجتاحت أراضي إيران في مطلع الألف الأول ق.م. ظهرت الأسرة الأخمينية، التي لايعرف أصـلها، في مطلع القرن الســابع ق.م.وبدأ نفوذ الأسرة يقوى بعد أن تخلصـت تدريجياً من تبعيتها للعيلاميين . واسـتقلت بإمارة أنشـان التي كشـفت آثارها في تل مليان والممتدة إلى الجنوب الشرقي من سوسة، ثم استولى أمير أنشان المدعو تشاهبيش (٦٧٥-٦٤٥ق.م) على بلاد بارسـا في إقليم شـيراز اليوم، وانقســمت الأسرة على نفسـها بعد ذلك فكان لفرع منها حكم فارس ولفرع ثان حكم أنشــان. وكانت الغلبة لهذا الفرع بعد أن تزوج قمبير الأول (٦٠٠-٥٥٦ق.م) الأميرة ماندان ابنة أســتياج ملك الميديين، وكان من ثمار هذا الزواج قوروش (الثاني) الذي كان حكمه انعطافاً وتحولاً حاسماً في دور الأسرة الأخمينية في تاريخ إيران القديم.

التوسع شرقاً وغرباً:

يمكن تقسيم الدولة الإخمينية إلى ثلاث فترات تاريخية :

أولاً : الفترة من ٥٥٩ - ٥٣٠ ق.م.

اســتطاع قورش إعادة وحدة الأسرة الأخمينية وتطلع إلى الســيطرة على ميديا عن طريق تأليب المعارضين لها وإثارة الفتن.

وبإحتلاله مملكة ليديا حوالي ٥٤٥ ق.موســع قورش الإمبراطورية الميدية . وتمكن بذلك من توحيد البلاد الإيرانية ثم انتقل إلى بسـط سـيطرته المطلقة على عواصـم الشرق مستفيداً من الأوضـاع الدولية واضـطراب الأحوال الداخلية في الدول القديمة. فبعد اسـتيلاءه على ميديا ، ضـم تدريجياً المسـتعمرات اليونانية في إيونيا غربي آسيا الصغرى ، وسماها الإمبراطورية الأخمينية على اسم سلفه أخمينيوس وقد كانت أول إمبراطورية عالمية. وفي ٥٣٨ ق.م قام بالهجوم على بابل مركز حضارة العالم القديم. وبدخول قوروش بابل كان ذلك مؤشراً على تغير كبير في «عالم بلغ الشـــيخوخة، والأهم من ذلك أن العالم القديم كان مدركاً لشخوخته» . وقد تمكن قورش من هزيمة بابل . وقد استسلمت بابل سلمياً لقورش ورحبت به محرراً لها بسـبب سـياسـاته اللينةوحرر اليهود الذين سـباهم نبوخذ نصر من الأسر البابلي وكانوا في الأسر هناك . ثم توسع إلى بلاد الشام، وكذلك إلى غرب الأناضول إلى بحر إيجة. وتوسع شمالاً إلى جبال القوقاز. كما توسـع شرقاً في آسـيا الوسـطى إلى أقصى ما وصـلت إليه الحضـارة (يعتقد بوصـوله إلى حدود قرقيزسـتان) . يكون بذلك قد أنشـأ إمبراطورية امتدت من البحر الأبيض التوسـط وغربي آسـيا الصغرى إلى أعالي نهر السند ، وهو ما يُعرف اليوم بشمال الباكستان ، ومن خليج عمان إلى بحر الآرال . وكان يُظن لفداحة الأحداث والتغيرات المتلاحقة، بعد اجتياح الفرس مملكة ليديا في غربي آسيا الصغرى على بحر إيجه وبعد توغلهم في بلاد الشرق، أن تاريخ الشرق القديم كان يتجه إلى نهايته، لكن المفارقة كانت في تجديد العالم القديم ضمن وحدة سياسية - اقتصادية امتدت من بلاد الهند إلى ليبية وحوض بحر إيجه. وهكذا قامت إمبراطورية جديدة في المشرـق على أنقاض الإمبراطوريات والممالك القديمة، اجتمعت فيها شعوب وتلاقت ثقافات ولغات وصنائع وعقائد وعادات. ولكن قوروش سقط في ميدان

القتال بعد أن توغل في أعماق السهوب الشمالية الشرقية من آسيا الوسطى. توفي قورش عام ٥٢٩ ق.م. . وقام ابنه من بعده باحتلال مصر، ثم انشغل أحفاده بحروب ضد اليونان وشعوب البحر الأسود (كما سيرد لاحقا).



ختم اسطواني أخميني يوضح الملك داريوس وهو يقتل أسدا تصنع الدمغات بتمرير الختم على صلصال ناعم



عربة ذهبية ميدية ، تعود للعصر الاخميني – حوالي خمسمائة عام قبل الميلاد – وهي واحدة من التحف النادرة في المتحف البريطاني وتعد اهم قطعة ذهبية جاءتنا من ذلك العصر.
نموذج العربة ذات الجياد الاربعة، يركب فيها رجلان يرتديان ملابس ميدية - الميديون اسلاف الشعب الكردي - ومقدمة العربة مزينة بنقش

ثانياً الفترة من ٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م. :

خلف قورش بعد مرحلة انتقالية مضـــطربة ابنه قمبيز الثاني (٥٢٩-٥٢٢ق.م) الذي قاد حملة على مصر (٥٢٥ق.م) وأ سقط عرش الفراعنة وأ صبحت إمبراطوريته تمتد من نهر السند حتي نهر النيل وفي أوروبا حتي مقدونيا التي كانت تعترف بالســيادة الفارســية. ولكنه أثار المصــريين بتصرــفاته وبفرض ضرائب مرهقة وبالتعرض للتقاليد الدينية.

وقد أعقبت ذلك حرب أهلية بسبب النزاع حول الحكم ، وتمكن داريوس الأول أحد أقرباء قمبيز من أن يصـــبح ملكاً حوالي ٥٢٢ ق.م. بعد انتحار قمبيز عام ٥٣٣ق.م .ثم عمل داريوس الأول (٥٢٢-٤٨٦ق.م) على التوســع باتجاه الشرــق إلى حوض نهر الســند وغرباً إلى ضــفاف نهر الدانوب. وأخمد الحروب وحكم الإمبراطورية الفارســية حكماً مطلقاً لأنه يتمتع بالحق الإلهي وكانت البلدان التابعة له تتمتع بحكم ذاتي وكان الحكام بها أقوياء يتجســـســون لحســابه. وأنشــأت هذه الإمبراطورية الطرق المتفرعة والتي كانت توصل مدينة سوس العاصمة بالخليج جنوباً وبالبحر الأبيض المتوسط وبحر إيجه. وظل داريوس في حرب مع الإغريق حتي وفاته عام ٤٨٦ ق.م. وكان قد أخضع المدن الإغريقية في آسيا الصغرى.وتمكن من وضع حد للمنازعات الداخلية التي أثارها الأرستقراطيون والكهان المجوس. أما أكبر منجزاته فهو ا ستكمال بناء الجهاز الإداري للدولة. أعاد داريوس تنظيم الحكومة (دار الامبراطور) بنظام المرزبانات (مشابه للحكومات القومية والمحلية) حيث أنشأ الطرق والموانئ والبنوك، كما بنى نظام ري تحت أرضي. كذلك تميز عصرــ دارا بازدهار اقتصــادي، حيث عرف أقدم شــكل من أشــكال العملة في التاريخ "الداريك"، وأقام السلطة المطلقة للشاهان شاه ، كما طوّر نظاماً محكماً للضرائب . كذلك بنى لقصور في عاصمتين من عواصمه هما برسيبوليس وسوسا . ووسّع داريوس الإمبراطورية الفارسية داخل جنوب شرق أوروبا وداخل ما يسمى الآن جنوب الباكستان .

تميز عصرــ الملك دارا بازدهار اقتصــادي، حيث عرف أقدم شــكل من أشــكال العملة في التاريخ "الداريك"، بالاضــافة إلى توحيد الموازين والمقاييس، وتنظيم القوانين التجارية وتشــجيع التجارة العالمية ورفع مســتوى اقتصــاد الإمبراطورية الفارســية إلى مســتوى لم يســبق له مثيل من الرخاء. فيعتبر عصرــه ذروة إمبراطورية فارس .

وفي حوالي عام ٥١٣ ق.م. قام الفرس بغزو المنطقة التي تقع غربي البحر الأســود وجنوبيه ولكنهم لم يحتلوا أراضي واسعة .

ولقد كانت المبالغة في فرض الضرائب والتدابير القاسية على السكان الإغريق المقيمين على الساحل الإيوني، في غربي آسيا الصغرى، سبباً في اندلاع ثورة لاهبة بين ٤٩٩-٤٩٣ق.م وكانت الشرارة التي أوقدت نار الحروب الميدية التي اجتاحت العالم الهليني بين الفرس من جهة والمدن الإغريقية من جهة أخرى.

الفترة من ٤٩٠ – ٤٧٩ ق.م. :

كانت هذه الحرب عند الهلينيين مسألة حياة أو موت، فقد سجل المؤرخون (هيرودوت وتوقيديدس وكزينوفون) دفاعهم عن بلادهم وانتصاراتهم على جيوش الإمبراطورية الفارسية عند ماراثون ٤٩٠ Marathonق.م(. ثم في معركة سلاميس Salamis البحرية (٤٨٠ق.م). وبعدها بعام واحد في معركة بلاتيا Plataia(٤٧٩ق.م). فقد أرسل داريوس جيشاً إلى اليونان حوالي عام ٤٩٠ق.م. ولكن القوات الأثينية هزمت في ماراثون . ثم توفى داريوس حوالي عام ٤٨٦ ق.م. عندما كان يعد العدة لهجوم جديد على اليونان .

وبعده تولي إبنه أحشورش الذي أخمد ثورة المصريين علي حكم الفرس. وأراد أن ينتقم من أثينا واليونانيين بعد تمرد الأيونيين أيام أبية. فتواصلت مسيرة جيشه حتي بلغت الأكروبول علي مشارف أثينا.

غزا أحشورش بن داريوس اليونان حوالي عام ٤٨٠ ق.م. وهزم قوة من الأسبرطيين وغيرهم من اليونانيين بعد معركة شرسة في الثرموبايلي لكن الفرس واجهوا هزائم طاحنة في سلاميز وبلاتايا وأخرجوا من أوروبا حوالي عام ٤٧٩ ق.م.

ويلاحظ أنه خلال الحروب التي خاضتها مع فارس، لم تشكل الدول المدينية اليونانية أي تهديد لقلب الامبراطورية الفارسية. فالذي لم تحققه فارس من خلال الحرب، حصلت عليه من خلال الدبلوماسية. فبعد انتهاء الحروب اليونانية الفارسية استطاع ملوك فارس تقليب شعبي أثينا وسبارطة علي بعضهما في حروب استمرت ١٥٠ عاماً. وكان للدعم المالي والبحري الذي قدمته فارس إلي سبارطة عظيم الأثر في انتصارها علي أثينا في الحرب الكبرى. ثم بدأت فارس في تقديم العون لأثينا. وكان النفوذ الفارسي واضحاً، لدرجة أنه طُلب من الملك الفارسي أرتاكسركسس الثاني التوسط بينهما، والتوصل في النهاية إلى اتفاقية سلام عام ٣٨٧ قبل الميلاد.

وفيما استطاع الهلينيون أن يقيموا بينهم بزعامة أثينا تحالفاً اشتدت الأزمات الطاحنة في داخل الإمبراطورية الفارسية. فاندلعت الثورات في مصر (٤٨٦-٤٨٥ق.م) وفي بابل (٤٨٢-٤٧٩ق.م) وتوالت تحركات الأمراء الإقطاعيين الساعين إلى الانفصال والاستقلال والمؤامرات والإغتيالات في داخل القصر الإمبراطوري.

في الفترة من ٥٥٠ – ٣٣٤ ق.م.:

بعد أن أصبحت إمبراطورية فارس القوة العالمية المهيمنة لما يزيد على قرنين من الزمان. فقد كان لها السبق في التقريب المتواصل بين الشرق والغرب. وكانت أول إمبراطورية عالمية متسامحة دينياً. فقد تعدد بها الكثير من اللغات والأعراق والديانات والثقافات. وقبل سطوع نجم الامبراطورية الرومانية، كان لفارس قصب السبق في التأكيد على سطوة القانون، وإنشاء جيش مركزي قوي، وحكومة دولة فعالة ونظامية.

لكن فارس تدهورت بعد موت أحشورش ، ففي القرن الرابع ق.م. ضعفت دولة الفرس. وكانت فريسة سهلة للإسكندر الأكبر ودارت بينه وبينها حروب استمرت منذ ام٣٣٤ ق.م. وحتي٣٣٠ ق.م.ولكن الإمبراطورية استمرت بالرغم من الانتفاضات حتى حوالي عام ٣٣١ق.م. عندما هزم الإسكندر المقدوني جيشاً فارسياً ضخماً في معركة آربيل (تسمى أحياناً معركة جوجاميلا) . وانتهت بذلك الإمبراطورية الأخمينية وأصبحت فارس جزءاً من إمبراطورية الإسكندر .

فقد غزا الاسكندر الأكبر المقدوني فارس المتمثلة في الدولة الأكمنية وأسقطها. وبعد انتصاره على الجيش الفارسي أمر بإعدام كثير من الفرس وأحرق مدينة برسبولس انتقاماً لحرق مدينة أثنا. وكان يعتبر نفسه خليفة للملوك الأخمنين . قلد عادات البلاط الفارسي وحاول تكوين ثقافة جديدة مزجت بين الفارسية والإغريقية (الهلينية). ورغم أنه كان عسكرياً فذاً، إلا إنه كان يفتقر إلى المهارات الإدارية.

وبعد وفاته في ٣٢٣ ق.م بفترة وجيزة، قسمت إمبراطوريته بين الجنرالات المتنافسين. وكان من أبرز ما ورثه بعد انتصاره على فارس هو تقديمه النموذج الامبراطوري الفارسي للغرب وتبني الامبراطورية الرومانية له بعد ذلك، خاصة ما يتعلق بحكم الدولة والقانون.





ختم قورش الكبير

الامبراطورية الأخمينية في أقصى اتساعها

يرى الباحث الفارسي ناصر بوربيرار في كتابه ١٢قرناً من السكوت، أن تلك السلالات الثلاثة (الأخمينيين والأشكانيين والساسانيين): غريبة عن محيطها الجغرافي وعن السكان الأصليين في هضبة إيران، إذ لم يبق لهم أثر في هذه الأرض بعد هزائمهم النهائية. ويقول: "لم يبق من هذه السلالات الثلاث التي حكمت بالقوة والسيف والاستبداد على الشعوب القاطنة في نجد إيران(الهضبة الإيرانية)، لم يبق منها أي أثر حضاري هام يُذكَر قياساً باليونانيين والرومان وحتى العرب الجاهليين. ما عدا أنها كانت تتقن استخدام الرمح الفارسي لمحو الشعوب التي سبقتها في نجد إيران وفتح أراضي الغير وإغراق الشعوب الأخرى -ومنهم اليونانيون والمصريون والهنود- ببحور من الدم". وأنهم جاءوا متأخرين قياساً لشعوب عاشت قبلهم بآلاف السنين. وقد قام علماء الآثار والمستشرقون اليهود بتهويل منزلتهم وسمعتهم خلافاً لحقيقتهم في التاريخ. ويرى كذلك "أنهم لم يتمتعوا لا بثقافة ولا بفن ولا باقتصاد ولا بسياسة" حيث عاشت المنطقة بفترة ظلام إلى مجئ الفتح الإسلامي.

نظم الدولة الأخمينية:

كان قيام الإمبراطورية الفارسية حدثاً مثيراً، فهي من صنع شعب لم يكن له ماض عريق كالعيلاميين، ولم تكن له حتى ذلك الحين ثقافة مميزة كالثقافات البابلية والمصرية والإغريقية والآسورية. ولكن هذه الإمبراطورية ورثت تراث كل الدول القديمة التي قامت على أرض إيران، فقد قامت إمارة أنشان على أرض مملكة عيلام. وورثت أيضاً تقاليد دول الرافدين في الاستراتيجية وفي الإدارة ومنها فكرة الدولة العالمية. وحلّت المملكة الفارسية محل الميدية وورثت منها مطامعها التوسعية في بلاد الشرق القديم.وكان نظام الحكم ملكياً مطلقاً، ويستند الملك، لفرض سلطانه إلى حاشية مميزة. وقد أُعفي الفرس في هذه الدولة من دفع الضرائب لقاء الخدمة العسكرية. وكان لهم المقام الأول ويأتي بعدهم

الميديون. ويســـاعد الملك حكام إقطاعيون كانوا يملكون الأراضي ويجندون الجيوش ويؤلفون طبقة أرستقراطية شغل كبارها الوظائف في قيادة الجيش والوزارة والقضاء والإدارة والولاية. وحصل زعماء القبائل الرئيسية على امتيازات أ ضحت لها مع مرور الزمن صفة وراثية. وقد تلقى أبناء الأر ستقراطيين تعليماً ممتازاً تضمّن الرماية والفروسية وقول الحق وهي المؤهلات اللازمة للعمل في خدمة الملك.

أما الجيش فكان يؤلف من مجنّدين من الشـعوب المغلوبة. وأما القادة والفرسـان فكانوا يختارون من بين الفرس أو الإيرانيين. وأهم الفرق العسـكرية» الخالدون«، وهم عشرة آلاف من حملة الأقواس والقنّاصين في الحرس الملكي الذين لا ينقص عددهم. وفي كل ولاية يعيّن والٍ، ساتراب، وكان مكلفاً بقيادة الجيش في ولايته والمحافظة على النظام والأمن وجمع الضرائب والهبات والغنائم. ولما كان الفرس غير قادرين على إدارة الإمبراطورية الأخمينية الواسعة الأرجاء إدارة مباشرة فإنهم اكتفوا بالقضاء على الدول الكبرى وتركت الممالك الصـغيرة التابعة مثل قبرص وكيليكية وممالك المدن الفينيقية على السـاحل السـوري وترك الزعماء المحليون الدينيون وأمراء القبائل كالعرب والسـكيذيين. ولم يكن ثمة حرج في تأسيس دول داخل الإمبراطورية كمملكة بيتينيا في الأناضول إذا ما ارتضت التبعية لملك الملوك.

وقد عُني ملوك الفرس بتنظيم جهاز الأمن، الذي كان يتولاه موظفون عرفوا باسم عيون الملك وآذانه، وكانت مهمته المراقبة والتفتيش في الولايات وإطلاع الملك على أحوالها. ولتنظيم الاتصـال بين العواصـم والولايات شـقت الطرق وطُوّر البريد وأُصلحت الطرق القديمة المعروفة قبل قرون. ونفذت مشروعات كبيرة لتشـجيع المواصـلات البحرية فشُـقت قناة تصـل بين النيل والبحر الأحمر عند خليج السـويس. ونظمت الرحلات البحرية الا ستكشافية لتعرف خطوط جديدة للاتصال بين مصب نهر السند في الهند ودلتا النيل في مصر عن طريق محطات على الساحل الإيراني وعلى السواحل العربية. وتراكمت، نتيجة لذلك النشاط، ثروات كبيرة بلغت أطناناً كبيرة من الفضة والذهب. وقد ضُربت النقود، وأرفعها الدنانير الذهبية وعليها صـورة رامي القوس المتوّج، وكانت هذه الدنانير تنفق في تجنيد الجنود المرتزقة وشراء ضـمائر العملاء قبل تحريك الجيوش. ولقلة النقد من المعادن الثمينة لجأ ملوك فارس إلى الاسـتقراض والاستدانة بالفائدة. وفي القرن الرابع ق.م لجأت الدولة إلى فرض تصنيع ما كانت تحتاج إليه من الفخار والزيت والخمور على الولايات الغربية في آسيا الصغرى وسورية ومصر. ولكن فرض الضرائب كان يؤدي إلى انتفاضـات محلية وإقليمية، كما وقع في مصر التي قاومت الاحتلال الفارسي واسـتردت اسـتقلالها مرتين (٤٦٠-٤٥٦ق.م) و(٤٠٥-٣٤٣ق.م). أما العالم الهليني فقد قاوم الغزو الفارسي منذ بدايته في مطلع القرن الخامس ق.م حتى النهاية في أواخر القرن الرابع ق.م. وقدّم المؤرخون اليونانيون المعاصرون صورة أسطورية عن الإمبراطورية الفارسية بعد احتكاكهم بها في بلاد الشرق ومقابلتها وجهاً لوجه.

الحضارة الفارسية في العصر الأخميني وموقعها في التاريخ القديم :

لم تتوقف الأسرة الأخمينية في مرحلة تأسيسها وفي أوج قوتها عند توحيد العالم الإيراني بل إنها عملت عندما سنحت لها الظروف المناسبة من أجل التوسع في بلاد الشرق القديم للسيطرة على طرق مواصلاته وأسـواقه. وهكذا ورث قوروش وخلفاؤه عروش بابل وسـارديس ومنفيس المتداعية التي سرعان ما انهارت أمام القوة الناشئة الجديدة.

ولكن الدولة الأخمينية لم تتردد، للمحافظة على كيانها السـياسي، في نقل السـكان وفي نزع ملكية بعضـهم لإقامة جاليات فارسـية على الأراضي المصـادرة أو المستملكة في آسـيا الصغرى أو في بابل. أما التعذيب والبطش بالثائرين فكانا من الأمور الشائعة والمعروفة وابتدعت لها أساليب فاقت في فظاعتها ما عرف عند السـابقين. أما التسـامح الديني الذي عُزي إلى قوروش وبعض الملوك الأخمينيين فلم يكن سـياسـة فريدة في بابها في دول الشرق القديم، فقد عرفت حضـارات الشرق القديم غالباً التعايش بين العقائد الدينية المحلية فلم يكن للعامل الديني الدور الأول في توسـع الدول وفي إنشـاء الإمبراطوريات عند الفراعنة أو ملوك الرافدين والأناضـول.ولكن الحكام كانوا يتخلون عن تسـامحهم الظاهري كلما تطلبت مصلحة الحكم ذلك للقضاء على الثائرين.

ومما لا شك فيه أن الإنجاز الذي حققه قوروش الثاني (ملك أنشان، ملك الفرس، ملك الملوك) كان كبيراً في عصره. ولكن ملوك الفرس الأخمينيين لم يكن باستطاعتهم أن يقبضوا بسهولة على زمام الأمور في دولة امتدت على نحو خمسة ملايين كم٢. وكان الإخفاق واضحاً في قدرة الفرس على الاندماج سريعاً في المجتمعات الشرقية التي اختلطوا بها بعد انحدارهم من جبالهم إلى السهول التي استقرت فيها المجتمعات الريفية في القرى والحضرية في المدن، كما أنهم لم ينجحوا في تأسيس مجتمعات مدنية مميزة كما فعل الهلينيون بعدهم عند نزولهم في بلاد الشرق.

ومع هذا فلقد مثلت الإمبراطورية الفارسية الأخمينية بالفعل «مملكة عالمية» ورثت المثل الأعلى القديم للمملكة التي كانت تضم «جهات العالم الأربع»، وهو المثل الأعلى الذي كان يتطلع إليه ملك سومر وأكّد وبابل وآشور. وقد جعله الملوك الأخمينيون واقعاً ملموساً بتوحيد معظم الشرق القديم تحت سلطانهم، إلا أن الغرب الناشئ على أطراف المتوسط بقي خارج هذه المحصلة، بل إنه قاوم الدخول فيها، كما حدث في الحروب الميدية التي نشبت بين الفرس والهلينيين، وهو ما ترتب عليه صراع حاسم حمل نتائج خطيرة للعالم القديم كله.

ولم يأت توحيد الشرق القديم على أيدي الأخمينيين فجأة إذ كان الكيان السياسي لدول الشرق القديم قد تضخم واتسع حتى بلغ مرحلة المملكة المركزية الكبرى، وعندما وصل إلى درجة عجز فيها عن المحافظة على ما بلغه من تماسك تغلبت الأطراف على المركز، فالدول القديمة التي كانت لها الغلبة والسيادة في السابق أصابها الضعف والوهن على مر السنين نتيجة للحروب والصراعات والأزمات المتلاحقة والعنف والكوارث مما أدى إلى تقويض أسس النظم التي كانت قائمة وإلى إتاحة الفرصة لدخول عوامل تاريخية فعّالة حملتها دائماً شعوب الجبال والسهوب والبوادي المحيطة بالسهول وأحواض الأنهار حيث كانت تقوم دول الشرق القديم وترتفع مدنه وتشمخ حضاراته الأولى.

ولقد نجم عن انتقال مركز الثقل السياسي من العواصم التاريخية المعروفة على الفرات ودجلة إلى سوسة ومدن أخرى وراء جبال زاغروس، توسيع حدود المشرق القديم لتتصل بالعالم الهندي من جهة وبالغرب الأوربي عند المضايق الواصلة بين البحرين الأسود وإيجه من جهة أخرى. وأطال قيام الإمبراطورية الأخمينية عمر الشرق قرنين آخرين في وحدة سياسية - اقتصادية هشّة تفككت أجزاؤها المكونة بعد ذلك تباعاً قبل أن يقع الصدام العسكري الذي قاد الهلّينيين إلى بلاد الشرق الضعيف والمنهار.

لقد بدأ تضعضع أسس الحضارات الشرقية القديمة ونظمها فكرياً وروحياً قبل هزيمتها الحاسمة عسكرياً، فقد اهتزت العقائد الدينية القديمة مع تنامي فكرة التوحيد في المجتمعات الشرقية القديمة كما في تراتيل أخناتون في مصر ونابونيد في بابل ثم مع ارتفاع هذه الفكرة إلى مستوى التوحيد التجريدي كما في بعض أسفار التوراة التي أعيدت كتابتها أو كتبت في العصر الأخميني كسفر عزرا الذي يتحدث عن رب السماوات والأراضي (عزرا: ١٩-٢٠)، وهكذا أخذت تتطور الفكرة التي تتحدث عن الإله المنزه الذي يمكن أن يكون منفصلاً عن مظاهر الطبيعة التي قدستها العقائد القديمة وعن الإنسان، كما تتحدث عن الإلهي الذي يمكن أن يمثل قوة روحية مستقلة تتجاوز المناحرات السياسية.

وفي سياق هذا التطور الروحي - الفكري ظهرت تجربة روحية أخرى في إيران تختلف في بنيتها عما سبقها من تجارب دينية، وهي تؤكد الطبيعة الأخلاقية للإلهي وتجعله يتجاوز الحدود السياسية للدولة وكذلك الحدود الإثنية. فالديانة الزرادشتية تبدّت بصورة مستقلة تماماً عن الصورة التي تبدّت فيها الدولة. وإذا كانت محاولة التوفيق بين الدولة والعقيدة الزرادشتية مصدراً لمشكلات خطيرة في تاريخ الفرس القديم فإن خطورة هذه التجربة نفسها تكمن في أن هذه النظرية الكونية قد ظهرت في الشرق أيضاً ولم تكن صادرة عن الدولة ولا مرتبطة، بالضرورة بشعب بعينه.ويعد هذا الإنجاز، أعظم منجزات حضارات الشرق القديم، إنه الانتصار على الذات، لكنه في الوقت نفسه نقطة النهاية في تاريخ هذا الشرق، لأنه كان بداية لعصر جديد.

على أن أهم مظاهر الضعف في كيان الإمبراطورية الأخمينية عجزها عن احتواء الثورة الإيونية ومقاومة المدن اليونانية. فبعد حشويرش الأول (٤٨٥/٤٨٦-٤٦٥ق.م) تسارع التدهور ولم يكن لعواهل فارس من هدف سوى مقاومة الدول الصغيرة في العالم الهلّيني، التي أرادت أن تفيد من الصراع الداخلي في الإمبراطورية، كما في مصر، للحد من وطأة ضغط الجيوش الفارسية الكثيفة عليها. وقد رد الفرس بنثر الدنانير لزرع الشقاق في صفوف الهلّينيين وإيقاف هجماتهم على الحدود الغربية للإمبراطورية ثم أخذوا بمصالحة بعض المدن على حساب مدن أخرى، ومهما يكن فإنه كان من المستحيل على أية دولة من دول المدن الإغريقية أن تتوسع في أراضي الإمبراطورية الفارسية القوية المترامية الأطراف والتي امتدت حياتها بعد ذلك قرناً ونصف القرن.

وكان موت حشويرش مأساة كبيرة في داخل القصر، وربما تم على أيدي الحريم، وهو ما صار من المألوف تكراره بعد ذلك عند كل تبديل للحاكم عندما لا يكون بفعل الحاشية. وخلف الملك الصريع ابنه أرتا حشويرش (٤٦٥-٤٢٤ق.م) الذي كان له ضلع في الجريمة بوساطة قائد حرسه الذي قتل أيضاً. وقبل هذا الملك آخر الأمر بالتخلي عن الساحل الغربي لآسيا الصغرى ومجموعة من الجزر على أن تتعهد أثينة بألا تمضي في مساعدة ثورة مصر. ثم جاءت الحروب البلوبونيزية (٤٣١-٤٠٤ق.م) التي عمّقت انقسام العالم الهلّيني فتمكن حاكم الأناضول الفارسي من استرداد مواقعه على الساحل الغربي الذي اندلعت فيه الثورة على الأثينيين.

تدهور الإمبراطورية ونهاية الأسرة المالكة الأخمينية :

يتألف تاريخ الأسرة المالكة الأخمينية من سلسلة من الصراعات الدامية التي عجلت بتدهور الإمبراطورية وحفرت طريق نهايتها. فعندما مات أرتا حشويرش الأول (٤٢٤ق.م) خلّف ثمانية عشر ولداً، وورث العرش حشويرش الثاني لمدة خمسة وأربعين يوماً وانتهت حياته مسموماً على يد مغتصب لم يحتفظ بالعرش أكثر من ستة أشهر إذ قتل على يدي داريوس الثاني (٤٢٣-٤٠٤ق.م) الذي ضمن العرش لنفسه بعد أن تخلّص من إخوته وجعل أخته تحكم معه وتزوج باريزاتيس التي كانت امرأة شرسة صعبة المراس. وكان التنافس شديد في القصر الإمبراطوري على قيادة الجيوش وعلى طريقة إدارة الصراع مع الهلّينيين.

وعندما مات داريوس الثاني ورثه ابنه البكر أرتا حشويرش الثاني (٤٠٤-٣٥٨ق.م) وكان لا يملك إلا مؤهلات ضعيفة. وقد وفر حياة أخيه قوروش الذي تآمر عليه مع زوجة أبيه باريزاتيس، ولكن الأمير الفتي حشد جيشاً في آسيا الصغرى وعاد للإطاحة بأخيه ولكنه قتل في عام ٤٠١ق.م في معركة قرب بابل. وقد تبددت قواته ولكن عشرة آلاف من المرتزقة اليونانيين الذين كانوا مهددين بالإبادة والفناء استطاعوا الانسحاب في ظروف صعبة ووصلوا إلى شاطئ البحر الأسود بعد مسيرة سبعة أشهر.

وقد وصف المؤرخ كزينوفون (٤٣٠-٣٥٥ق.م) هذا الانسحاب الملحمي في كتابه «الصعود **Anabasis**» ، ولقد تسبب هذا الإنجاز الذي حققه الهلّينيون في تبديد رصيد الإمبراطورية الفارسية لدى حلفائها و شجع الإغريق وحلفاءهم على المضي في تحدّيها. فهاجمت اسبرطة ممتلكات فارس في آسيا الصغرى، ووجد الملك الفارسي صعوبات في إخماد الاضطرابات العنيفة في مصر وقبرص.

ومن الأمثلة الفاضحة على التدهور في آخر الإمبراطوريات الشرقية القديمة أنه كان لـ "أرتا حشويرش" مئة وخمسة عشر ولداً من ثلاثمئة و ستين جارية. وقد حاول بعض أفراد أسرته اقتناص الحكم واختصار مدة ملكه، فحصلت فواجع من جرّاء ذلك فقتل ابنه البكر، وتمكّن ولد آخر من اعتلاء العرش بعد قتل اثنين من إخوته ودعي باسم أرتا حشويرش الثالث (٣٥٨-٣٣٨ق.م). واشتهر هذا الملك بقسوته

وفظاظته ولكنه نجح لأمد في ترميم كيان المملكة فضرب على أيدي الأمراء والولاة المتطلعين إلى الاستقلال وقمع ثورة أخرى قامت في مصر (٣٤٦-٣٤٣ق.م). ولكنه كان قلقاً من صعود مقدونية وتقدم نفوذها في العالم الهليني فأخذ يساعد خصوم الملك فيليب الثاني سراً وعلانية. ولكنه مات آخر الأمر مسموماً على أيدي أحد رجال القصر الخصي باجواس الذي قتل خلفه أوراسيس (أرسيس) بالسم أيضاً بعد أن حكم مدة قصيرة (٣٣٨-٣٣٦م) و ساعد باجواس على اختيار داريوس الثالث من أحفاد داريوس الثاني لوراثة العرش (٣٣٦-٣٣٠ق.م). واستطاع داريوس (دارا) أن يجعل الخصي المتآمر يتجرع السم الذي أعده لقتل ملكه. وتحرك فيليب الثاني المقدوني بإرسال جيش لتخليص آسيا الصغرى من حكم الفرس ولكن الجيش أوقف تقدمه بعد اغتيال العاهل المقدوني (٣٣٦ق.م). إلا أن وراثة الاسكندر عرش أبيه القتيل دفع الأحداث إلى منعطف جديد فاستؤنفت الحرب باندفاع جديد لم يسبق له مثيل لتحقيق أهداف استراتيجية لم يعلن عنها من قبل هي إيقاع هزيمة حاسمة بالإمبراطورية الفارسية. وهكذا توالت المجابهات بين الملك المقدوني الشاب وجيوش الإمبراطورية الفارسية الأخمينية وتوالت الهزائم في كيليكية وفي خليج الاسكندرونة عند أبواب سوريا وفي أربيل في بلاد آشور. وبعد أن دخل الاسكندر بابل وسوسة وبرسبوليس انسحب آخر الملوك الأخمينيين شرقاً إلى هركانية حيث قتل (٣٣٠ ق.م) على يد أحد الولاة المحليين الذي كان يأمل في مكافأة الاسكندر له لكنه لقي ما يستحق من جزاء على غدره وفعلته الشنعاء. وهكذا انهارت الإمبراطورية الشرقية الشاملة لتحل محلها الإمبراطورية العالمية التي جمعت لأول مرة بلاداً من الشرق والغرب.

الحكام الأخمينيون :

- أخمينس الفارسي
- تايسبس من أنشان،ابن أخمينس
- قورش الأول من أنشان, ابن تايسبس
- أريا رامنس الفارسي, ابن تايسبس ومشارك في الحكم مع قورش الأول
- قمبيز الأول من أنشان, ابن قورش الأول
- أرساميس الفارسي، ابن أريا رامنس ومشارك في الحكم مع قمبيز الأول
- قورش الثاني، الأكبر،ابن قمبيز الأول, حكم من (ح ٥٥٠ - ٥٣٠ ق.م.) حاكم أنشان ح. ٥٥٩ ق.م. - فتح ميديا ٥٥٠ق.م.
- قمبيز الثاني،ابن قورش الأعظم, حكم ٥٢٩ - ٥٢٢ ق.م
- سميردس)برديا), ابن مزعوم لقورش الأكبر, حكم ٥٢٢ ق.م. محتمل أن يكون غاصباً للعرش.
- داريوش الأول(داريوس الأول، الأكبر)، صهر سميردس، وحفيد أرساميس، وحكم ٥٢١ - ٤٨٦ ق.م.
- خشايارشا الأول (خرخس الأول)، ابن داريوش الأول، وحكم ٤٨٥ - ٤٦٥ ق.م.
- أردشير الأول الأخميني) أرتاخرخس الأول لونجيمانوس) ابن خرخس الأول، حكم٤٦٥ - ٤٢٤ ق.م.
- خشايارشا الثاني)خرخس الثاني)، ابن أردشير الأول, حكم ٤٢٤ ق.م.

- سجديانوس، أخ غير شقيق ومنافس لخشايارشا الثاني, حكم ٤٢٤ – ٤٢٣ ق.م.
- داريوش الثاني)داريوس الثاني نوثوس)، أخ غير شقيق ومنافس لخشايارشا الثاني, حكم٤٢٣ – ٤٠٥ ق.م.
- أردشير الثاني الأخميني (أرتاخرخس الثاني الشهير ((منيمون))، ابن داريوش الثاني, حكم ٤٠٤ – ٣٥٩ ق.م.
- أردشير الثالث الأخميني) |أرتاخرخس الثالث اوخوس)، ابن أردشير الثاني, حكم ٣٥٨ – ٣٣٨ ق.م.
- أردشير الرابع الأخميني (أرتاخرخس الرابع أرسيس) ابن أردشير الثالث، وحكم٣٣٨ - ٣٣٦ق.م.
- داريوس الثالث (داريوس الثالث كودومانّوس)، ابن حفيد داريوش الثاني, حكم ٣٣٦ – ٣٣٠ ق.م.
- الإسكندر المقدوني هزيمة الإمبراطورية الأخمينية ٣٣٠ ق.م.

الأدلة المكتوبة لهؤلاء الحكام لا يمكن التأكد منها، وكثيراً ما يعتقد أنها مختلقة من قبل داريوش الأول.

قوروش الثاني، أو قورش الكبير (٥٧٦ أو ٥٩٠ ق.م. - أغسطس ٥٣٠ ق.م.):

وهو مؤسس الامبراطورية الفارسية الأخمينية. كزعيم للفرس في أنشان، هزم الميديين ووحد مملكتين إبرانيتين؛ ثم كملك فارس بنى امبراطورية من ٥٥٩ ق.م. حتى وفاته. الامبراطورية توسعت تحت حكمه لتضم جنوب غرب آسيا، ومعظم آسيا الوسطى ومعظم المناطق على حافة الامبراطورية الهندية، خالقاً بذلك أكبر امبراطورية شهدها العالم حتى ذلك الحين خلال حكمه الذي دام ٢٩ عاماً، حارب قورش بعض أعظم الدول في العصر الكلاسيكي السابق، ومنهم الدولة الميدية، الدولة الليدية، الدولة البابلية الحديثة. قورش لم يتقدم باتجاه مصر، فقد مات في معركة ضد المساجيتاي بوادي نهر سير داريا في أغسطس ٥٣٠ ق.م. خلف قورش ابنه قمبيز الثاني، الذي ا ستطاع غزو مـصر خلال فترة حكمه القـصيرة قورش هو أول ملك يضاف إلى اسمه لقب "الكبير"، أو قَـزْرَكا في الفارسية القديمة، (بـُزُرْگ في الفارسية المعاصرة)، وهو أسلوب ألقاب ملكية استعمله خلفاؤه الأخمينيون بما فيهم داريوش الكبير، خرخس الكبير، إلخ. ويعتبره معظم الإيرانيون أباً لإيران. وخارج دولته، ترك قورش أثراً لا ينمحي في الدين والـسيا سة والا ستراتيجية العسكرية وكذلك في حضارات الشرق الأوسط والغرب.

الفصل الثالث
الفترة من ٣٢٣-١٤١ق.م: قيام الدولة السلوقية

بعد أكثر من عشر سنوات من موت الإسكندر في ٣٢٣ ق.م. أسس سلوقوس أحد قواده أسرة لتحكم فارس والمناطق المجاورة ، كانت تضم آسيا الصغرى وبلاد الشام والعراق وإيران، وشيد له عاصمة جديدة باسم "سلوقية" على نهر دجلة في العراق، والقسم الغربي وأسس له العاصمة "أنطاكية" على نهر العاصي.

تناوب على مملكة السلوقيين ثمانية عشر ملكاً.أنشأ السلوقيين العديد من المدن وأدخلوا الثقافة اليونانية في غربي آسيا وفي اواسطها . وتمكن الفرثيون من حكم فارس بدءاً من ١٥٥ ق.م.

السلوقيون ٣١٢ – ٦٤ ق.م:

هي سلالة هلنستية ترجع تسميتها إلى مؤسس الأسرة الحاكمة للدولة السلوقية، سلوقس الأول نيكاتور أحد قادة جيش الإسكندر الأكبر، شكلت هذه الدولة إحدى دول ملوك طوائف الإسكندر، التي نشأت بعد موت الإسكندر المقدوني، وخلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد حكمت منطقة غرب آسيا، وامتدت من سوريا وتراقياغرباً وحتى الهند شرقاً. كان للسلوقيين الدور الكبير في تفاعل الحضارة الإغريقية و الحضارات الشرقية. كثيراً ما يرد ذكر السلوقيين لدى المؤرخين الغربيين كأعداء لروما، خلال ما عرف بالحروب الرومانية السورية في الفترة ما بين (١٩٢ - ١٨٨ ق.م.) بقيادة أنطيوخوس الثالث الكبير.

الامتداد :

غنم الإسكندر المقدوني أراضي الإمبراطوريةالأخمينية وكانت حصّة السلوقيين الجزء الأكبر منها بعد قسمة موته، فيما عدا مصر التي نالها البطالمة، وهكذا كانت حدود الدولة:

- شرقاً: دولة ماوريا في الهند
- غرباً: الدولة المقدونية في اليونان
- شمالاً: المملكة الإغريقية الباخترية
- جنوباً: شبه الجزيرة العربية، ومصر البطلمية

شاملة بذلك كلاً من آسيا الصغرى والهلال الخصيب وفارس .

كانت عاصمة الدولة السلوقية مدينة سلوقية على نهر دجلة في العراق لكن تم نقل عاصمتهم في ما بعد إلى مدينة أنطاكية في سوريا التي أسسوها. ومع هذا الامتداد الهائل إلا أنه يمكن اعتبار منطقة شمال غرب الهلال الخصيب هي المنطقة النواة للإمبرطورية السلوقية، وذلك من خلال المدن الأربعة تترابوليس التي أزدهرت في هذه المرحلة وهي:

- سلوقية
- أنطاكية عند مصب نهر العاصي.
- اللاذقية في سورية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط التي اعتبرت الميناء الهام لأنطاكية على بعد ٣٢ كم منها.
- أفاميا في سورية.

تاريخ :

كان سلوقس الأول المنصور أحد ملوك الطوائف الذين اجتمعوا بعد موت الإسكندر المقدوني في اتفاقية تريباراديسوس (Triparadisus) عند نهر العاصي في سوريةعام ٣٢١ ق.م. لتقاسم الإمبرطورية، وكان أن نال سلوقس الأول ولاية بابل، لكنه ما لبث أن اتجه إلى بطليموس الأول إثر الهجوم الذي شنه القائد أنتيجونوس الأول مونوفثالموس في العام (٣١٦ ق.م) على شرق الهلال الخصيب، لكنه عاد في العام ٣١٢ ق.م. وأعلن بداية الحكم السلوقي رسمياً، وتبع ذلك في العام ٣٠٥ ق.م. بتلقيب نفسه ملكاً أسوة بباقي ملوك الطوائف، وجعل من سلوقية على دجلة عاصمة لحكمه، وتابع سلسلة من المعارك في شرق الإمبراطورية، وكان أن تخلى بعد صلح عن مناطق قريبة من الهند لصالح دولة ماوريا .



عملة معدنية تعود لحقبة الملك السلوقي سلوقس الأول المنصور

شكل أنتيجونوس الأول مونوفثالموس خطراً على بقية ملوك الطوائف بمطالبته لنفسه بخلافة الإسكندر الأكبر، وما كان من سلوقس الأول إلا أن تحالف مع القائد ليسيماخوس وهزماه فيمعركة إبسوس بالعام (٣٠١ ق.م) في فريجيا، وبذلك ضم غرب الهلال الخصيب وطور أنطاكية في شمال غرب سورية لتصبح عاصمة لحكمه، إلا أن ليسيماخوس الذي سيطر على مقدونيا أصبح مصدر خطر على سلوقس الأول، مما أدى إلى وقوع معركة بينهما معركة كوروبيديوم(عند مانيسا المعاصرة) في عام ٢٨١ ق.م، انتصر فيها سلوقس الأول ووضع تحت قيادته الجزء الأكبر من إمبراطورية الإسكندر الأكبر، وفي أثناء تقدمهنحو مقدونيا اغتاله بطليموس كيراونوس أحد المطالبين بالعرش المقدوني في نفس العام ٢٨١ ق م.

حروب ومعارك :

لم يعترف السلوقيون بسيادة البطالمة على القسم الجنوبي الغربي من الهلال الخصيب، المسمى) Coele-Syria / كل سوريا) أو سورية الجوفاء وخاضوا ضدهم سلسلة من الحروب عرفت باسم الحروب السورية ٢٧٨ - ١٦٨ ق.م.

لم يستطيعوا في الأربع سنوات الأولى منها تثبيت سيادتهم العسكرية، كما حاربت الدويلات الهلنستية بعضها في الأناضول، وحارب السلوقيون مجموعات البدو البارثيين الذين نزلوا منطقة جنوب بحر قزوين وشكلوا ماعرف بدولة الأشكانيان أو الأرشيكون.

ودام أمر الحروب بعد تولي أنطيوخوس الأول سوتر (٢٨١- ٢٦١ ق.م)(Antiochus I Soter) ابن سلوقس الأول، حيث تحالف مع ماجاس القوريني (Magas of Cyrene) ضدبطليموس الثاني في الحرب السورية الأولى وحقق نجاحاً محدوداً، وبعد أن قتل في إحدى المعارك ضد الكلت، تولى بعده ابنه أنطويوخس الثاني ثيوس (Antiochus II Theos) حكم(٢٦١- ٢٤٦ ق.م) الذي حصل في الحرب السورية الثانية على أجزاء من ايونيا (Ionia)، ثم تولى سلوقس الثاني كالينيكوس (Seleucus II Callinicus) حكم (٢٤٦- ٢٢٦ ق.م) والذي حصلت الحرب السورية الثالثة في عهده.

مع اعتلاء أنطيوخوس الثالث الكبير الحكم في (١٢٣- ١٨٧ ق.م) وهو الأخ الأصغر لسلوقس الثالث كيرانوس (Seleucus III Ceraunus)، عادت الدولة السلوقية لتستعيد قوتها وتبسط سيطرتها على أجزاء واسعة، فقد أعادت السيطرة على أجزاء من الأناضول وصولاً إلى أرمينيا، وأجزاء من (كل سوريا) في الحرب السورية الرابعة في معركة رفح في العام (٢١٧ ق.م) الذي واجه بها بطليموس الرابع، إلا أنه استطاع في العام (٢٠٠ ق.م) السيطرة التامة على منطقة جنوب غرب الهلال الخصيب في معركة بانياس الحولة في الجولان جنوب غرب سوريا، كما وعمت سيطرة الدولة السلوقية بدءاً من العام (١٩٦ ق.م) على كل آسيا الصغرى بما في ذلك المناطق الساحلية، وامتد نفوذ الدولة حتى تراقيا، مما أدى إلى المواجهة مع الرومان الذين دخلوا المنطقة اليونانية في نفس الفترة بما عرف باسم الحروب الرومانية السورية (Roman-Syrian War) في الفترة ما بين(١٩٢- ١٨٨ ق.م) والتي انتهت بخسارة السلوقيين في معركة ماغنسيا (Magnesia) في العام (١٩٠ق.م) فاضطر السلوقيون إلى توقيع معاهدة صلح أفاميا (في فريجيا) في سوريا عام (١٨٨ ق.م) مع الجمهورية الرومانية، فتراجعت بموجبها الدولة السلوقية حتى قيليقيا.

بعد موت أنطيوخس الثالث (١٨٧ ق.م) استقلت الأقاليم التي ضمّت للدولة في عهده واقتصرت حدود الدولة السلوقية على الهلال الخصيب وغرب إيران، و بدأت الإمبراطورية الرومانية بفرض سطوتها، وكذلك الإمبراطورية الفارسية، وعادت الأوضاع لتتحسن مع اعتلاء انطيوخوس الرابع الظاهر العرش (١٧٥-١٦٤ق.م) حيث حدثت الحرب السورية السادسة (١٧٠ ق.م) واحتل السلوقين مصر وهزم البطالمة وتمت سيطرت الدولة السلوقية على الجزء الأكبر من مصر السفلى، وامتد حكم الدولة السلوقية في مناطق واسعة من مصر، وفي يوم إلفسينا عام (١٦٨ق.م) أرسل مبعوث روما وتم الأتفاق بين السلوقيين والروم وتخلى السلوقيون بموجبها عن الجزء الجنوبي، وفي طريق عودته قام بتدمير معبدأورشليم (القدس(في العام (١٦٧ق.م) لمعاقبة اليهود الذين تحالفوا مع البطالمة ضد الدولة، وعلى أثر ذلك حدث التمردالحشموني (المكابية اليهودية) في جنوب غرب الهلال الخصيب (فلسطين) (١٦٥ق.م)، كذلك أعاد الظاهر انطيوخوس ضم أرمينا للدولة السلوقية، ومات في إحدى المعارك على الجبهة الشرقية.

بين عامي ١٦٢ و ١٥٠ ق.م اعتلى عرش المملكة السلوقية ديمتريوس الأول سوتر (Demetrius I Soter) ابن سلوقس الرابع الذي عاد من أسره في روما، وأعاد شرق الهلال الخصيب من يد السيطرة الفارسية، وكانت هذه الفترة بداية النزاعات على الحكم والقلاقل الداخلية في المملكة، ومع العام (١٤٢ ق.م) تسنى لديودوتوس (Diodotus Tryphon) المُلك ،الأمر الذي أدى إلى ثورات في العديد من المدن واستقلال أو حكم ذاتي لكل من صور وصيدا وطرطوسوطرابلس وعسقلان واللاذقية وأورشليم وبيروت ومحولة منه لتهدئة الأوضاع الداخلية قام بإعفاء مقاطعة يهوذا من الضرائب ومنحها نوع من الحكم الذاتي، كما ازداد نفوذ الأنباط في جنوب غرب الهلال الخصيب وتلقب زعماؤهم بالملوك (منذ أواسط القرن الثاني)، ونافسوا دولة يهوذا، وبقيت حال الفوضى ففقدت المملكة جزأها الشرقي للفرس مرة أخرى، إلى أن تولى الحكم أنطيوخوس السابع

الصيديوني (Antiochus VII Sidetes) حكم (١٣٨- ١٢٩ق.م) حيث أعاد سيطرة الدولة على كامل الهلال الخصيب.

نهاية الدولة :

بعد حكم أنطيوخوس السابع خضعت الدولة السلوقية لنفوذ وتدخل الممالك المجاورة، وبدأ من العام (١٢٥ ق.م) تواجد أكثر من ملك في نفس الوقت للدولة، فكان البطالمة يتحالفون مع المطالبين بالعرش في سبيل إضعاف الملوك الموجودين على العرش، وزادت الصراعات الداخلية في المملكة وفي البيت الملكي بين الأخوة وأبناء العمومة، وبقي الحال على ذلك حتى العام (٨٣ق.م) حيث أستغل ملك أرمينيا ديكرانوس الثاني حكم (٨٣- ٦٩ ق.م) هذه الفوضى وقام بمهاجمة السلوقيين والسيطرة على جزء من مملكتهم في سوريا، ولكنه مالبث أن هزم في مواجهته مع الرومان في العام (٦٩ ق.م)، وعاد الملك السلوقي تحت حكم الملك أنطيوخوس الثالث عشر (Antiochus XIII Asiaticus) حكم (٦٩- ٦٤ ق.م) ولكنه تابع للقيادة الرومانية، وكان أن نافسه ابنه فيبيب الثاني (٦٥- ٦٣ ق.م)، إلا أن القائد الروماني بومبي أنهى الحكم السلوقي في العام (٦٣ ق.م) وجعل من سوريا مركز الامبراطورية الرومانية الشرقية وهو ماعُرف بالولاية الرومانية السورية.





عملة معدنية تعود لحقبة الملك السلوقي أنطيوخس الرابع

مظاهر الحضارة السلوقية :

لقد كانت مهمة الدول السلوقية في التاريخ أن تهب الشرق الأدنى الاستقرار الاقتصادي والنظام السياسي، اللذين وهبتهما إياه فارس قبل الإسكندر، واللذين أعادتهما إليه رومة بعد قيصر. ولقد أدت في واقع الأمر هذه المهمة رغم ما ينتاب أحوال البشر من حروب وثورات ونهب وفساد. ذلك أن الفتوح المقدونية قد حطمت ما أقامته الحكومات واللغات من حواجز بين الأمم، ودعت الشرق والغرب إلى تبادل المصالح التجارية تبادلاً أتم مما كان بينهما من قبل؛ وكانت نتيجة هذا أن بُعثت الحياة في بلاد آسية اليونانية بعثاً باهراً جديداً. فبينما كان الانقسام والنزاع وجدب التربة وتحول الطرق التجارية يقضي على بلاد اليونان الأصلية، كانت الوحدة والسلم اللتان احتفظ بهما الأباطرة السلوقيون ذواتي أثر عظيم في تشجيع الزراعة والتجارة والصناعة. ولم تعد مدن آسية اليونانية حرة في إشعال نار الثورات أو التجارب في أساليب الحكم؛ بل أرغمها الملوك على أن تأتلف، حتى أصبح الائتلاف إلهاً يعبد في هذه المدن، وكانت نتيجة هذا أن ازدهرت من جديد مدن قديمة مثل ميليطس، وإفسوس، وأزمير.

وكانت أودية دجلة والفرات، والأردن، والعاصي، وهاليس، وميندر، وجيحون خصبة إلى حد لا يستطيع خيالنا أن يتصوره الآن لما يثقله من مناظر الصحارى، والقفار الصخرية التي تغطي أصقاع واسعة من بلاد الشرق الأدنى بعد أن ظلت ألفي عام كاملة معرضة لعوامل التعرية، ولتقطيع الغابات وإهمال الأهلين حرثها وزرعها.

وكانت الأرض في أيام تلك الإمبراطورية ترويها شبكة من القنوات تشرف عليها الدولة وتُعني بأمرها. وكانت وقتئذ ملكاً للملوك والنبلاء من رجال حاشيته، أو للمدن، أو الهياكل، أو الأفراد. وكان الأقنان هم الذين يزرعونها في جميع هذه الأحوال وينتقلون معها إذا ما أورثت أو بيعت. وكانت الحكومة تعد كل ما تحتويه الأرض من ثروة ملكاً قومياً، ولكنها قلما كانت تُعنى باستغلالها. وقد بلغت الحرف وقتئذ، والمدن نفسها، درجة عظيمة من التخصص؛ فكانت مليطس مثلاً مركزاً هاماً لصناعة النسيج، وكانت أنطاكية تستورد المواد الغفل وتحيلها إلى بضائع مصنوعة، وبلغت بعض المصانع الكبرى التي تستخدم العبيد درجة لا بأس بها من الإنتاج الكبير ترسله للأسواق العامة. ولكن الاستهلاك المحلي لم يجارِ الإنتاج، لأن فقر الأهلين لم يساعد على قيام أسواق محلية كبيرة تشجع الصناعات الكبرى.

وكانت التجارة حياة الاقتصاد الهلنستي، فهي التي أوجدت الثروات الكبرى، وشادت المدن العظيمة، واستخدمت نسبة متزايدة من السكان الآخذين في الازدياد. وحل التعامل بالنقد في ذلك الوقت محل المقايضة التي ظلت أربعة قرون وسيلة للتعامل لم تقضِ عليها نقود كروسس. لكنها وقتئذ كادت تختفي اختفاءاً تاماً من تلك البلاد، فقد أصدرت مصر، ورودس، وسلوقية، وبرجموم، وغيرها من الحكومات نقوداً بلغت من الاستقرار والتشابه حداً يكفي لتيسير التجارة الدولية. وكانت المصارف تُيَسر وسائل الائتمان الفردي والعام، وكانت السفن كبيرة تتراوح سرعتها بين أربعة أميال بحرية وستة أميال في الساعة، وكان لها فضل تقصير المسافات بعد أن استطاعت السير في عرض البحار.

وفي البر عنى السلوقيون بالطرق الكبرى التي ورثتها بلاد الشرق عن فارس، وأكثروا منها، وزادوا في أطوالها. وكانت طرق القوافل الممتدة من أطراف آسية الصغرى تلتقي في سلوقية ثم تتفرع منها إلى دمشق، وبريتس (بيروت) وأنطاكية. وأثرت سلوقية من هذه التجارة الواسعة، وعملت على إنمائها، فقامت أحياء غاصة بالسكان فيها وفي بابل، وصور، وطرسوس، وزانثوس، ورودس، وهليكرنسس، ومليطس، وإفسوس، وأزمير، وبرجموم، وبيزنطية، وسزيكوس **Cyzicus**، وأباميا**Apamea**، وهرقلية، وأمسوس **Amisus**، وسينوب، وبنتيكبيوم **Banticapaeum**، وألبيا **Albia**، ولسماكيا **Lysimacheia**، وأبيدوس، وثسلونيكا (سلونيكا)، وخلقيس، وديلوس، وكورنثة، وأمبراشيا **Ambracia**، وإبدامنوس) **Epidamnus** درازو الحالية)، وتراس، ونيبوليس **Neapolis** (نابلي) وروما، ومساليا، وإمبوريوم **Emporium**، وبنورموس **Banormus** (بالرمو)، وسرقوسة، ويوتيكا **Utica**، وقرطاجة، وقوريني **Cyrene** والإسكندرية. وكانت شبكة ناشطة من طرق التجارة تربط أسبانيا في عهد قرطاجة بروما؛ وقرطاجة في أيام هملكار وسرقوسة في عهد هيرون الثاني بروما أيام آل سبيو؛ ومقدونية في عهدالأنتجونيين، وبلاد اليونان في عهد العصب المتحالفة، ومصر في عهد البطالمة، والشرق الأدنى في عهد السلوقيين، والهند في عهد آل موريا **Maurya**، والصين في عهد أسرة هان. وكانت الطرق الآتية من بلاد الصين تخترق التركستان، وبكتريا، وفارس، أو تجتاز بحر أرال والبحر الأسود وبحر قزوين. أما الطرق الآتية من الهند فكانت تجتاز أفغانستان وفارس إلى سلوقية أو تخترق بلاد العرب والبتراء إلى أور شليم ودمشق، أو تعبر المحيط الهندي إلى أدانا (عدن) ثم تجتاز البحر الأحمر إلى أرستوي (السويس الحالية)، ومنها إلى الإسكندرية. ومن أجل الإشراف على هذين الطريقين الآخرين اشتبك السلوقيون والبطالمة في "الحروب السورية" التي أضعفتهما جميعاً آخر الأمر ضعفاً أخضعهما إلى روما.

وورثت الملكية السلوقية التقاليد الآسيوية فكانت ملكية مطلقة، لا تحد من سلطتها جمعية شعبية. وقد نظم بلاط الملك على الطراز الشرقي فكان فيه رجال التشريفات ذوو الملابس المزركشة، والحلل الرسمية، والبخور ، والموسيقى؛ ولم يبقَ فيه شيء يوناني عدا الكلام والملابس الداخلية. ولم يكن الأشراف فيها زعماء شبه مستقلين كما كانت الحال في مقدونية وفي أوربا في العصور الوسطى، بل كانوا موظفين إداريين أو عسكريين يُعينهم الملوك. وهذا النظام الملكي هو الذي انتقل من بلاد الفرس عن طريق السلوقيين والساسانيين إلى روما في عهد دقلديانوس، وبيزنطية في عهد قسطنطين. وكان السلوقيون يعرفون أن سلطانهم في هذا المحيط الأجنبي إنما يعتمد على ولاء السكان اليونان، ولهذا بذلوا كل ما يستطيعون من جهد لإعادة المدن اليونانية القديمة وإنشاء مدن أخرى جديدة؛ فأنشأ سلوقس الأول تسع مدن باسم سلوقية ، وستاً باسم أنطاكية وخمساً باسم لأوديسيا، وثلاثاً باسم أباميا، وواحدة باسم أسترتونيس Stratonice، وحذا خلفاؤه حذوه بقدر ما وسعته جهودهم التي كانت أقل من جهوده. ونمت هذه المدن وتضاعف عددها كما حدث في أمريكا في القرن التاسع عشر.

وعن طريقهم أخذ غربي آسية يصطبغ بالصبغة اليونانية بخطى سريعة في ظاهر الأمر. ولا حاجة إلى القول بأن هذه العملية كانت قديمة العهد، فقد بدأت في أيام الهجرة الكبرى، وكان الانتشار الهلنستي من بعض نواحيه هو نهضة أيونيا من جديد وعودة الحضارة اليونانية إلى مواطنها الآسيوية القديمة، ولقد كان اليونانَ حتى قبل الإسكندر يشغلون مناصب رفيعة في الإمبراطورية الفارسية، كما كان التجار اليونان يسيطرون على المسالك التجارية في الشرق الأدنى القريب. أما الآن فإن الفرص السياسية والتجارية والفنية قد اجتذبت سيلاً جارفاً من المهاجرين المغامرين، والمستعمرين ، والكتبة، والجند ، والتجار، والأطباء، والعلماء، والسراري. وكان المثّالون والحفارون اليونان ينحتون التماثيل وينقشون النقود لملوك فينيقية، وليشيا، وكاريا، وصقلية، وبكتريا.

وهرعت الراقصات اليونانيات إلى الثغور الآسيوية، وغشى الفساد الخلقي الجنسي ستار يوناني ظريف، وأثارت مدارس الألعاب الرياضية اليونانية وساحاتها في بعض الشرقيين شغفاً لم يألفوه من قبل بالألعاب والحمامات. فأنشأت المدن طرقاً جديدة تمدها بالماء ونظماً جديدة لصرف الأقذار، ورصفت الطرق ونظفت. ونشطت المدارس، ودور الكتب، والتمثيل والقراءة والأدب؛ وكان طلاب العلم في الكليات والجامعات يطوفون بشوارع المدن يحاجج بعضهم بعضاً، أو يحاجون الناس كما كانوا يفعلون في العهد القديم؛ ولم يكن أحد يحسب من المثقفين إلا إذا كان يفهم اللغة اليونانية، ويستطيع الاستمتاع بمسرحيات مناندر، ويوربديز.

وكانت سيطرة الحضارة اليونانية على بلاد الشرق الأدنى من أغرب الظواهر في التاريخ القديم؛ ولم ترَ آسيا من قبل مثل هذا التبدل السريع الواسع المدى. غير أننا لا نعرف من تفاصيله وآثاره إلا النزر اليسير؛ ذلك أن ما وصلنا من المعلومات عن آداب آسية السلوقية، وفلسفتها، وعلومها جد ضئيل، وإذا لم نجد فيه إلا عدداً قليلاً من الشخصيات الجبارة أمثال زينون الرواقي، وسلوقس الفلكي، وفي العهد الروماني مليجر الشاعر، وبسيدبس الذي كان يلم بكثير من العلوم المختلفة، إذا لم نجد إلا هذا العدد القليل فإنا لا نستطيع أن نجزم أنه لم يكن هناك كثيرون غيرهم. والحق أن هذه الثقافة كانت ثقافة مزدهرة، ذات ألوان متعددة، رقيقة مهذبة، متحمسة، لا تقل خصباً في الفنون عن أية ثقافة سبقتها. ومبلغ علمنا أنه لم توجد قبلها ثقافة تضارعها في سعة انتشارها وفي وحدتها المعقدة بين ما كان يحيط بها من بيئات متباينة. وقصارى القول أن غرب آسية ظل مدى قرن من الزمان تابعاً لأوربا، وأن السبيل قد مُهد للسلام الروماني والتآلف المسيحي الجامع الشامل.

ولكن هذا لا يعني أن الشرق قد غلب على أمره، فلقد كانت خصائصه متأصلة فيه قديمة العهد، ولم يكن من اليسير أن يسلم روحه إلى الغرب أياً كانت قوته. لهذا ظلت جمهرة الناس تتخاطب بلغاتها الوطنية، وتجري على سننها وأساليبها المألوفة من قديم الزمان، وتعبد الآلهة التي كان يعبدها آباؤها وأجدادها؛ وكان الغشاء اليوناني الذي يغشى البلاد البعيدة عن شواطئ البحر الأبيض المتوسط رقيقاً،

وكانت المراكز الهلينية القائمة في هذه الأصقاع أمثال سلوقية على نهر دجلة جزائر يونانية في البحر الشرقي. ولم تمتزج في هذه الأصقاع الأجناس والثقافات الامتزاج الذي كان يحلم به الإسكندر؛ بل كان من فوق سطحه يونان وحضارة يونانية، ومن تحتها خليط من الشعوب والثقافات الشرقية، ولم تدخل الصفات الذهنية اليونانية في العقل الشرقي، ولم تُحدث ما امتاز بهِ اليونان من نشاط وحب للجديد، وحرص على الشؤون الدنيوية، ورغبة شديدة في الكمال، والتعبير عن الذات والنزعة الفردية القوية، لم يُحدث هذا كله تغييراً ما في أخلاق الشرقيين. بل حدث عكس هذا، حدث على مر الأيام أن جاشت أساليب التفكير والإحساس الشرقية من أسفل وغمرت الطبقة اليونانية الحاكمة، ثم نقلها هؤلاء إلى الغرب فكانت هي التي بدلت العالم "الوثني".

ففي بابل استعاد التاجر السامي ومَصْرَفِيُّ الهيكل الصابران سيطرتهما على الهلني المتقلب الفَرَّار، فاحتفظا بالكتابة المسمارية، وأنزلت اللغة اليونانية إلى المكانة الثانية في عالم الأعمال؛ وأفسد التنجيم، والكيمياء الكاذبة، فلك اليونان وعلومهم الطبيعية، وأثبتت الملكية المطلقة الشرقية أنها أقوى من الديمقراطية اليونانية، وانتهى الأمر بأن فرضت صورتها على الغرب نفسه، فأصبح الملوك اليونان والأباطرة الرومان آلهة كما كانوا في بلاد الشرق، وانتقلت نظرية حق الملوك المقدس التي كانت تسود بلاد الشرق إلى أوربا الحديثة عن طريق رومة والقسطنطينية.

وبث الشرق عن طريق زينون نزعته التجريبية والجبرية في الفلسفة اليونانية، كما سرى تصوفه وتقواه من مئات السبل إلى الفراغ الذي تركه تدهور الدين اليوناني السليم. وسرعان ما قبل اليونان آلهة الشرق ورأوا أنهم في جوهرهم آلهتهم هم؛ ولكن اليوناني لم يكن في واقع الأمر يؤمن بالآلهة كما كان يؤمن بها الشرقي، ولهذا بقي الإله الشرقي ومات الإله اليوناني، فعادت أرتميس الإفيزية كما كانت إلهة شرقية للأمومة، ذات اثنتي عشر ثدياً، واستسلم عدد عظيم من غزاة اليونان للطقوس الدينية البابلية، والفينيقية، والسورية. وقصارى القول أن اليونان عرضوا على الشرق الفلسفة، وأن الشرق عرض على اليونان الدين، كانت الغلبة للدين، لأن الفلسفة كانت ترفاً يقدم للأقلية الضئيلة، أما الدين فكان سلوى للكثيرين. واستعاد الدين سلطانه في هذا التبادل التاريخي المضطرب بين الإيمان والكفر؛ والنزعة التصوفية والنزعة الطبيعية؛ والدين والعلم؛ وذلك لأن الدين أدرك ما ينطوي عليه الإنسان من ضعف وعزلة، وبعث فيه الإلهام والشعر. وقد سَرَّ العالم الذي زالت عن أعينه غشاوة الخداع، العالم المستقل، الذي سئم الحروب، وسر هذا العالم أن يعود إليه الإيمان والأمل. وكان أعمق فتوح الإسكندر أثراً نتيجة أبعد ما تكون عن العقل، ألا وهي أصطباغ الروح الأوربية بالصبغة الشرقية.



عملة معدنية تمثل أحد الحكام السلوقيين

الحكام السلوقيين :

- **سلوقس الأول نيكاتور) ساتراپ(٣١١ -٣٠٥ ق.م.، ملك ٣٠٥ ق.م.-٢٨١ ق.م.**
- **أنطيوخوس الأول (سوتر (حاكم مشارك من ٢٩١، حكم ٢٨١-٢٦١ ق.م.**
- **أنطيوخوس الثاني ثيوس٢٦١ - ٢٤٦ق.م.**
- **سلوقس الثاني كالينيكوس٢٤٦ – ٢٢٥ ق.م.**
- **سلوقس الثالي كراونس(أو سوتر) ٢٢٥ - ٢٢٣ ق.م.**
- **أنطيوخوس الثالث الكبير٢٢٣ - ١٨٧ق.م**
- **سلوقس الرابع فيلوپاتور١٨٧ - ١٧٥ق.م.**
- **أنطيوخوس الرابع المتجلي١٧٥ - ١٦٤ق.م.**
- **أنطيوخوس الخامس أوباتور ١٦٤ – ١٦٢ق.م.**
- **دمتريوس الأول سوتر١٦١ - ١٥٠ق.م.**
- **الإسكندر الأول بالاس١٥٠ - ١٤٥ ق.م.**
- **دمتريوس الثاني نيكاتور (أول حُكم) ، ١٤٥-١٣٨ ق.م**
- **أنطيوخوس السادس ثيوس ١٤٥ - ١٤٠ق.م**
- **ديودوتس تريفون١٤٠ - ١٣٨ق.م.**
- **أنطيوخوس السابع سيديتس) أو ايورجيتس) ١٣٨-١٢٩ ق.م**
- **دمتريوس الثاني نيكاتور (الحُكم الثاني)، ١٢٩-١٢٦ ق.م.**
- **الإسكندر الثاني زابيناس١٢٩ - ١٢٣ق.م**
- **كليوپاترا ثيا١٢٦ - ١٢٣ق.م**
- **سلوقس الخامس فيلومتور١٢٦ /١٢٥ ق.م**
- **أنطيوخوس الثامن گريپوس١٢٥ - ٩٦ق.م**
- **أنطيوخوس التاسع كيزيكنس١١٤ - ٩٦ق.م.**
- **سلوقس السادس إپيفانس نيكاتور٩٦-٩٥ ق.م**
- **أنطيوخوس العاشر ايوسبس فيلوپاتور ٩٥-٩٢ ق.م. أو ٨٣ ق.م.**
- **دمتريوس الثالث ايوكروس) أو فيلوپاتور) ٩٥-٨٧ ق.م**
- **أنطيوخوس الحادي عشر المتجلي فيلادلفوس ٩٥-٩٢ ق.م**
- **فيليپ الأول فيلادلفوس٩٥ - ٨٤ /٨٣ ق.م**
- **أنطيوخوس الثاني عشر ديونيسس ٨٧ - ٨٤ق.م**

-)تيگرانس الأول من أرمينيا٨٣ – ٦٩ق.م
- سلوقس السابع كيبيوساكتس أو فيلومتور عقد ٧٠ ق.م.-عقد ٦٠ ق.م
- أنطيوخوس الثالث عشر آسياتيكوس٦٩ - ٦٤ق.م
- فيليپ الثاني فيلورومايوس٦٥ - ٦٣ق.م.

الإمبراطورية الفرثيّة (البارثية)

التعريف :فرثية أو (پارثيا (Parthiaفارسية وسيطة: اشكانيان

هم السلالة المؤسسة للإمبراطورية البارثية أو بارثيابالفارسية القديمة: پرثوه أو پهلوه (هو اسم منطقة تاريخية في شمال شرق إيران تعادل تقريبا غرب خراسان (عرفت بكونها المركز السياسي والثقافي للسلالة الأرشكية التي حكمت الإمبراطورية البارثية. والتي حاربت السلوقيين ثم الرومان وبقى سلطانها خمساً وسبعين وأربعمائة سنة (٢٤٩ ق.م- ٢٢٦م)، ويسمى أول ملوكها أرشك وينسب، كدأب الفرس في وصل الأسر الحديثة بالقديمة، إلى كيقباد أو كيكاوس.

تختلف الروايات في عدد ملوكهم ومدّة حكمهم بين أحد عشر وعشرين ملكاً، وبين ٢٦٦ و ٥٢٣ سنة. وقد ذكر البيروني روايات مختلفة في عددهم وسنيهم ثم انتهى به التحقيق إلى أن أصح الروايات ما في كتاب الشابورقان أن ما بين الاسكندر إلى أردشير٥٣٧سنة.

وذلك قريب جداً من الحقيقة. وقد بين العلامة المسعودي سبب هذا الاختلاف في مدة دولة الأشكانيين فيما يأتي:

»وبين الفرس وغيرهم من الأمم في تاريخ الاسكندر تفاوت عظيم. وقد أغفل ذلك كثير من الناس. وهو سرّ دياني وملوكى من أسرار الفرس لا يكاد يعرفه إلا الموابذة والهرابذة وغيرهم من ذوى التحصيل منهم والدراية، على ما شاهدناه بأرض فارس وكرمان وغيرهما من أرض الأعاجم.

ويقول مؤرّخو العرب والفرس أن الأشكانيين كانوا أعظم ملوك الطوائف الذين نبغوا في بلاد الفرس بعد الاسكندر، وأن هؤلاء كانوا يقرون بزعامتهم، وأن ملوك الطوائف كانوا زهاء تسعين.وفي كارنامك أردشير بابكان أنهم كانوا أربعين ومائتين.

وكانت إيران إذ ذاك قسمين:

أحدهما خاضع للأشكانيين بغير واسطة. وفيه أربع عشرة ولاية.

والثاني في سلطان ملوك يقرون بزعامة الأشكانيين. وبعضهم يسيطر على ملوك أصغر منه أيضاً.

والأشكانيون كانوا تورانيين، وكانوا يتأثرون الحضارة اليونانية.وكأنه من أجل هذا لم تعن بهم القصص الفار سية عنايتها بالأسر الفار سية. بل سلبتهم بعض وقائعهم وأ سمائهم لتحلى بها وقائع البيشداديين والكيانيين فقارن وكوذرز كيووبيجن ليسوا إلا من أمراء الأشكانيين.

و يقول الفردوسى(الشاعر الفارسي) بعد ذكر ملوكهم:« كان قصيراً أ صلهم وفرعهم فلم يحدّث أهل التجارب بتاريخهم. ولم أسمع عنهم إلا الاسم ولا رأيتهم في كتاب الملوك«.

كانت حضارة إيرانية متواجدة في الجزء الشمالي الشرقي من إيران المعاصرة, ولكن الأسرة البارثية في أوج عظمتهاحكمت كل إيران ،بالإضافة لمناطق من الدول المعاصرة التالية: العراق، أرمنيا، جورجيا، شرق تركيا، شرق سوريا ، تركمنستان ، أفغانستان، طاجيكستان، باكستان ، الكويت، الخليج العربي،والساحل الشرقي للملكة العربية السعودية ، البحرين، قطر، لبنان ، فلسطينوالإمارات العربية المتحدة.

البارثيون أو الفرثيون Parthians :

شعب من الشعوب الإيرانية القديمة (عرفوا في البداية باسم برني(Parni استقر بعد ترحال في منطقة بارثية Parthia (خراســـان) التي تؤلف الجزء الشرــقي من إيران، وتمكن من التخلص من الســـيطرة السـلوقية خلال القرن الثالث قبل الميلاد، وإقامة حكم أرستقراطي إقطاعي بزعامة أرشـاك أو أرشـاق Arsakes زعيم إحدى قبائلهم الذي أ سس سلالة ملكية حاكمة عرفت با سمه (الأر شاقيون)، دامت ما يقرب من خمسة قرون. وقد عُرف ملوكها في المصادر التاريخية العربية باسم «ملوك الطوائف« .

ويعرفون في التاريخ أيضاً باسـم "الأرشـكيين" نسـبة إلى ملكهم الأول، وهي مملكة قبلية من قبائل الساكا في شمال شرق إيران، هزمت السلوقيين وبسطت سيطرتها على جميع بلاد فارس. مؤ سس هذه الدولة هو "أر شك" الأول الذي أصبح بعد ذلك لقباً لجميع الملوك البارثيين كاسم قيصر الروم. وخاضوا حروباً عدة ضـد الرومان. وأدى نصرـهم عليهم في عام ٥٣ قبل الميلاد إلى بروزهم كقوة عظمى آنذاك. ورغم طول حكم البارثيين الذي ناهز الخمســة قرون، إلا إن حضــارتهم لم يتبق منها شيء يُذكر، باستثناء بعض الآثار الفنية البسيطة.

ا ستمرت حتى عام ٢٢٤م ، وقد أ سسوا إمبراطورية وا سعة بإمتداد شرقي آ سيا وجنوب غربي آ سيا . وفي المائتي عام الأخيرة من حكمهم كان على الفرثيين أن يحاربوا الرومان في الغرب وفي الكوشان وهو ما يعرف حالياً بإسم أفغانستان . ومن ثم اندلعت الحروب الأهلية في الإمبراطورية الفرثية .وفي حوالي عام ٢٢٤م قام فارسي يُدعى أرد شير بإطاحة الفرثيين ، وتسلم الإمبراطورية الفرثية . وبعدأكثر من ٥٥٠ سنة وفي ظل حكام آخرين استطاع الفرس أن يحكموا فارس مرة أخرى .

مظاهر حياة البارثيين :

عدّ البارثيون أنفسهم ورثة الأخمينيين وادعوا الانتساب إليهم، واتبعوا في مملكتهم نظاماً مزيجاً من التقاليد الإيرانية والهلنستية، لكن السلطة المركزية كانت ضعيفة ومهلهلة، وذلك أن الأسر الأرستقراطية الإقطاعية الكبيرة كانت تتحكم باختيار الملك وتتوارث أهم الوظائف والقيادات. قُســمت المملكة إلى مقاطعات كبيرة يحكمها قواد عســكريون وولايات يحكمها ولاة (ســتاربة). بينما كانت المدن الإغريقية تتمتع بحكم ذاتي يحد منه وجود ضــابط و قاض ملكي. أ ما عن عواصــم البارثيين فكا نت أولا ها هيكاتومبيلوس الواقعة في خرا سان، ثم انتقلت إلى اقباتان (همذان) في ميدية، وصارت منذ القرن الأول ق.م طيسفون الواقعة على نهر دجلة.

كان البارثيون يتكلمون اللغة البهلوية (البارثية) وهي إحدى اللهجات الإيرانية الشــمالية. ولكنهم اســتعملوا اللغة الإغريقية في مراســلاتهم مع المدن الإغريقية. واســتخدموا علوم الإغريق وأســاليبهم الإدارية. كما استخدموا التقويم السـلوقي إلى جانب تقويمهم البارثي، الذي يبتدئ من تأسـيس السـلالة الأرشاقية في عام ٢٤٧ق.م.

اعتنق البارثيون الديانة المزدكية الإيرانية الشعبية، لكنهم كانوا متسامحين مع الديانات الأخرى.

تأثر البارثيون بادئ الأمر بالحضـارة الهلنسـتية تأثراً كبيراً، ثم برز بينهم تيار مشـبع بالروح الإيرانية الشرقية دعا إلى نبذها. وبقيت حضارتهم ممتزجة بملامح هلنستية وبابلية آشورية قديمة. يتمثل الطابع الفني البارثي الخالص في خصوصية أشكال الأشخاص المصورين، وتميّز أزيائهم وزيادة الاهتمام بجمالياتها. كما تظهر في شواهدهم المعمارية عناصر وأساليب فنية متميزة.

تركت أعمالهم الفنية تأثيراً وا ضحاً في الفن الـسا ساني، وهي تعدّ مرحلة أ سا سية من تاريخ الحضارة الإيرانية.

وكان البارثيون أعنى أو أفقر من أن يهتموا بالأدب؛ فقد كان الأشراف، يفضلون فن الحياة على حياة الفن كشأنهم في كل العصور؛ وكان أقنان الأرض أميين لا يعرفون للآداب معنى، وكان الصنّاع منهمكين في عملهم لا يجدون متّسعاً من الوقت للاهتمام بالأدب، وكان التجّار مشغولين بتجارتهم عن إنتاج فن عظيم أو كتب قيمة.

وكان الأهلون يتكلمون اللغة الفهلوية، ويكتبون بالآرامية على الجلود، وكانت الآرامية قد حلّت وقتئذ محل الكتابة المسمارية. ولم تبقي لنا الأيام سطراً واحداً من الآداب البارثية، لكننا نعلم أن المسرحيات اليونانية كانت تُمثل في طشقونة كما كانت تُمثل في سلوقيا، وذلك لأن رأس كراسس قد ظهر في أحد أدوار الباحيين ليوربديز.

أما الصور والتماثيل التي كُشفت في تدمر، ودور- أوربس، وأشور فكانت في أكبر الظن من صنع الفنانين الإيرانيين؛ وكان امتزاج الطرازين اليوناني والشرقي ذلك الامتزاج الساذج ذا أثر في فن العصور التي تلت ذلك العصر في جميع بلاد آسية من الصين إلى القسطنطينية. وقد بقي لنا نقش واضح يُمثل رامياً بالسهام على ظهر جواد، ويوحى بأنه لو بقي لنا من فن البارثيين أكثر مما عثرنا عليه منه لكان تقديرنا لهذا الفن أعلى من تقديرنا الحالي. وقد شاد أمير إقطاعي عربي من أتباع ملك بارثيا قصراً من حجر الجير في حترا Hatra القريبة من الموصل (٨٨ ق.م) يحتوي على سبعة أبهاء ذات عقود وقباب، وشاده على طراز قوي ولكنه همجي. غير أن أعمالاً فنية بارثية من طراز حسن قد بقيت لنا في الأدوات الفضية وفي الحلي.

ولكن البارثيين نبغوا في الفن المحبب إلى فن الإنسان- ونعني به زينة الأجسام. لقد كان رجالهم ونساؤهم على السواء يعقصون شعورهم، وكان الرجال يطيلون لحاهم المجعّدة وشواربهم المتهدّلة، ويرتدي الواحد منهم قميصاً وسروالاً منتفخاً يعلوهما في العادة ثوب متعدد الألوان. وأما النساء فكنّ يرتدين أثواباً مطرّزة تطريزاً دقيقاً جميلاً، ويزين شعرهنّ بالأزهار. وكان أحرار البارثيين يسلون أنفسهم بالصيد، ويكثرون من الطعام والشراب، ولا يمشون على أقدامهم إذا استطاعوا الركون. وكانوا محاربين شجعاناً، وأعداء شرفاء، يحسنون معاملة الأسرى، ويقبلون الأجانب في المناصب الكبرى، ويحمون اللاجئين، غير أنهم كانوا في بعض الأحيان يبترون أعضاء المدني من الأعداء، ويُعذبون الشهود، ويُعاقبوا على الذنوب الصغيرة بضرب السياط.

وكان من عادتهم تعدد الزوجات إذا أمكنتهم مواردهم من ذلك التعدد، وكانت نساؤهم محجبات معزولات عن الرجال، وكانوا يعاقبون نساءهم على الخيانة الزوجية بأقصى العقوبات، ولكنهم يبيحون الطلاق للرجال والنساء على السواء لا يكادون يقيمون في سبيله عقبة ما ولما أن زحف سرينا Surena القائد البارثي بجيشه على كراسس اصطحب معه مائتي حظية وألف بعير محملة بلوازمه.

أما الصورة التي تنطبع في أذهاننا عن البارثيين في جملتهم هي أنهم كانوا أقل حضارة من الفرس الأكيمينيين، وأشرف وأكرم أخلاقاً من الرومان. فقد كانوا متسامحين مع مَن يخالفونهم في الدين، يُجيزون لليونان واليهود، والمسيحيين المُقيمين بين ظهرانيهم أن يقيموا شعائر دينهم دون أن يتدخّلوا في شئونهم. أما هُم أنفسهم فقد انحرفوا بعض الانحراف عن الزرادشتية الصحيحة، فكانوا يعبدون الشمس والقمر، ويُفضلون مثراس عن أهورا- مزدا فكانوا من هذه الناحية كثيري الشبه بالمسيحيين إذ يُفضلون المسيح على يهوه. وقد كان لكهنة المجوس يَد في القضاء على الأسرة الأرساسية لأنهم لم يلقوا من ملوكها المتأخرين ما كانوا يتطلّعون إليه من الرعاية.

تاريخ المملكة البارثية :

إن بدايات تاريخ البارثيين غامضة بسبب قلة المصادر. ولكنها بدأت تزداد مع ارتفاع شأنهم بعد قيام ميتراداتس الأول (١٧١-١٣٨ق.م) بحملة نحو الغرب احتل إ باذها مقاطعة ميدية وأجزاء من بلاد الرافدين، واحتل عام ١٤١ق.م مدينة سلوقية دجلة.

تعزّزت السيادة البارثية على بلاد بابل خلفاً للسلوقيين في عهد أرطبان الثاني «أرتبانوس» عند اليونان (١٢٨-١٢٤ق.م)، وشهدت مملكتهم ازدهاراً واتساعاً في عهد ميتراداتس الثاني (١٢٣-٨٨ق.م)، وصار الفرات منذ عام ٦٦ق.م حدّها الغربي مع الامبراطورية الرومانية.

شهدت المملكة مرحلة ضعف في أواخر عهد ميتراداتس الثاني، فاستغل ذلك ديكران ملك أرمينية (٩٥-٥٥ق.م) وسيطر على مناطق لهم. ولكنهم استعادوا قوتهم في عهد أفراط الثالث «فرآتس» (٧٠-٥٨ق.م)، وتحالفوا مع الرومان على ديكران وهزموه. ولكن تحالفهم مع الرومان لم يدم طويلاً بسبب الخلاف حول مناطق النفوذ، ودارت رحى معركة بين الطرفين قرب حرّان (الرها(Edessa انتهت بإبادة الجيش الروماني والاتفاق على جعل الفرات حدّاً بينهما.

مرت المملكة البارثية في المرحلة التالية بحالة اضطراب وضعف، سببها الصراع داخل السلالة الحاكمة وظهور تيارات معارضة لها. وقد انعكس ذلك في كثرة تبدّل الملوك واستقلال سلوقية دجلة سبع سنوات (٣٦-٤٢) وتعرض الحدود الشرقية إلى اعتداءات، واستقلال بعض المناطق.

استمر ذلك في القرن الثاني الميلادي، واستفاد الرومان منه. فقد انتزع تراجان مدينة دورا ـ أوروبوس (الصالحية) منهم عام ١١٣، وسيطر على بابل وسلوقية دجلة وطيسفون (١١٦/١١٥)، لكن خليفته هادريان تخلّى عنها في مطلع حكمه (١١٧).

قاد الرومان إبان حكم ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius حملةً على البارثيين في أرمينية (١٦٣/١٦٢ق.م)، وأوصلوا إلى الحكم أسرة موالية لهم، ثم ساروا مع الفرات إلى بلاد بابل واحتلوا سلوقية دجلة في أواخر عام ١٦٥ وخربوها ثم انسحبوا منها. وفي عام ١٩٨ دمّر سبتيموس سيفيروس Septimius Severus مدينة طيسفون، وتوزعت قواته في بلاد بابل. وفي العام التالي عقدت بين الطرفين معاهدة سلام.

ظهرت بوادر نهاية المملكة البارثية في الجانب الآخر (الشرقي) منها، ففي إقليم فارس ـ الذي كان يتمتع منذ قرون بحالة شبه مستقلة عن المملكة البارثية ـ نهضت أسرة من سلالة ساسان، وتمردت منذ نحو ٢٢٠، ووجهت حملات مؤثّرة إلى مناطق المملكة المركزية، وكانت خاتمتها الفاصلة في تاريخ إيرانحملة خريف ٢٢٤. وفي ٢٢٦ توّج الساساني أردشير نفسه على العرش في طيسفون وأنهى السيادة البارثية في بلاد بابل.

امتدت المملكة البارثية من الفرات غرباً حتى الهند شرقاً، إذ تمكنت من بسط نفوذها على الممالك الهندية ـ السكيثية. ولكنها كانت تواجه تهديداً مستمراً من قبل شعوب السهوب الشرقية في آسيا الوسطى وخاصة من قبل الساكا السكيثية والقبائل التوخارية (الطخارية)، وقد سقط بعض الملوك الفرثيين قتلى إبان المعارك معها.

وكان البارثيون قد ظلوا عدة قرون يحتلون الإقليم الواقع جنوب بحر الخزر بوصفهم رعايا الملوك الأخمينيين ثم الملوك السلوقيين. وكان هؤلاء البارثيون من العنصر السكوذي- التوراني أي أنهم من جنس الشعوب الضاربة في الجنوب الشرقي من روسيا وفي بلاد التركستان.

تكوين الامبراطورية البارثية :

في عام ٢٤٨ق.م. خرج زعيم سكوذي يدعى أرساسيس على حكم السلوقيين، وجعل بارثيا دولة مستقلّة ذات سيادة، وأنشأ فيها أسرة أرساسية مالكة. ولما ضعف الملوك السلوقيون على أثر هزيمة روما لأنتيخوس الثالث (١٨٩ ق.م) عجزوا عن حماية بلادهم من البارثيين الهمج المتهورين، فلم يَكَد يختتم القرن الثاني قبل الميلاد حتى كانت أرض الجزيرة وفارس بأكملها قد ضمت إلى الإمبراطوريّة البارثية الجديدة. وكان للملوك البارثيين الجدد ثلاث عواصم يقيمون فيها في فصول السنة المختلفة: هكتومبيلس Hecatompylus في بارثيا، وإكبتانا (محل همذان) في ميديا،وقطشفونة Ctesiphon على المجرى الأدنى لنهر دجلة.

وعلى الضفة الأخرى للنهر المقابل لطشقونة كانت تقوم العاصمة السلوقية القديمة وهي مدينة سلوقيا التي ظلّت عدة قرون مدينة يونانية في مملكة بارثية: وقد احتفظ الحكام الأر سا سيون بالنظام الإداري الذي أقامه السلوقيون، ولكنهم غَشّوه بنظام إقطاعي أخذوه عن الملوكالأخمينيين. وكانت جمهرة الشعب تتألف من أقنان الأرض والرقيق؛ وكانت الصناعة متأخرة وإن كان صاهرو الحديد البارثيون قد استطاعوا أن يخرجوا منه نوعاً جيداً، وكانت "صناعة عصر الخمر تدر أرباحاً طائلة".

وكان جزء من ثروة البلاد يأتي عن التجارة التي تُنقل في الأنهار الكبرى، ويُنقل بعضها في طرق القوافل التي تجتاز بارثيا في طريقها بين أقاصي آ سية وبلاد الغرب. وا شتبكت روما مع بارثيا في حرب بعد حرب من سنة ٥٣ ق.م حين هزم البارثيون كراسس Crassus في كاري Carrhae إلى سنة ٢١٧م حين ابتاع مكرينس Macrinus الصلح من أرتبانس Artabanus، بغية السيطرة على هذه الطرق وعلى البحر الأحمر.



عملة أندراجوراس، آخر تابع سلوقي لبارثيا. أعلن استقلاله حوالي ٢٥٠ ق.م.



عملة صكها أرساقس الأول.
الوجه الخلفي يظهر رامي يحمل قوساً وهو جالس.



عملة ميثريداتس الأول (حكم ١٧١-١٣٨ ق.م.) صُكّت فيسلوقيا على دجلة الوجه الخلفي يظهر هرقل عارياً ممسكاً بكأس وجلد أسد وعصى.
الكتابة اليونانية هي ΒΑΣΙΛΕωΣ ΜΕΓΑΛΟΥ ΑΡΣΑΚΟΥ ΦΙΛΕΛΛΗΝΟΣ ΓΟΡ **(الملك العظيم أرساقس, صديق اليونانيين) التاريخهو سنة ١٧٣ من العهد السلوقي, الذي يناظر ١٤٠-١٣٩ ق.م..**



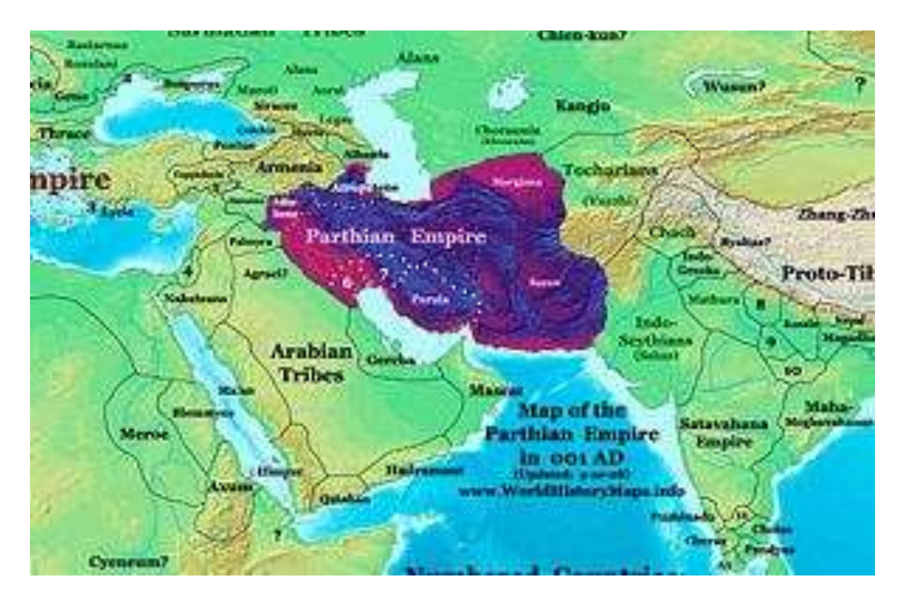
أنواع مختلفة من القبعات الرسمية البارثية التي كانت تستخدم في لقاءات العامة بالنبلاء. الطراز خليط من طرز الملابس الفارسية واليونانية. تيارا أرمنية تظهر في الركن الأسفل الأيمن.



الأمير البارثي ،يعتقد أنهسورينا المنتصر في معركة كارهاي ، عثر عليها في خوزستان حوالي ١٠٠م، ومحفوظة في متحف إيران الوطني، طهران.



رحلات تشانغتشيان إلى الغرب . نقش من على أحد الكهف



خريطة توضح الدولة البارثية



نسخة من رامي بالقوس بارثي، كما صـور في عمود تراجان.



بارثي يمتطي جواداً. بالاتسو ماداما، تورينو، إيطاليا



فارس بارثي (مصاحباً لقافلة جمال)



كاتافراكت البارثي يصارع أسداً. المتحف البريطاني.



عملة للملكGondophares (٢٠-٥٠)
اول واكبر ملك بالمملكة الهندية البارثيين



فولوكاسس الثالث من بارثياحكم ح. ١٠٥-١٤٧ م على درخم فضي.



شاب في زي بارثي. تدمر، سوريا، النصف الأول من القرن الثالث الميلادي.
زخرفة نصب جنائزي. متحف اللوفر.

الانحطاط والسقوط :

لما توفي ملكهم فلوجاسس الرابع (٢٠٩م) تنازع ولداه فلوجاسس الخامس وأرتبانس الرابع على عرش المملكة. وانتصرـــ أرتبانس في هذا النزاع ثم هزم الرومان في نزيب Nisibis . ودامت الحرب بين الإمبراطوريتين ثلاثة قرون ثم أنتهت بانتصار البارثيين نصراً غير حاسم لأن سهول أرض الجزيرة كانت توائم خيّالة البارثيين أكثر مما توائم فيالق الرومان. ثم تورّط أرتبانس بعدئذ في حرب داخلية لقي فيها حتفه وأعلن أرتحشـــتر الشرـــيف الإقطاعي في بلاد الفرس والذي غلبه على أمره ملك الملوك (١٢٧م) وأســس الأسرة الساسانية. وعاد الدين الزرادشتي إلى سابق عهده، وبدأ في بلاد الفرس عهد من أعظم العهود التي مرّت بها في تاريخها الطويل.



سجين البارثي ينفي سلاسل، يسحب إلى الأمام من قبل الروم،حوالي ٢٠٠ م.
قوسسيبتيموسسيفيروس،روما.

الآثـــــار:

إن الآثار البارثية التي عثر عليها في إيران قليلة، أبرزها هياكل النار الحجرية في برسبوليس ونورآباد ومشاهد منقوشة على صخور(صخرة تانجي سرواك) .

أما في بلاد الرافدين فقد كشف عنها في مواقع عدة أبرزها:

١- أوروك (الوركاء): كشف فيها عن مبانٍ سكنية وثلاثة معابد بارثية هي:

- معبد صغير في الساحة الجنوبية للمبنى «بيت ريش«.
- معبد الإله ميثرا (المخلّص(Mithreum، وهو عبارة عن مبنى نصف دائري Apsis.
- معبد جاريوس Gareus في جنوبي المدينة.

٢- نيبّور (نُفَّر): ضمت ثلاث سويّات من العصر البارثي، من آثارها:

- معبد صغير في القسم الشرقي من المدينة.
- »القصر الصغير» في وسط القسم الغربي. تتوسطه ساحة ذات أعمدة من الآجر المشوي. ويختلف

- الباحثون في تأريخه بالعصر السلوقي المتأخر أو البارثي المبكر.

٣- بابل: ظهرت فيها سويّات بارثية ضمن الشواهد المعمارية القديمة، كما كُشف عن:

- قلعة بارثية في أقصى الشمال.
- مبنى شمال معبد عشتار يشبه معبد جاريوس في أوروك.
- آثار ميناء بارثي متأخر كان يستخدم عند جزر مياه الفرات.
- قبور متفرقة ومقبرة كبيرة في شرقي المدينة (تل حُميره) وبيوت سكنية كثيرة.

٤- سلوقية دجلة (تل عمر): كُشف فيها عن معبدين بارثيين يتصل بهما مسرح، وعن أبنية ودمى طينية وقطع فخارية. اتسعت هذه المدينة خلال العصر البارثي في الضفة اليسرى لدجلة، حيث نشأت مدينة طيسفون (المدائن.(

٥- حطرا (الحضر): ابتكر البارثيون أسلوباً جديداً في تصميم مخططها على شكل دائرة يحيط بها سوران في كل منهما أربع بوابات. كُشف فيها عن عدة معابد أهمها معبد الشمس وعن قصر ذي سقف مقبّب زُيّنت جدرانه الخارجية بوجوه بشرية منحوتة نافرة.

٦- دورا ــ أوروبوس (الصالحية): أُعيد فيها بناء معبد أرتميس، وبني معبد للإلهة أترجاتيس (٣١م) وآخر للإلهة أزّانا ثكونا وسبعة معابد أخرى. وكُشف فيها عن عدد من المنحوتات الطقسية التي يظهر فيها تأثير الفن التدمري بوضوح.

الملوك الأشكانيون:

- أرشك٢٥٠ – ٢٢٧ ق.م
- تيرداد الأول ٢٢٧ – ٢١١ ق.م
- أردوان الأول ٢١١ – ١٩١ ق.م
- فريابت١٩١ – ١٧٤ ق.م
- فرهاد الأول١٧٤ – ١٧١ ق.م
- مهرداد الأول ١٧١- ١٣٨او ١٣٧ ق.م

فرهاد الثاني ١٣٧ - ١٢٨ق.م

- أردوان الثاني
- مهرداد الثاني ١٢٣ – ٨٧ ق.م
- جودرز الأول
- أرد الأول
- سيناتروك
- فرهاد الثالث
- مهرداد الثالث
- أرد الثاني

- فرهاد الرابع
- تيرداد الثاني
- فرهاد الخامس
- أرد الثالث
- ونُن الأول٧ أو ٨ - ١٢م
- اردوان الثالث ١٢ - ٣٩م
- تيرداد الثالث (ح٣٩ م
- وردان٣٩ - ٤٥م
- جودرز الثاني٤٦ - ٥١م
- ونن الثاني ٥١م
- بلاش ٥١ - ٧٨م
- باكور٧٨ - ١٠٨او ١١٠ م
- اردوان الرابع ١٠٨ – ١١٠ م
- كسري ١١٠ - ١٢٨او ١٢٩ م
- بلاش الثاني١٢٨او ١٢٩- ١٣٧م
- مهرداد الرابع ١٢٨ - ١٣٧ م
- بلاش الثالث١٣٧ - ١٩١م
- بلاش الرابع ١٩١ ٢٠٨م
- بلاش الخامس٢٠٨ – ٢١٤ م
- اردوان الخامس ٢١٤ م - ٢٢٤م

إمبراطورية كوشان Kushan Empire :

حوالي القرون الأول-الثالث) كانت دولة باكترية امتدت في أوج عظمتها الثقافية، وازدهرت في المنطقة التي تُشكل الآن باكستان وأفغانستان وشمال غربي الهند في الفترة من منتصف القرن الأول قبل الميلاد تقريباً إلى منتصف القرن الثالث الميلادي. حوالي ١٠٥ – ٢٥٠ م، من تاجيكستان الحالية إلى أفغانستان، پاكستان نزولاً إلى وادي نهر الگنج في شمال الهند .

الامبراطورية أنشأتها قبيلة كوشان من تحالف يويژي ، المعتقَد بكونه من شعب هندو- أوروبي من شرق حوض تريم، الصين، والمحتمل علاقتها بالطخاريين.وكانت لهم اتصالات دبلوماسية معالامبراطورية الرومانيةوالساسانية والصين، ولعدة قرون كانوا مركز التجارة بين الشرق والغرب.

وقد أسس كوجولا كادفيسز الإمبراطورية عندما قام بتوحيد خمس قبائل من وسط آسيا. وقام مع هذه القبائل بغزو مُلْكَي كابول وكشمير. ووسع خلفاء كوجالا كادفيسز من رقعة الإمبراطورية لتشمل وادي نهر السِّند وغربي وادي نهر الگنج. وكان كانيشكا من أشهر حكام كوشان. كانيشكا.

وكان للإمبراطورية أهميتها كجسر بين مختلف الحضارات. وفتح أباطرة كوشان طريق القزّ وقاموا بحمايتها، وهي طريق رئيسية للقوافل المحملة بالحرير وغيره من البضائع الثمينة القادمة من الصين إلى الهند والشرق الأوسط. وكانت السفن تغادر الموانئ الهندية متجهة إلى الإمبراطورية الرومانية محملة بالحرير والتوابل والمراهم. وكانت روما ترد على ذلك بإرسال العملات الذهبية والعديد من السلع المتميزة. وعبر هذه الطرق التجارية كانت الأفكار والعادات تنتقل أيضاً بين شعوب آسيا الوسطى والصين والهند وفارس.

كانت البوذية الديانة الرئيسية لإمبراطورية كوشان. وقام البوذيون بنشر الدين في جميع أنحاء الإمبراطورية وفي الصين. ونقش النحاتون في مدينتي جاندهارا وماتهورا أول صُوَر لبوذا على الحجارة. وصاغ الفنانون في جاندهارا تماثيلهم البوذية على غرار تماثيل الآلهة اليونانية والرومانية.



آسيا في ٢٠٠ م (تبين امبراطورية كوشان وجيرانها.

الأصول :

المصادر الصينية تصف كوي شوانك) بالصينية: (貴霜 وتعني "كو شانا Kushans" كواحدة من خمس قبائل أرستقراطية في يويزي، والتي تُنطق كذلك يويه-جي Yueh-chi، a ,(Ch: 月氏) loose confederation of supposedly Indo-European peoples

كما يُعتبر اليويزي عموماً كأقصى الشعوب شرقاً الناطقة باحدى اللغات الهندو-اوروبية، والذين كانوا يعيشون في المراعي القاحلة في شرق آسيا الوسطى، في شينجيانك المعاصرة وكانسو، والمحتمل تحدثهم بلهجات من اللغة الطخارية، حتى تم طردهم غرباً من قِبل [[شيونك&نو]] في١٦٠ - ١٧٦ق.م.

القبائل الخمس المكونة لليويزي يُعرفوا في التاريخ الصيني بالأسماء شيومي (休密)كويشوانك(貴霜) شوانك مي (雙靡) ، شيدون (肸頓)، ودومي (都密)

المؤرخ جون كي يضع تحركات الكوشان في السياق الأكبر للهجرات العظمى التي شهدتها المنطقة:

تتحدث المصادر الصينية عن تشييد السور العظيم في القرن الثالث ق.م. وصد مختلف القبائل المغيرة. مجبرة إياها على التوجه غرباً ولاحقاً جنوباً، وقد حلت هذه القبائل محل قبائل أخرى فيما يشبه تأثير الدومينو الذي استمر لعدة عقود وانتشر في أرجاء آسيا الوسطى.كل منالپارثيين من إيران واليونان الباكتريين من باكتريا طُردا من مناطقهم من قِبل الشاكاس الآتين من تخوم بحر آرال. إلا أن الشاكاس،

بدورهم، طردهم يويه-چي الذي طُردوا بدورهم غرباً إلى شينجيانگ بواسطة [[شيونگ&٣٨٢٠٤;نو|هيونگ-نو]]. آخر تلك القبائل، الهون، لم يصلوا الهند، لحسن الحظ، لفترة طويلة. ولكن اليويه-چي واصلوا الضغط على الشاكاس، وبنجاحهم في طرد الشاكاس من باكتريا، فإن أقسام أو أفخاذ من هؤلاء اليويه-چي هم من واصلوا التقدم

A. K. Akishev, ART AND MYTHOLOGY OF SAKAS, Science, Kazakh SSR, Alma-Ata, 1984 Tab. X. Kushan "royal tamgas", corresponding with rule of kings	
Kadfiz I	
Kadfiz II	
Kanishka	
Huvishka	
Vasudeva I	
Vasudeva II	
Bakarna	

سرد تمغات كوشانية ملكية



رأس أمير كوشاني (قصر خلجايان،اوزبكستان)



تترادراخم فضية من أول حاكم معروف يسمي نفسه "كوشان" ("كوسانو" على عملاته) وهو الحاكم هرايوس (١-٣٠).



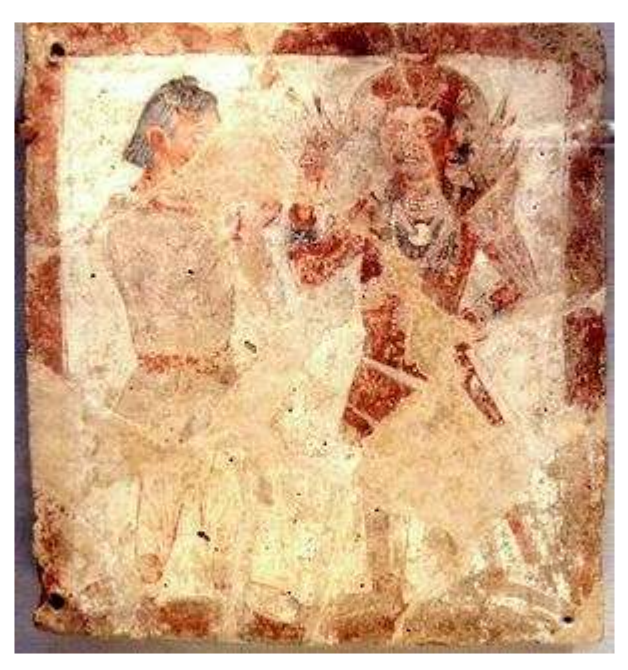
المحببوذيفيثوبكوشان،ماثورا، nd٢القرن. فستانكوشان وصفت عموما بأنها قاسية جدا، ويعتقد أنه كان في كثير من الأحيان مصنوعة من الجلد (فرانسينتيسو "،غانذارا").



في وقت مبكر ثالوث ماهايانا البوذية. من اليسار إلى اليمين، متفانيا كوشان، بوديساتفا مايتريا، بوذا، بوديساتفا، وراهببوذي. القرن ٢-٣،غانذارا.



متعبد كوشاني مع زيوس/سرابيس/Ohrmazd, باكتريا، القرن الثالث الميلادي



عابد كوشاني مع فارّو، باكتريا، القرن الثالث الميلاد



عابد كوشاني مع شيفا/Oesho، باكتريا، القرن الثالث الميلادي

بعض الآلهة على العملات :

- 

- 

- 

- 

- **عملة من كانيشكا الأول، مع بوذا، مع أسطورة " بخط يوناني**

▪



ختم كوشان العقيق

صور توضح الفن الكوشاني :

▪



التفاصيل من وجه المحبكوشان **زيكوشان**



كوشان المحب





مايتريا القرنغانذارا



مايتريا،مع المصلين مع الهندي (يسار)
وكوشان (يمين) المحبون. القرن الثاني غانذارا.





كانيشكا النعش"،معبوذا محاطة براهماوإندرا، الكاشيون عبادة بوذا. القرن الثاني غانذارا وكانيشكا على الجزء السفلي، ١٢٧





ثالوث والركوع كوشانزو جين المحب.
رئيسا لجصر جلكوشان. غانذارا. القرن الثالث





مصـــارع اليوناني الروماني في وعاء زجاجي المحبكوشـــان في الزي التقليدي القرن الثاني مع ســـترة والأحذية،القرن الثاني غانذارا





العملة الرومانية الإمبراطور تراجان، عملة برونزية من كانيشكا عـُثر عليها في خوتان حوض تريم.
وجد جنبا إلى جنب مع العملات المعدنية من كانيشكا



نحت لجندي أجنبي يرمي رمحاً، هان متأخر،
الممالك الثلاث، القرن الثالث الميلادي، الصين.

الإمبراطورية الساسانية

الإمبراطورية الساسانية الاسمُ استعملَ للإمبراطورية الفارسية الثانية (٢٢٦ - ٦٥١) والتي يرجع تسمية الساسانيين إلى الكاهن الزرادشتي ساسان الذي كان جد أول ملوك الساسانيينأردشير الأول أسّستْ السلالة الساسانية مِن قِبل الملك أردشير الأول بعد هَزيمة ملكِ البارثيين / الفرثيين الاشكانيين الأخير أرتبانوس الرابع، وانتهتْ عندما حاول ملك الدولة الساسانية الأخير يزدجرد الثالث (٦٣٢ -٦٥١) مكافحة الخلافة الإسلامية المبكرة أوّل الإمبراطوريات الإسلامية لمدة ١٤ سنة.

أرض الإمبراطوريةَ الساسانية أحاطتْ كل إيران اليوم، العراق، وأجزاء من أرمينيا وأفغانستان، والأجزاء الشرقية من تركيا، وأجزاء من باكستان. سمى الساسانيون إمبراطوريتهم (إيران شهر) أي سيادة الإيرانيين الآريون. جاء في أطلس تاريخ الإسلام (ص٤٩): "هناك مبالغة في نصوص تصوير اتساع دولة فارس في العصر الإيراني، لأن فارس لم تكن قط في أي عصر من عصور تاريخها قبل الإسلام دولة ثابتة الحدود. إنما كانت حدودها تتسع أحياناً في عصور الملوك الأقوياء، وتنقبض في عصور الضعفاء وهم الأكثرون".

العصر الساساني يحيط طول فترة العصر القديم المتأخّرة، ويعتبر أحد أهم العوامل المؤثرة في تاريخ إيران القديم، شهدت الفترة الساسانية الإنجاز الأعلى الميدية، وشكّلتْ هذه الفترة الإمبراطوريةَ الإيرانية العظيمةَ الأخيرةَ قبل الفتوحات الإسلامية وتبني الإسلامِ.

أَثرت بلاد فارس على الحضارة الرومانية إلى حدٍّ كبيرٍ أثناء العهد الساساني، تأثيرهم الثقافي يَمتدُّ أبعد كثيراً إلى ماوراء حدود الإمبراطوريةَ الإقليميةَ، يَصِلُ بقدر ما إلى أوروبا الغربية،أفريقيا، الصين، والهند، وأيضاً لعب دوراً بارزاً في تشكيلِ أنواع من الفنونَ في القرون الوسطى الأوروبية والآسيوية.

دخل هذا التأثير إلى العالم الإسلامي مبكراً، حوّلتْ ثقافة السلالةَ الفريدةَ والأرستقراطية والفتح الإسلاميَ لإيرانَ إلى عصرِ نهضةٍ فارسي.

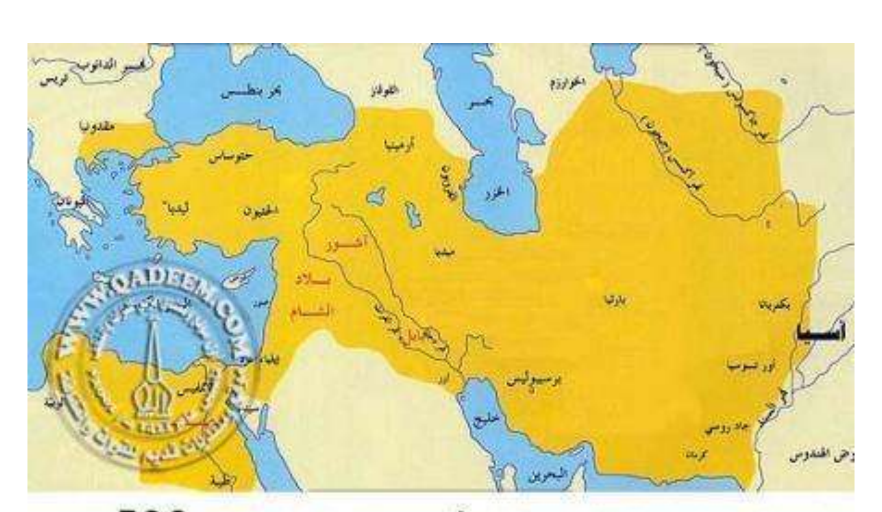
نظرة عامة على الأسرة الساسانية ٢٢٤م :

أسس أردشير الأول حكم الساسانين. ويحتل أردشير مكانة كبيرة لدى الايرانين باعتباره موحد الأمة الايرانية وباعث الدين الزرادشتي ومؤسس الإمبراطورية البهلوية. توفي أردشير عام ٢٤٠م وخلفه ابنه شابور.

أحيا الساسانيون الحضارة الفارسية والزرادشتية وبذلوا جهداً ملحوظاً لاعادة تقاليد الأخمينين. وأقاموا علاقات تجارية مع عدويهم اللدودين الرومان/البيزنطين والصينين. وتشير الحفريات المكتشفة في الصين إلى العملات الساسانية الفضية والذهبية التي كانت مستخدمة لعدة قرون.

سميت الدولة بهذا الاسم كذلك تكريماً لاسم سسان الجد الأكبر لأردشير . حكمت الأسرة الساسانية في فارس حتى منتصف القرن السابع الميلادي . وقد استمرت الحرب بين الفرس والرومان طوال فترة حكم الساسانيين . وبعد أن اعتق الرومان النصرانية في القرن الرابع الميلادي بدأ الصراع يأخذ شكلاً دينياً بين النصرانية والزرادشتية .

وفي ٢٦٠م غزا شابور الأول للإمبراطورية الرومانية وأسر الامبراطور الروماني فاليريان. كما أنشأ مركز "جندي شابور للتعليم العالي. وأعاد تنظيم الإمبراطورية، وأقام سد شستر، وأنشأ العديد من المدن، منها "نه شابور" (نيسابور الحالية. (



الدولة الساسانية الفارسية في أقصى اتساع لها عام 500 ق.م

بلغت الحضارة الساسانية أوج قمتها في منتصف القرن السادس الميلادي حيث حقق الفرس عدداً من الانتصارات على الرومان وأعادوا احتلال أراض كانت جزءاً من الإمبراطورية الأخمينية . تقدمت القوات الفارسية حتى أبواب القسطنطينية (إسطنبولَ في تركيا حالياً) التي كانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية (الرومانية الشرقية) ولكنهم هزموا هنالك وأجبروا على الانسحاب من كل الأراضي التي احتلوها.

أدى ظهور الإســلام في جزيرة العرب إلى نهاية سريعة للأسرة الســاسـانية في منتصـف القرن الســابع الميلادي حتي فتح المسلمون فارس حوالي عام ١٥هـــ ٦٣٧م ، ولم تمض سنوات قلائل إلا وكان الإسلام قد انتشر في سائر بلاد فارس . وكما صان الإسلام أرواح الناس بعد اعتناقهم له فقد أبقى الحكام المسلمون على العمارة الفارسية وفنونها وآدابها مالم يتعارض ذلك مع جوهر الدين لمزيد من المعلومات عن تاريخ فارس بعد دخول الإسلام .



تنصيب أردشير الأول - نحت بارز من نقش رستم - قرب برسيبوليس يظهر فيه الملك أردشير (على اليسار) مؤسس الأسرة الساسانية يأخذ رمز الملك من أهورامازدا الإله الرئيسي في الزرادشتية

الساسانيون(٢٢٦ - ٦٥١م) :

الســاســانيون The Sassanids أسرة حكمت إيران والامبراطورية الفارســية منذ القرن الثالثالميلادي حتى منتصف القرن السابع الميلادي، حين قضى عليها العرب المسلمون عندفتحهم لإيران.

يعد إقليم فارس الذي يقع إلى الجنوب الغربي منإيران موطن انبعاث الحضـــارة الإيرانية من جديد؛ ففي القرن الثالث الميلادي أقام الســاســانيون،دولة إيرانية، ذات دين قومي، هو الزرادشــتية، وحكومة مركزية قوية، وجيشاً مدرباًنافسوا به جيوش الرومان.

أصلهم ونشأتهم :

تتحدث المصــادر عن ســاســان جد هذه الأسرة، بأنه منأسرة نبيلة، تزوج فتاة من أسرة البازرنكيين المالكة في هذه المنطقة، كان ســادنألبيت النار في معبد الآلهة أناهيتا Anahita في مدينة اصــطخر، وقد ورّث ابنه بابك وظيفته هذه، واســتغل صـلته بألبازرنكييينفعين ابنه أردشـير في وظيفة عســكرية كبرى في مدينة درابجرد، ومنذ ذلك الوقت بدأ شأنالأسرة بالظهور.

وفي بداية سنة ٢١٢م تقريباً، نجح بابك في قتلملك مدينة ا صطخر وتولى مكانه، وأ صبح ابنه أرد شير سيداً على كثير من مدن إقليم فارسبعد التغلب على حكامها .

كتب بابك إلى الملك البارثي أردوان الخامسيستأذنه في تتويج ابنه الأكبر سابور (شابور) ملكاً على اصطخر، فرفض الملك أردوانطلبه وأجابه بأنه يعتبر بابك وابنه خارجين عن الطاعة (ثائرين) غير أن بابك مات بعدذلك بقليل، فارتقى ولده سابور عرش إقليم فارس. لكن أردشير، الذي كان يطمح فيالعرش، رفض الاعتراف بأخيه ملكاً، وكادت الحرب تقع بينهما، إلا أن سابور توفيفجأة، وسويت الأمور بأن اعترف أخوة أردشير به ملكاً.

وبعد أن أخمد أردشير ثورة في درابجرد، عمل علىتثبيت سلطته بغزو إقليم كرمان القريب، حيث استطاع أسر ملكه ولجش (بلاش)، ثم توجهنحو سواحل الخليج العربي لإخضاعه. وتتحدث المصادر العربية والفارسية بإسهاب عنفتوحات أردشير وأعماله العسكرية في الأقاليم الإيرانية، وكيف تم له إخضاع أغلبالملوك لسيطرته، الأمر الذي أدى إلى احتدام الصراع ونشوب المعركة الكبرى بين جيش أرد شيروجيش البارثيين الذي قاده الملك بنفسه في وادي الهرمزدجان بخوز ستان،وفي هذهالمعركة سقط الملك أردوان قتيلاً بيد أرد شير بحسب رواية الطبري، التي تضيف بأن أرد شيرقد وطىء بقدمه رأس الملك أردوان.

ويعتقد المؤرخ نولدكه بأن المعركة ربما حدثت فيسنة ٢٢٤ م، وبعدها دخل أرد شير طيسفون ظافراً، معتبراً نفسه وارث الفرثيين (الاشكانيين)،وفي السنين التالية أخضع أردشير ميديا وهمذان وحاصر مدينة الحضر، كما هاجمأذربيجان وأرمينيا، ويبدو أن هذه المناطق صمدت أمام زحف أردشير، ولم يستطع السيطرةعليها إلابعد قتال عنيف.ثم مد سلطانه على الأقاليم الشرقية، فأخضع سجستان ثمخراسان وخوارزم، ووصلت رسل ملك الكوشيين ومكران وتوران إلى أردشير معترفينبسيادته.

يصف الطبري والفردوسي والأصفهاني، أردشير بالرجلالحكيم والقوي، استطاع في سنوات قليلة إخضاع كل إيران الغربية وبابل والمناطقالشرقية، وجعلها تحت سيطرته المباشرة. كما نسبوا لأردشير بناء عدد كبير من المدنوالمعابد التي حملت اسم الملك العظيم، مؤسساً للدولة الساسانية.

نظام الحكم والطبقات:

كان نظام الحكم في الدولة الساسانيه نظاماًملكياً مطلقاً، وقد تلقب حكام الفرس بلقب« شاهنشاه »ملك الملوك، وكتبوا على نقوشهمبأنهم ينحدرون من نسل الآلهة، لذلك يعتبر الملك وأسرته الطبقة الأولى، تليهمالطبقات الأربعة التي هي أصحاب الدين والحرب والتدبير والخدمة.

أقام الساسانيون سلطة مركزية، على أساس الدين الزرادشتي،استطاعت أن تكبح جماح الحكام الإقطاعيين، بحيث أصبحوا تابعين تبعية كاملةللشاهنشاه، و أنشأوا نظاماً إدارياً محكماً معتمدين على النظم الإدارية وألقابالموظفين التي ورثوها عن البارثيين.

كان على رأس هذه الإدارة كبير الوزراء «بزرجفرمدار»الذي كان يقوم بإدارة أمور الدولة تحت رقابة الملك، وينوب عنه في كثير من الأمور،مثل قيادة الجيش، والمفاوضات. ويلي كبير الوزراء مجموعة من الوظائف المهمة التيشغلها زعماء الطبقات، فعلى رأس رجال الدين منصب قاضي القضاة «الموبذان مو بذ»، وعلىرأس رجال الحرب، قائد الجيش «إيران سباهبذ»، وعلى رأس الكتاب كبير الكتاب «دبيربد»وعلى رأس الزراع وبقية الحرف «الواستريوشانسلار».

كان جميع أصحاب هذه الوظائف بمثابة وزراء أومستشارين للملك، كل بحسب تخصصه، لذلك كانوا يتغيرون أحياناً مع تغييرا لملك، ويضافإلى كبار موظفي الدولة حكام الأقاليم «المرازبة».

سيطرت السلالة الساسانية على إيران لمدة أربعةقرون ونيف، وحكم فيها نحو ٤٠ ملكاً، وكان هدفها دوماً الدفاع عن اســتقلال إيرانوالحضــارة الإيرانية إزاء الرومان (البيزنطيين) غرباً والقبائل التركية المغوليةشرقاً.

***

أشهر ملوكهم :

- أردشير مؤسس الدولة (٢٢٤ ـ ٢٤١م).
- سابور الأول (٢٤١ ـ ٢٧٢م).
- نرسي (٢٩٣ ـ ٣٠٢م).
- سابور الثاني (ذو الأكتاف) (٣٠٩ ـ ٣٧٩م).
- بهرام الخامس (كور) (٤٢١ ـ ٤٣٧م).
- قباذ (٤٨٨ ـ ٥٣١م).
- كسرى أنوشروان (٥٣١ ـ ٥٧٩م).
- كسرى أبرويز (٥٩١ ـ ٦٢٨م).

حروبهم مع الرومان:

ورث الســاســانيون عن المملكة البارثية، الصراع مع الامبراطوريةالرومانية، من أجل الســيطرة على الأراضي الخصبة في شمالي بلاد الرافدين والجزيرة،وعلى الأماكن الا ستراتيجية في أرمينية والقفقاس، تلك المناطق التي لم يكن ولاؤهاللفرس أو للروم ثابتاً. وظل نهر الفرات الحد الفاصــل بين الفرس والرومان حتى منتصفالقرن الثالث الميلادي.

في سنة ٢٥٣م هاجم الشاه سابور الأول أرمينياوطرد منها الملك الأرميني ميتريداتس الذي كان موالياً للرومان، ونصــب مكانه ملكاًأرمينياً موالياً للفرس الســاســانيين، كذلك اصــطدم ســابور مع الامبراطور الروماني فاليريانوســفي معركة جرت بينهما ســنة ٢٦٠م قرب مدينة الرها، فوقع الامبراطور الروماني في الأسروسـيق أسـيراً مع أكثر من ٦٠ألفاً من جنوده إلى إيران، وفي أثناء تراجع ســابور الأولإلى إيران تعرض لهزيمة أمام ملك تدمر أذينة الثاني في شمالي سورية.

وفي عهد بهرام الثاني (٢٧٦ـــــ٢٩٣م) تجددت الحرببين الفرس والرومان، فانتصر الرومان في البداية ودحروا الفرس حتى طيسـفون، ولكنوفاة الامبراطور الروماني كاروس المفاجئة جعلت الجيوش الرومانية تنسحب إلى سورية.

وفي عهد الشــاه نرسي (٢٩٣ـــــ٣٠٢م) عادت الحرب منجديد بين الطرفين في أرمينيا، وانتهت بهزيمة الفرس واضــطر على أثرها نرسي أن يفاوضــالرومان، فتم الاتفاق على الاعتراف بســلطة الفرس على بلاد النهرين، وبسلطة الرومانعلى أرمينيا، كما تقرر أن تكون مدينة نصيبين مركزاً لتبادل التجارة بين الطرفين.

في مطلع القرن الرابع الميلادي ساد الهدوء علىالحدود بين الدولتين، طيلة حكم الامبراطور قسطنطين الكبير (٣٠٥-٣٣٧م)، وبعد وفاتهتجدد النزاع، وحاصر سابور الثاني ذو الأكتاف مدينة نصيبين ثلاث مرات في سنوات ٣٣٨و٣٤٦ و٣٥٠م. وفي سنة ٣٥٩م سقطت آمد (ديار بكر) بيده، كما احتل سنجار وبيت زبدي(جزيرة ابن عمر) سنة ٣٦٠م.

وفي ربيع ٣٦٣م توجه الإمبراطور يوليان نحوالشرق، ليضع حداً للاعتداءات الفارسية، بجيش مؤلف من خمسة وستين ألفاً، فعبر نهرالفرات على جسر من القوارب، كما عبر دجلة، ثم تابع زحفه نحو العاصمة الساسانية طيسفون،غير أن الحملة انتهت بمقتل الامبراطور، فعين الجند جوفيان امبراطوراً جديداً، غيرأنه انسحب بسرعة بعد أن وقع صلحاً خاسراً مع الفرس، تنازل فيه عن جميع الأراضيالبيزنطية الواقعة إلى الشرق من نهر دجلة، وعن سنجار ونصيبين، وأصبح خط الحدودالجديد بين الدولتين بمحاذاة نهر الخابور.

أما القرن الخامس فقد تميز بسلام نسبي وهدوء علىالحدود، بسبب انشغال البيزنطيين بمحاربة البرابرة القوط في الجبهة الشمالية الغربيةمن جهة، ولإنشغال الفرس بالتصدي لغارات قبائل الهون على حدودهم الشمالية الشرقيةمن جهة أخرى.

في بداية القرن السادس الميلادي استأنف الشاه قباذالحرب على بيزنطة، فهاجم حران والرها وسقطت آمد في يده سنة ٥٠٣م، بعد أن دفعتثمناً باهظاً لمقاومتها التي دامت سبعة وتسعين يوماً.

وسعى الامبراطور انستاسيوس للاتفاق مع قباذ ولكندون جدوى. وحاول الفرس محاصرة مدينة الرها «القاعدة البيزنطية للعمليات العسكريةفي هذه المنطقة» بلا أي نتيجة، وانسحب قباذ واسترجع البيزنطيون آمد في سنة ٥٠٤ -٥٠٥م، ثم انتهت العمليات الحربية بمعاهدة سنة ٥٠٦م.

في سنة ٥٢٧م شهد الريف المجاور لنهري البليخوالخابور معارك طاحنة بين البيزنطيين والفرس، انتهت بعقد معاهدة سلام دائم في سنة٥٣٢م، تعهد البيزنطيون فيها بأن يدفعوا للفرس مبلغاً كبيراً من الذهب سنوياً، لكنالسلام لم يدم طويلاً وجدد الفرس نشاطهم زمن كسرى أنوشروان، وتعرضت مدن الجزيرةللاجتياح أكثر من مرة من قبل الجيوش الساسانية أو من فرق المناذرة، ووصلوا حتىمدينة أنطاكية، وفي النهاية توصلا إلى سلام لمدة خمسين عاماً في سنة ٥٦٢م.

لم تكد تنقضي عشر سنوات حتى اندلعت الحرب مرةأخرى، حين رفض جو ستين الثاني تنفيذ الاتفاق السابق مع الفرس، وأعلن الحرب عليهم،فهاجم الفرس في سنة ٥٧٣م مدينة دارا (حصن بيزنطة الحصين) واحتلوها، واستمرت الحربسجالاً حتى أواخر القرن السادس الميلادي.

لم يقتصر الصراع بين بيزنطة وفارس على المناطقالخصبة والاستراتيجية، بل كانت طرق التجارة وبسط النفوذ السياسي، من أهم الميادينالتي امتدت إليها المنافسة، وقد نجح الفرس في بسط نفوذهم على سواحل الجزيرةالعربية واحتلوا اليمن، وأبعدوا الأحباش وحلفاءهم الروم عن سواحلها، وحققوا بذلكانتصاراً كبيراً على بيزنطة أواخر القرن السادس الميلادي.

وفي أوائل القرن السابع الميلادي جدد الفرس حملاتهم على سورية، فاحتلوا انطاكية سنة ٦١١م ومدينتي حمص ودمشق سنة ٦١٣م، وحاول الإمبراطور هرقل التصدي لهم في شمالي سورية، حيث اصطدم مع الفرس في معركة قرب انطاكية، فانهزمالبيزنطيون ولاحقهم الفرس حتى كيليكيا و احتلوها أيضاً.

وفي سنة ٦١٤م تابع الفرس زحفهم من كيليكيا نحوالجنوب فاخترقوا سوريا، واحتلوا مدينة القدس، وأباح شهربراز القائد الفارسي بيتالمقدس لجنوده، فقتلوا من سكانها، حسبما ورد في المصادر البيزنطية، سبعة وخمسين ألفاً، كما أحرقوا الكنائس واستولوا على عود الصليب الذي صلب عليه المسيح، حسبمايعتقد المسيحيون، وأرسلوه إلى فارس. وفي سنة ٦١٩م جدد الفرس نشاطهم الحربي،فأرسلوا جيشاً إلى مصر بقيادة شهربراز، فانتصر على القوات البيزنطية المرابطة هناك، كما سقطت الاسكندرية بيد الفرس وخضعت لهم المدن المصرية الأخرى.

وبعد هذه الانتصارات الساحقة على بيزنطة سيطرالفرس على مصر وفلسطين و سورية وأرمينيا وما وراءها، فبدوا وكأنهم يستعيدون أمجاد الامبراطورية الأخمينية القديمة.

وكان لهذه التطورات دوي في أرجاء العالم القديم،أ شار إليه القرآن الكريم في سورة الروم. لكن هذه القوة الجديدة كانت مزعزعة ومهددة بالانهيار بأسرع مما كان متصوراً، إذ سرعان ما تغير الموقف لمصلحة بيزنطة فلم يأتعام ٦٢٨م حتى استعادت بيزنطة كل الأراضي التي كان الفرس قد استولوا عليها، بعد عدةحملات ناجحة على الأراضي الإيرانية.

وهكذا انتهت الحروب الطويلة الدامية بين الفر سوالبيزنطيين، من دون تغييرات ملمو سة في الحدود والعلاقات بين الدولتين العظميين،وعبثاً سقط آلاف الضحايا من الطرفين. فإيران لم تحصل على منفذ على البحر الأسود أوالمتوسط، كما لم تستطع بيزنطة كسر طوق سيطرة الفرس على التجارة ببضائع الشرقالأقصى، وكل ما جناه الطرفان من هذه الحرب هو خروج كل منهما منهوك القوى.استفاد من هذا الوضع العرب المسلمون الذين ظهرواقوةً ناهضةً جديدة في جزيرة العرب، استطاعت تقويض الدولة الساسانية وإنهاء وجودهافي منتصف القرن السابع الميلادي.

أهمية الحضارة الساسانية :

تعتبر الامبراطورية الفار سية في العهد السا ساني -من القرن ٣م الى القرن ٧م(أي بعد البارثيين)-القوة الثانية في منطقة الشرق والمنافسة لبيزنطة.

كانت الدولة الساسانية تربط بين عالمي الشرقوالغرب، بين الهند و بلدان حوض البحر المتوسط، ومع أنها تو سطت هذا العالم القديمحافظت على ا ستقلالها الثقافي، فالإيرانيون لم يصبحوا يونانيين ولا هنوداً، و كان في الأفكار الزرادشتية حيو ية، كما أن الفن الإيراني أظهر ميزات الطبيعة الإيرانية واحتفظ بشخصيته، وحينما اختلطوا بغيرهم لم يفقدوا حضارتهم بل أبدعوا وأثروا في الشعوب التي حكمتهم في نواحي الأدب والفن والفلسفة.

وكثيراً ما يبدي الكتاب العرب إعجابهم بدولة الساسانيين العظيمة التي هي نموذج لفن السياسة في الشرق، كما يعجب هؤلاء الكتاب بالشعب الذي أقام هذه الدولة. يقول أبو الفدا: «كان ملوك الفرس من اعظم ملوك الأرض في قديم الزمان، ودولتهم وترتيبهم لا يماثلهم في ذلك أحد» ، وفي كتاب آخر مثل هذا المدح:«تعترف شعوب الأمم المختلفة بتفوق الفرس، ويعجبون بكمال حكومتهم، وبطريقتهمالفائقة في الحرب، وبقدرتهم على تنسيق الألوان وتجهيز الأطعمة والأدوية وطرازهم في اللبس وتنظيم ولاياتهم، وعنايتهم بجعل كل شيء في موضعه، وشعرهم وترسلهم وحسن منطقهم، ونظافتهم، وعظيم استقامتهم، وتمجيد ملوكهم. فلا نزاع في تفوق الفرس في هذه النواحي كلها».



رأس فرس، بالفضة المذهبة، القرن ٤، فن ساساني





الجص الساساني





عملة معدنية تحمل صورة الإمبراطور الساساني هرمز الأول، وقد صدرت هذه العملة في أفغانستان، ويتضح فيها تأثير التصميم (الكوشاني)



من الرسوم الساسانية القديمة



العصر الذهبي لحكم الساسانيون (٤٩٨-٦٢٢)



ما تبقى من إيوان كسرى، قصر الملوك الأكاسرة الساسانيين

١- المجال الجغراسياسي:

تسـيطر هذه الامبراطورية على بلاد شـاسـعة تتكون من إيران التي يسـكنها الفرس ومن بلاد مابين النهرين (العراق) وتصل حدودها إلى أفغانستان وإلى آسيا الوسطى ولها كذلك مناطق نفوذ في الجزيرة العربية (عمان-البحرين-اليمن انطلاقاً من سنة ٥٧٨م) .

ويوجد على رأسها امبراطور يلقب بالشاهنشاه أو كسرى له سلطة مطلقة.ومن أبرز أباطرة القرن ٦م وبداية القرن ٧م نذكر كسرى أنو شروان(٥٣١-٥٧٩م) وكسرى الثاني أبرويز(٥٩٠-٦٢٨م) .

كان الأباطرة الســاســانيون يعتمدون على طبقة الملاكين المتوســطين لتكوين"بيروقراطية" قارة تربط العاصمة (المدائن) بالمقاطعات وتشمل هذه البيروقراطية إدارة مركزية يرأسها موظفون كبار نذكر منهم :الموبذان موبذ(كبير الكهنة) الوزير الأكبر؛قائد المحاربين وقائد المزارعين والحرفيين . أما الادارة الأقليمية فقد كانت البلاد مقســمة إلى مقاطعات يحكمها مرازبة(جمع مرزبان) ينتمون إلى طبقة النبلاء ، وكانت المقاطعات مقســـمة بدورها إلى جهات وولايات مركزها مدينة يحكمها ما يســـمى بالدهاقين (جمع دهقان) من طبقة النبلاء الصغار.

٢- أهم الملامح الحضارية:

أ-المجتمع:

كان المجتمع الفارسي مجتمعاً طبقياً يتكون من طبقات تكاد تكون ثابتة:

- في أعلى الســـلم الاجتماعي نجد طبقة النبلاء والأشراف وهي طبقة قوية وثرية تحكم البلاد ولها اقطاعات كبرى.

- ثم نجد طبقة رجال الدين وهي كذلك طبقة غنية متدرجة المراتب .

- وأخيراً نجد في أسـفل السـلم طبقة الشـعب المتكونة من الفلاحين الصـغار والحرفيين ومعهم العبيد وكانت هذه الطبقة مثقلة بالضرائب خاصة أثناء الحروب.

ب-الاقتصاد:

تمثل الفلاحة النشاط الأساسي في الميدان الاقتصادي وكانت الضيعات الكبرى بأيدي الدولة والكهنة والنبلاء ويعمل فيها العبيد والمزارعون المرتبطون بالأرض الذين يدفعون الضرـائب على رقابهم وعلى أراضيهم ويقومون بالخدمة العسكرية.

أما المدن فقد كانت مزدهرة وكانت آهلة بالحرفيين الذين لا يقومون بالخدمة العســكرية وحالهم أرفق من حالة المزارعين الصغار وكانوا يساهمون أثناء الحروب في مصاريف الجيش والنفقات العسكرية ومن أهم الصناعات نذكر النسيج (صوف.حرير...). أما المراكز الصناعية الكبرى فهي المدائن: اصطخر ونيسابور.

وكانت التجارة في تطور مستمر بحكم وساطة الإمبراطورية الساسانية بين العالم المتوسطي في الشمال والعالم الصيني في الشرق الاقصى.كذلك تعددت الطرق التجارية المتوجهة من العاصمة المدائن إلى الشرق (عبر الخليج العربي) ونحو الشمال (بحر القزوين –الهند والصين...) وقد كان الفرس يملكون بحرية قوية مكنتهم عن طريق الخليج من تحويل ملاحة المحيط الهندي لفائدتهم.وكان المســتفيدون من هذا النشاط التجاري المزدهر النبلاء وطبقة الكهنة.

ج-الدين:

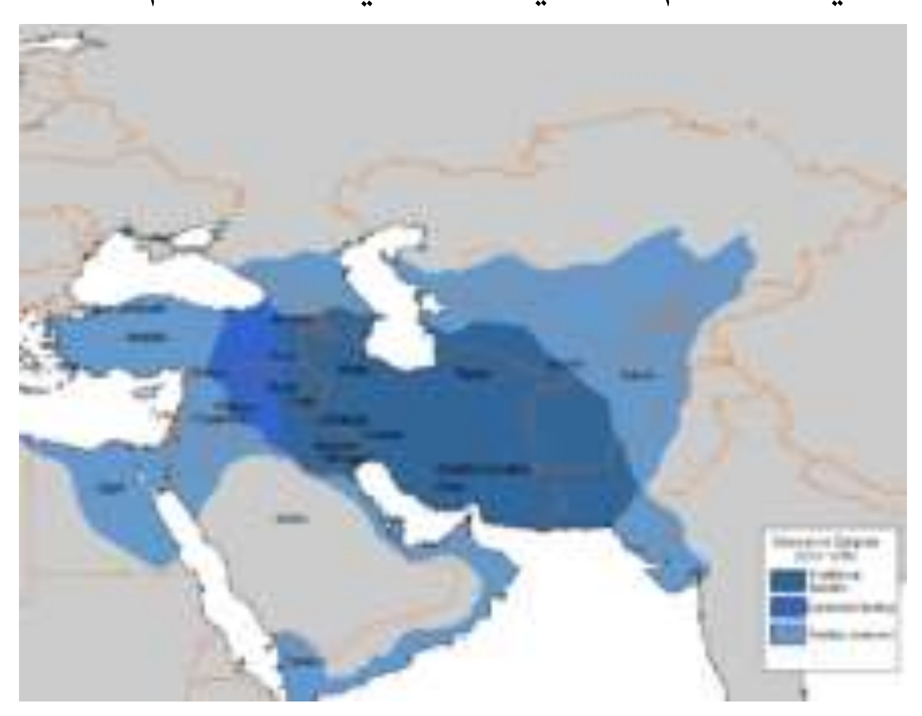
كانت الديانة الرسمية للفرس الساسانيين الزرادشتية التي تبنتها الدولة منذ القرن الـــ ٣م ، وكانت تقوم على عبادة النار في ٣ أصــناف من المعابد:صــنف لكل طبقة اجتماعية هي : - معبد نار الكهنة ، - معبد نار رجال الحرب ، - ومعبد نار الفلاحين.

٣- الصراع الفارسي البيزنطي:

تمثل الدولة الفارسية في القرن الــ ٦م وبداية القرن الــ ٧م طرفاً سياسياً قوياً في الشرق.وقد كانت في صراع مرير مع البيزنطيين حيث كان الفرس يتوقون إلى أعادة تكوين إمبراطورية داريوس والروم يحاولون من جهتهم ا سترجاع بلاد ما بين النهرين التي كانت رومانية في عهد الإمبراطور ترايانوس (بداية القرن ٢ م)وكان محور الصراع الفارسي البيزنطي في القرن الـ ٦ م السيطرة على طرق تجارة الشرق.

وقد عرف هذا الصراع أوجه في بداية القرن ٧م عندما قام الإمبراطور الساساني كسرى الثاني ابرويز بهجومات مركزة على الامبراطورية البيزنطية مكنته من فترة زمنية وجيزة من السيطرة على عدة مدن ومناطق بيزنطية (انطاكيا-القدس وعدة مدن سورية أخرى -فلسطين -ثم الإسكندرية ومصر).ومما يفسر انتصارات الفرس حقد سكان البلاد السامية على بيزنطة لاضطهادها أياهم في الميدان الديني (كانوا على مذاهب مخالفة للمذهب الرسمي)ولثقل الضرائب المفروضة عليهم .

ولكن البيزنطيين قاموا بهجومات معاكسة في عهد الإمبراطور هرقل الذي انتهز فرصة اختلافات داخل البيت الساساني الحاكم فقام باسترجاع كل المقاطعات البيزنطية المحتلة خاصة بعد انتصاره الساحق على أعدائه في معركة نصيبين سنة ٦٢٧م .لكن أهم نتيجة لهذا الصراع الفارسي البيزنطي في بداية القرن ٧م هو ا ستنزاف قوى الجانبين وا ضعافهما عسكرياً مما ساهم في انتصار القوة الجديدة التي كانت بصدد البروز في الجزيرة العربية آنذاك وتتمثل في العرب المسلمين الذين كانوا دولة في المدينة ووحدوا الجزيرة وشرعوا في نشر نفوذهم خارجها في اتجاه الأراضي البيزنطية (الشام) والفارسية(العراق).



الفصل الرابع
تاريخ الحكام الساسانيين

الحاكم	مدة الحكم
أردشير الأول	٢٢٤ - ٢٤١
شابور الأول	٢٤١ - ٢٧٢
هرمز الأول	٢٧٢ - ٢٧٣
بهرام الأول	٢٧٣ - ٢٧٦
بهرام الثاني	٢٧٦ - ٢٩٣
بهرام الثالث	٢٩٣
نرسيه	٢٩٣ - ٣٠٢
هرمز الثاني	٣٠٢ - ٣١٠
شابور الثاني	٣١٠ - ٣٧٩
أردشير الثاني	٣٧٩ - ٣٨٣
شابور الثالث	٣٨٣ - ٣٨٨
بهرام الرابع	٣٨٨ - ٣٩٩

الحاكم	مدة الحكم
يزدجرد الأول	٣٩٩ - ٤٢٠
بهرام الخامس	٤٢٠ - ٤٣٨
يزدجرد الثاني	٤٣٨ - ٤٥٧
هرمز الثالث	٤٥٧ - ٤٥٩
بهروز الأول	٤٥٩ - ٤٨٤
بلاش	٤٨٤ - ٤٨٨
قباذ الأول	٤٨٨ - ٥٣١
جماسب	٤٩٦ - ٤٩٨
كسرى الأول	٥٣١ - ٥٧٩
هرمز الرابع	٥٧٩ - ٥٩٠
بهرام تشوبين	٥٩٠ - ٥٩١
كسرى الثاني	٥٩١ - ٦٢٨
قباذ الثاني	٦٢٨
أردشير الثالث	٦٢٨ - ٦٢٩
شهربراز	٦٢٩

كسرى الثالث	٦٢٩
بوران دخت	٦٢٩ - ٦٣٠
بيروز الثاني	٦٣٠
آزرمي دخت	٦٣٠ - ٦٣١
هرمز السادس	٦٣٠ - ٦٣١
كسرى الرابع	٦٣١
يزدجرد الثالث	٦٣٢ - ٦٥١

الملك أردشير الأول (٢٢٦ -٢٤١) :

هو مؤسس السلالة الساسانية، وهو سليل صفّ كهنة الإلهة في أنيهتا في إصطخر، بيرسيس في بِداية القرن الثالث كانت تحت حكم بيرسيس بابك بن ساسان أب الملك أردشير الأول، ومن الواضح أن بابك بن ســاســان كان أصــلاً حاكم بلدة صــغيرة تســمى كيير ولكن قام بابك بخلع جوســيهر الملك الأخير للبازرنجيدز وقام بابك بن ساسان بتعيين نفسه كحاكم جديد لها. أمه رودهاج كانت بنت حاكم إقليم بيرِيس، المؤسس الرمزي للخَطّ . كَانَ ساسان بن بابكَ الكاهن الأعظم لأنيهتا وجد الملك أردشيَر الأول . جُهود بابك بن ســاســان في كَسْــب القوّة المحليّة في ذلك الوقت لم تلفت انتباه الإمبراطور البارثي أرتبانوس الرابع (٢١٦ -٢٢٤) في البداية لأنه كَانَ مشــغولاً في صراع مع الإمبراطورَ البارثي فولجاسيس الرابع في بلاد ما بين النهرين. زاد الصراع بين بابك بن ساسان والبارثيينوا ستطاع ابن بابك الأكبر سناً شابور توسيع قوَّتِهم بالسيطرة على كل بيرسيس.

إنّ الأحداثَ اللاحقةَ مريبة جداً بسبب الطبيعة السطحية للمصادرِ وهي على أية حال مُتَأَكِّدة موت بابك بن ساسان بعد ذلك حوالي سنة ٢٢٠م، الملك أردشَير الأول مؤسس الدَولة الساسانية الذي كان في ذلك الوقت حاكمَ بارابجيرد دخل في صراع على سلطة ملكه مَع أخيه الأكبر شابور، المصادر تُخبرُنا أن الأخ الأكبر شابور اجتمع مع أخيه في سنة ٢٢٢ وقُتِلَ عندما انهارَ سقف بناية عليه.

بعد ذلك تحرّكَ الملك أردشـير إلى جنوب بيرسـيس وبنى مدينة أردشـير خوارّاه، وكانت هذه المدينة محمية جيداً بواسـطة الجبال العالية والحصـينة. أصـبحَت هذه المدينة مركزَ كفاح الملك أردشـير لبناء إمبراطوريته لكَسْــب قوَّة أكثر، المديَنة أُحيطتْ بحائط دائري عال، ربما شــابهت بذلك مدينة بارابجيرد التي كان يحكمها الملك أردشير، وعلى جانبِ الشمالَ من المدينة تَم بناء قصر كبير، بقايا المدينة لا زالت موجودة.

بعد أن قام الملك أردشـير الأول بتَأسـيس قاعدتِه في بيرسـيس، توسـعت أراضي إمبراطوريته بسرعة، أصـبح الملك أردشـير يطلب القسـم من أمراء فارس المحليين وأصـبح يَكْسـبُ السـيطرة على المحافظاتِ المجاورة لكرمان، أصفهان، سوسينيا، ميسينيا. هذا التوسع السريع لإمبراطورية الملك أردشير بدأ أخيراً يلفت انتباهِ الملك أرتبانوس الرّابع بأن أردشير أصبح ملكاً عظيماً. الملك أرتبانوس الرّابع أمرَ

حاكمَخوز ستان أولاً للانقلاب ضدّ الملك أرد شير في ٢٢٤ م، لكن هذا الانقلاب انتهى إلى نصر رئيسي للملك أردشير نفسه، وزَحفَ الملك أرتبانوس الرابع ثانية ضدّ الملك أردشير الأول في ٢٢٤ م.

جيوش الملكين أرتبانوس وأردشير اشتبكتْ في هرمزديجان، وقُتِلَ الملك أرتبانوس الرابع، واستمر الملك أرد شير في الغَزْو للمحافظاتِ الغربيةِ الفارسيةِ للإمبراطورية الإخمينية. تُوّجَ الملكُ أرد شير الأول في سنة ٢٢٦ م في تسيفون كحاكمٍ وحيد لبِلَاد فارس، وأخذ لنفسه لقب (شاهنشاه) أو (ملك الملوك)، وتَذْكرُ النقوش القديمة أن لقب (أدهور أناهيد) لقب للملكة معناه (ملكة الملكات)، لكن علاقة الملكة مَع الملك أردشير الأول لم تكن أساسية، وبذلك انتهت الإمبراطورية الإخمينية الفارسية التي استمرت لـ ٤٠٠ سنة وبدأت الإمبراطورية الساسانية الفارسية التي استمرت لأربعة قرون.

على مدى السَنَوات القليلة القادمة للإمبراطورية، بعد التمرّدات المحليّة حول الإمبراطورية، استطاع الملك أردشير الأول توسيع إمبراطوريته الجديدةِ أبعد إلى الشرق والمنطقة الشمالية الغربيةِ، واستطاع أن يفتح محافظاتَ جرجان، سيستان، خراسان، مرجيانا، بلخ، خوارزم. وأضافَ البحرين أيضاً والموصل إلى الإمبراطورية الساسانية.

تدعي النقوش الساسانية القديمة أنه بعد ذلك تم استسلام ملوك كوشان، توران، مكران للملك أردشير الأول بالرغم من أن هذا الإذعان حصل بالأدلة النقدية على الأرجح لَابنِ الملك أردشير وهو الملك شابور الأول في الحقيقة، ولكن قامت الإمبراطورية الساسانية باعتداءات ضدّ الحضر، أرمينيا، وحدياب لمحاولة السيطرة عليها ولكن كان النجاح لهذه الاعتداءات والحملات قليلاً.

استمر الملك شابور الأول (٢٤١-٢٧٢) ابن الملك المؤسس أردشير الأول بالتوسّع للإمبراطورية الساسانية، واستطاع أن يَفْتحُ باكتريا، كوشان، وقاد الملك شابور الأول عدّة حملات ضدَّ الإمبراطورية الرومانية بالدخول في العُمق الثاقب للأرضِ الرومانية، الملك شابور الأول فتح وسلب أنتوتشيا في سوريا في سنة ٢٥٣ م أو ٢٥٦ م.

وفي نهاية الأمر استطاع الملك شابور الأول هزيمة الأباطرةَ الرومانَ جورديان الثّالث (٢٣٨ - ٢٤٤)، وفيليب العربي (٢٤٤ -٢٤٩)، واستطاع هزيمة وأسر الإمبراطور الروماني فاليريون (٢٥٣-٢٦٠) في سنة ٢٥٩ م ووضعه في السجنِ الفارسي بعد معركةِ إيديسا التي أصابت الرومان بخزي كبير.

الملك شابور الأول احتفل بنصره وقام بنحت الصخرةِ الرائعةِ في نقش رستم ويظهر فيها الأباطرة الرومان جورديان الثالث وفيليب العربي وفاليريون، ويظهر النحت فاليريون يركع على ركبة واحدة أمام الملك شابور وتحت حصان الملك شابور جسد الملك جورديان الثالث، ووقد وضع هذا النحت والنقش تذكاري باللغتين الفارسية واليونانية مع نقش رستم بالقربِ من بيرسيبوليس.

بين عامي ٢٦٠م و٢٦٣م فَقَدَ الملك شابور الأول بعض الأراضي التي احتلها فقد استولى عليها الملك أودينثوس حاكم مملكة تدمر العربية الحليف للرومان، واستطاع ملك تدمر استعادة الشرق الروماني الذي احتله الفرس الساسانيين وإعادته للإمبراطورية الرومانية.

كانَ عند الملك شابور الأول خططُ تنمية مركّزةُ وأَسّسَ العديد مِنْ المُدن، البعض منها استقرّ جزئياً من قِبَلِ المهاجرين مِنْ الأراضي الرومانيةِ، هؤلاء المهاجرين ومن ضمنهم المسيحيين استطاعوا أن يمارسوا إيمانَهم بحرية تحت حُكُم الساسانيين. مدينتان : بيشابور ونيشابور، سميتا على اسمه. الملك شابور فضّل الديانة المانوية خصوصاً. وحَمى المانويين وأرسلَ الكثيرَ من المانويين مبشرين في الخارج.

الملك شابور الأول صادق أيضاً الحبر البابلي اليهودي صموئيل وهذه الصداقةِ كَانتْ مفيدةَ للجالية اليهوديةِ وأعطتْهم المجال لتأجيل العديد مِنْ القوانينِ الإدارية المُشَرَّعة المستبدّة ضدّهم. انعكس على ذلك أنَ الملوك الساسانيين الذي جاءوا بعد الملك شابور الأول كان عندهم التسامح الديني. الملك بهرام

الأول (٢٧٣-٢٧٦) اضطهد ماني وأتباعه تحت ضغط من الزرادشتيين المجوس فقام الملك بهرام الأول بسجن ماني وطلب قتله، ماني مات - طبقاً للأسطورةِ - في السجنِ وهو يَنتظرُ إعدامَه.

الملك بهرام الثاني (٢٧٦-٢٩٣) اتبع سياسةَ أبيه الدينية، وقد كَانَ حاكماً ضعيفاً وفَقَدَ عِدّة محافظات غربية واستولى عليها الإمبراطور الروماني كاريوس (٢٨٢-٢٨٣) وأثناء حكمِه خسر أغلَب أرمينيا بعد نِصْفِ قرن مِنْ الحُكُمِ الفارسي لهَا، واستولى عليها الإمبراطور الروماني دياقلوس (٢٨٤-٣٠٥).

الملك الساساني بهرام الثالث حَكمَ في سنة ٢٩٣ م وتوفي في نفس السنة.

وحكم بعده الملك الساساني نيرسيه (٢٩٣-٣٠٢) وبَدأَ حرباً أخرى مَع الرومان، وبعد نجاح مبكّر ضدّ الإمبراطور جاليريوس قُرْب كالينيكوم على الفرات في ٢٩٦م، الملك نيرسيه هُزِمَ بشكل حاسم في كمينِ بينما كَانَ وهو مع حريمِه في أرمينيا في ٢٩٧م.



عملة معدنية تحمل صورة الإمبراطور الساساني هرمز الأول، وقد صدرت هذه العملة في أفغانستان، ويتضح فيها تأثير التصميم (الكوشاني)

في المعاهدةِ التي جاءت نتيجة هذه الحرب، تَركَ الساسانيون كُلّ الأراضي غرب دجلة ووافقتْ الإمبراطورية السَاسانية ألا تَتدخّلَ في شؤونِ أرمينيا وجورجيا.

بعد هذه الهزيمة الساحقةِ، الملك الساساني نيرسي استقالَ في سنة ٣٠١ م، وماتَ من الحزنِ بَعْدَ سَنَة.

ابن الملك نيرسي الملك هرمز الثاني (٣٠٢-٣٠٩) اعتلى العرش، وبالرغم مِن قمع الثورات في سيستان وكوشان، إلا أن هرمز الثاني كَان حاكماً ضعيفاً آخر وغير قادر على السَيْطَرَة على النبلاء في الإمبراطورية وقد قتله البدو بينما هو في رحلة صيد في سنة ٣٠٩ م.

العصر الذهبي (٣٠٩-٣٧٩):

بعد موت الملك الساساني هرمز الثاني تعرضت الإمبراطورية الساسانية للهجمات الجنوبية من العرب فبدؤوا الهجوم على المدن الجنوبية وسلبها وتدميرها، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك وبدأوا بالهجوم على محافظة فارس مسقط رأس الملوك الساسانيين وذلك بسبب قيام النبلاء في الدولة بقتل ابن الملك هرمز الثاني، وأعموا ابنه الثاني، وسجنوا ابنه الثالث الذي فر لاحقاً إلى الأراضي الرومانية، وحجز النبلاء عرش الدولة الساسانية للابن الذي لم يولد بعد من زوجات الملك هرمز الثاني، ويقال أن الملك شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩) هو الملك الوحيد في التاريخ الذي تم تتويجه وهو في رحم أمه، وقد تم وضع تاج الملك على بطن أمه، الطفل شابور وُلِدَ ملكاً، وأثناء شبابه كانت الإمبراطورية الساسانية تحت

سيطرة أمه والنبلاء في الدولة، فانتشر بين العرب والرومان والأتراك أن ملك الفرس صغير فطمعوا في المملكة الساسانية، ولكنّ شابور الثاني أثبت نشاطه وفعاليته في الحكم عند بلوغه سن الرشد.

شابور الثّاني في بداية قيادته كان صغيراً ولكنه قاد جيشه جنوباً ضدّ العرب وا ستطاع تأمين المناطقَ الجنوبيةَ مِنْ الإمبراطورية، ثمّ بَدأ حملتَه الأولى ضـــدّ الرومان في الغرب، وحصـــد نجاحاً مبكّراً بعد حصـــار سِـــنجاره، على أيَة حال فتوحاته أوقفتها الهجمات الأتراك البدائيين على طول الحدود الشرــقيةِ للإمبراطورية الساسانية وهدّدتْ هذه الهجمات ترانسوكسيانا وهي منطقة حرجة بشكل إستراتيجي يكون فيها سيطرة الفرس على طريق الحرير، بالإضافة إلى أن قوات الملك شابور الثاني العسكرية ما كانتْ كافيةَ للسيطرة على الأراضي الغربية التي احتلها، فا ضطر إلى توقيع معاهدة سلام مع الإمبراطور البيزنطي كوستنتيوس الثاني (٣٥٣-٣٦١) والتي فيها وافقَ كلا الجانبينَ ألا يُهاجمَ أراضي بعضهم البعضِ لفترة زمنية محددة.

الملك شابور الثّاني بعد ذلك زَحفَ بجيوشه شرقاً نحو ترانسوكسيانا لمُقَابَلَة الأتراك الشرقيين البدائيين وسَحقَ القبائلَ الآسيويةَ المركزيةَ، وضَمُّ منطقتهم كمحافظة جديدة في إمبراطوريته.

تبع التوسّعُ الثقافيُ هذا النصر، واخترقَ الفن الفارسي تركستان ووصل إلى حد ما إلى الصين، الملك شابور الثّاني بدأ مع الملك البدائي جرمباتيس حملتَه الثانيةَ ضدّ الرومان في ٣٥٩ م، وفي هذا الوقتِ بقوته العسكريةِ الكاملةِ ودعمه من القبائل التركية البدائية كانت الحملة ضد الرومان ناجحة بشكل كبير، ما مجموعه خمس محافظاتِ رومانيةِ تركها الرومان للفُرْس بعد اكتمال حملتهم ضدهم.

اتبع الملك شابور الثّاني سياسة دينية قاسية وفي عهده اكتملت مجموعة النصوص المقدّسة للزرادشتية المسماة أفيستا، وتمت معاقبة المبتدع والمرتد عن الدين الزرادشتي وتم اضطهاد المسيحيين، واضطهاد المسيحيين كان ردّ فعل ضدّ المسيحية التي اعتنقتها الإمبراطورية الرومانية من قبل قسطنطين الكبير (٣٢٤-٣٣٧)، ولكن الملك شابور الثّاني كان مثل الملك شابور الأول، كَانَ ودّياً نَحو اليهود الذين عاشوا في حرية نسبية في عهده، وكَسبَ اليهودُ العديد مِنْ الفوائدِ في عهد الملك شابور الثاني.

في الوقت الذي مات فيه الملك شابور الثاني، الإمبراطورية الساسانية الفارسية كَانتْ أقوى أكثر من أي وقتْ مضى، فمع أعدائها في الشرقِ كانت الأوضاع هادئة، وأرمينيا كانت تحت السيطرةِ الفارسية.

العصر المتوسط (٣٧٩-٤٨٩):

من موت الملك شابور الثاني حتى تتويج الملك الساساني قباذ الثاني (٤٨٨-٥٣١) بلاد فارس كَانتْ مستقرّةً بشكل كبير، كانت هناك بعض الحروب بينها وبين الإمبراطورية البيزنطية، في كافة أنحاء هذا العصر اختلفت سياسة الإمبراطورية الساسانية الدينية بشكل مثير مِنْ ملكِ إلى ملكِ آخر، ولكن على الرغمَ مِنْ وجود سلسلَة مِن الزعماءِ الضعفاءِ إلا أن النظام الإداري للإمبراطورية الذي تم تأسيسه في عهد الملَك شابور الثاني بَقى قوياً، والإمبراطوريةَ واصلتْ الإشتغال عملياً.

ترك الملك شابور الثاني بعد موته في سنة ٣٧٩ م إمبراطورية قويّة لأخيه غير الشّقيق الملك أردشير الثاني (٣٧٩-٣٨٣) ابن فهرام من كوشان، ولكن ابنه الملك شابور الثالث (٣٨٣-٣٨٨) لمَ يكن ذا موهبة مثل أسلافه، الملك أردشير الثاني الذي تولى العرش بصفته الأخ غير الشقيق أخفقَ في الوصول لمرتبة أخيهً في الحكم، والملك شابور الثالث كانَ سوداوياً في حكمه لإنْجاز أيّ شيء، ولكن الملك بهرام الرّابع (٣٨٨-٣٩٩)، بالرغم من أنه لم يكن خاملاً كأبيه الملك شابور الثالث ولكنه كان يُخفقُ كثيراً في إنْجاز أيّ شيءِ مهم للإمبراطورية، أثناء هذا الوقت تم تقسيم أرمينيا بالمعاهدةِ بين الرومان والإمبراطورية الساسانية، الساسانيون مُؤَسّسوا الإمبراطوريَة استردوا مرةً ثانية حُكُمهم على أرمينيا العظيمة، بينما الإمبراطورية البيزنطية حصلت على جزء صغير غرب أرمينيا.

الملك بهرام الرابع ابن الملك يزدجرد الأول (٣٩٩-٤٢١) كان يُقارن في أغلب الأحيان بالإمبراطور الروماني قسطنطين الأول، كان مثله، كانَ كلاهما قوياً جسدياً ودبلوماسياً، كان الملك بهرام الرابع مشابهاً كثيراً لنظيره الروماني، والملك يزدجرد الأول كان انتهازياً مثل قسطنطين الكبير، الملك يزدجرد الأول زاولَ سياسة التسامح الديني وأعطى حريةً جاهزةً لارتفاع الأقلّيات الدينيةِ فأوقفَ الاضطهادَ ضدّ المسيحيين وعاقبَ النبلاء وحتى الكهنة الذي إضطهدوهم. فكان ذلك علامة عهده السلمي تقريباً، وجَعلَ بينه وبين الرومان سلاماً دائماً، بل حتى أخذَ الإمبراطور البيزنطي الشاب ثيودوسيوس الثاني (٤٠١-٤٥٠) تحت وصايته ورعايته، وتَزوّجَ أيضاً من أميرة يهودية أنجبت له ابناً يسمى نيرسيه.

الملك بهرام الخامس (٤٢١-٤٣٨) الوريث للملك يزدجرد الأول هو أحد أكثر الملوك الساسانيين المشهورين وبطل العديد منْ الأساطيرِ، وهذه الأساطير استمرّتْ حتى بعد فتح الإمبراطوريةِ الساسانية من قِبَل المسلمين، الملك بهرام الخامس كان معروفاً أكثر باسم (بهرام إي جور)، وقد كَسبَ التاجَ بعد موتَ الملك يزجرد الأول أو اغتياله رغم معارضةِ النبلاءِ بمساعدة أمير الحيرة العربي المنذر بن النعمان، وأمه كانت يهودية، في سنة ٤٢٧ م سَحقَ الملك يزدجرد الأولالهيفثليتيس البدائيين وهم المحتلين القادمين من الشرق، وأمتد تأثير الملك يزدجرد إلى آسيَا الوسطى، حيث بقيت صورته لقرون على عملة بخاري. خَلعَ الملك بهرام الخامس ملك أرمينيا التابعة للإمبراطورية الساسانيةِ وجعل أرمينيا مجردَ محافظة تابعة للدولة.



كان الملك بهرام الخامس هو المفضل في التقاليد الفارسية فهو يحكون العديد منْ قصص شجاعته والجمال، انتصاراته على الرومان والأتراك والهنود وأهل أفريقيا، ومغامراته في الصيد وحتى العشق، وقد سمي الملك بهرام الخامس (بهرام إي جور) لحبه للصيد وبشكل خاص يُطاردُ الـ (أوناجر) وهو حيوان قريب من الحصان، وكانت فترة حكم الملك بهرام الخامي هي العصر الذهبي للإمبراطورية الساسانية، فقد رَبحَ تاج الملك بتَنَافُس مع أخِيه، وصَرفَ وقتاً كبيراً وهو يُحاربُ الأعداء الأجانبَ للإمبراطورية، ولكنه أبقىَ نفسه في الغالب متسلياً بالصيد بفرقته المشهورةِ بالسيدات والخدم، وقد جسّدَ الملك بهرام الخامس ازدهاراً ملكياً وفي عهده كُتبَتَ أفضلَ قطَع الأدب الساساني وتم إعداد قطَع بارزةٍ منْ الموسيقى الساسانية، وكذلكَ الألعاب الرياضية مثل البولو أصبحتْ من التسالي الملكيةَ وهو التقليد الذي يَستمرُّ إلى هذا اليومِ في العديد مِنْ الممالكِ الحديثة.

بهرام جور هي من عيون الأدب والشعر الفارسي. بهرام والأميرة الهندية في المقصورة السوداء. وشرح القصة يظهر في أسفل الصفحة على شكل خماسيات شعرية للشاعر نظامي، من الحقبة السلاجقة بمنتصف القرن السادس عشر.

الملك يزدجرد الثاني (٤٣٨-٤٥٧) ابن الملك بهرام الخامس كان حاكماً معتدلاً بالمقارنة مع الملك يزدجرد الأول، ولكنه مارس سياسةً قاسية تجاه الأقليات الدينية خصوصاً المسيحية.

في بداية عهد الملك يزدجرد الثاني كان جيش الإمبراطورية الساسانية تَجمّعاً خَلطَ الأمَم المُخْتَلفة، فقد كان الجيش يَتضمّنُ حلفاءهم الهنود، وهاجمَ الجيش الساسانيَ الإمبراطورية الرومانية الشرقيةَ، التي كانتْ تَبْني التحصيناتَ التي كانَ الرومان يستخدمون فيها خدعاً للحملات

العسكرية التي ينوون إرسالها للأرض الفارسية في مكان قريب من كراهاي، ولكن الفرس فاجئوا الرومان، وكان بإمكان الملك يزدجرد الثاني أنْ يَتقدّمَ كَثيراً في الأرض الرومانيةِ، ولكن الإمبراطور البيزنطي ثيودو سيوس الثاني طلب معاهدة سلام وأرسل قائدَه إلى معسكر الملك يزدجرد الثاني، وفي المفاوضات بينهما في سنة ٤٤١ م، وَعدتْ كلتا الإمبراطوريتان الساسانية والبيزنطية ألا تَبْني أيّ تحصينات جديدةَ على الحدود، وعلى كل حال، الملك يزدجرد الثاني امتلكَ اليد الطولى ولَمْ يَطْلبْ أكثر من الرومان بسبب هجمات الكيدارتيين على أراضي الإمبراطورية في پارثيا وخوارزم، فجَمعَ الملك يزدجرد الثاني قواته في نيشاَهبور في سنة٤٤٣م ، وانطلقتْ قوته في حملةٍ ضدّ الكيدارتيين، وأخيراً بعد عدد مِنْ المعاركِ سَحقَ الكيدارتيين وأبعدَهم إلى ما بعد نهرِ أوكسوس في سنة ٤٥٠م.

أثناء حملة الملك يزجرد الثاني الشرقيةِ ارتاب الملك يزدجرد من المسيحيين في الجيش وطَردَهم من الجيش وقياداته، ثمّ اضطهدَ بعد ذلك المسيحيين، واضطهد اليهود ولكن بشكل أقل، وكانَ هذا الاضطهاد لكي يعيد تأسيس الديانة الزرادشتيةَ في أرمينيا، وسَحقَ انتفاضة المسيحيين الأرمن في معركة فارتانانتز في سنة ٤٥١ م، ولكن على كل حال، بقيَ الأرمن على الديانة المسيحية، وفي سَنَواتِه التاليةِ، انشُغِلَ الملك يزدرجرد ثانيةً مَع الكيدارتيين حتى موتِه في سنة ٤٥٧ م.

اعتلى العرش الملك هرمز الثّالث (٤٥٧-٤٥٩) وهو الابن أصغر للملك يزدجرد الثّاني، وأثناء عهده القصير، قاتلَ بشكل مستمر أخاه الأكبر فيروز الذي كَانَ مدعوماً من طبقة النبلاء، وفي أثناء هجمات الكيدارتيين على أراضي الإمبراطورية في بَاكتريا، الملك هرمز الثالث قُتِلَ مِن قِبل أخّيه فيروز في سنة ٤٥٩ م.

وفي بداية القرن الخامس قامت الهيفثليتيس (الهون البيض) مع المجموعات التركية البدائية الأخرى بمهاجمة بلاد فارس، وفي بادَيء الأمر كان بهرام الخامس ويزدجرد الثاني يوقعان هزائمَ حاسمةً ضدّهم وأرجعوهم شرقاً، ولكنّ الهون عادوا في نهايةِ القرن الخامس وهَزموا الملك فيروز الأول (٤٥٧-٤٨٤) في سنة ٤٨٣ م، بعد هذا النصر، قام الهون بغزو و سيطرت علىَ أجزاءَ من شرق بلاد فارس لسنتينِ، وأصبح يحسب حسابهم لبضع سَنَوات فيما بعد.

جَلبتْ هذه الهجماتِ عدمَ الاستقرار والفوضى للمملكةِ، الملك فيروز حاول ثانيةً أَنْ يطْردَ الهيفثليتيس، ولكن في طّريقه إلى هراة هو وجيشه حُوصِرَوا مِنَ قِبل الهون في الصحراءِ، وقُتلَ الملك فيروز وأبيدَ جيشه، بعد هذا النصر للهيفثليتيس تَقدّمَوا للأمام إلى مدينةِ هراة، وأصبحت الإمبراطورية في فوضى كبيرة، ولكن في النهاية، أحَد الفرس النبلاء مِنْ العائلةِ القديمة كَارين، زارميهر أو سوخرا أعادَ الأمور إلى نصابها في الإمبراطورية ورَفعَ بالاش أحد إخوة فيروز إلى العرش، ولكن بالرغم من أن تهديد الهون استمرَّ حتى عهد الملك كسرى الأول، الملك بالاش (٤٨٤-٤٨٨) كَانَ ملكاً معتدلاً وكريماً، وهذا ما جعله يقدم بعض التنازَلاتَ للمسيحيين، على كل حال، الملك بالاش لم يتخذ أي إجراء ضدّ أعداء الإمبراطوريةِ، خصوصاً الهون الأبيض، بعد أربع سَنَواتِ من عهد الملك بالاش، أُعْمِيَ الملك وخُلِعَ ورفع النبلاء ابن أخيه قباذ الأول رُفِع إلى العرشِ.

الملك قباذ الأول (٤٨٨-٥٣١) كان حاكماً نشيطاً وإصلاحياً، قام الملك قباذ الأول بدعم الطائفة الشيوعية المزدكية التي أسّسها مزدك بن بامداد، ومزدك هو الذي طالب بأنه يجب على الأغنياءَ أنَ يُقسّموا زوجاتَهم وثروتَهم مع الفقراء. وكانت نية الملك قباذ بتبني مذهب المزدكية واضحة، وذلك لكَسْر تأثيرِ الأقطابِ والأرستقراطية المُتزايدة، وهذه الإصلاحات أدّتْ إلى توديعه وسجنه في قلعة النسيانِ (نهر النسيانِ) في شوش، ورفعوا أخاه الأصغر جماسب إلى العرش في سنة ٤٩٦ م، ولكَن على كل حال الملك قباذ الأول هَربَ في سنة ٤٩٨ م وقام ملكالهون البيض بتوفيرِ المأوى له.

صعد الملك جماسب (٤٩٦-٤٩٨) على العرش بمساعدة النبلاء مودعاً بذلك حكم أخيه الأكبر الملك قباذ الأول، وكانَ الملك جماسب ملكاً جيداً ورحيماً، وهو الذي خفّضَ الضرائب لكي تُخفّفَ على الفلاحين والفقراء، وهو كَانَ أيضاً تابعاً للطائفة المزدكية، وقام بالانحرافات التي كلّفتْ الملك قباذ الأول عر شه وحريته، ولكن انتهى عهد الملك جما سب عندما جاءه الملك قباذ عَلى رَأس جيش كبير مَنحه إياه ملك الهيفثليتيس وعادَ الملك قباذ الأول إلى عاصمة الإمبراطوريةَ وتَنازلَ له الملكَ جماسب عن العرش بكلَ اخلاص وأعادَ العرشَ إلى أخِّيه الملك قباذ لم يُذكَر في التاريخ ماذا حصل لجماسب بعد إعادة العرش لأخيه قباذ، ولكنَّه يُعتَقدُ على نحو واسع بأنّه حوسب إيجابياً في محكمةِ أخِّيه.

العصر الذهبي الثاني (٤٩٨-٦٢٢):

العصر الذهبي الثاني بَدأَ بعد الملك قباذ الثاني لعر شه، وبدعم من الهيفثليتيس انطلقتُ حملة الملك قباذالأول ضدّ الرومان سنة في ٥٠٢ م واحتل مدينة ثيودوثيوبليس في أرمينياللأمبراطورية الساسانية، وفي سنة ٥٠٣ م احتل أميدا (ديار بكر) الواقعة على ضفاف نهر دجلة، وفي سنة ٥٠٥ م تم غزو بواسطة الهون الغربيين القادمين من القوقاز مما أدّى إلى هدنة دفع خلالها الرومان الإعانات المالية للفُرْس لصيانةِ التحصينات على القوقاز، وفي سَنَةِ ٥٢٥ م قمعَ الملك قباذ الأول الثوراتَ في لازيسا واستطاع استردادَ جورجيا، واستطاع جيشَ الملك قباذ الأول هزيمة الجيش البيزنطي بقيادة بيليساريوس المشهور مرّتين، مرة في سنة ٥٣٠ م في معركةِ نيبيس، والمرة الثانية في سَنَة ٥٣١ م في معركةِ كالينيكوم، وبالرغم من أن الملك قباذ الأول لم يستطع أنَ يُحرّرَ نفسه مِنْ سيطرةِالهيفَثليتيس إلّا أنه نَجحَ في إعادةَ مقاتلةَ الرومان بنجاح، أَسّسَ الملك قباذ الأول عِدّة مُدن، البعض مِنها سُمّى على اسمه، وبَدأَ بتَنظيم النظَام الضريبي.

بعد الملك قباذ الأول جاء اعتلى العرش ابنه كسرى الأول (٥٣٢-٥٧٩) المعروف بأنوشروان (الروح الخالدة)، والملك كسرى الأول هو الأكثر شهرةً بين الملوك الساسانيين بسبب إصلاحاته في السلطة الساسانية الحاكمة، وفي إصلاحاته قدّمَ نظام بطاقات تموينية في النظام الضريبي، مستنداً في ذلك على مسح أملاكِ النبلاءالتي هبطت أسعارها نتيجة حجز المزدكية الشيوعية وتأميمها لها، ومع النظام الضريبي الذي بدأه أبوه الملك قباذ بَدأَ الملك كسرى الأول بتجربة كل الطرق لزيَادَة الرفاهيةِ والعائداتَ لإمبراطوريته، وأعاد جميع النبلاء الإقطاعيين العظماء السابقين إلى أجهزتهم العسكريةِ الخَاصةِ وأعادَ لهم أتباعِهم وخدمِهم، وطوّر الملك كسرى الأول قوة جديدة للدهاقنة (نبلاء القرى) والفرسان فقد جعل مصروفاتهم وتجهيزاتهم على الحكومةِ المركزيةِ للدولة، فقد كان تجهيز الجيش الساساني مسؤولية النبلاء في الدولة وكانوا في فترة السلم يستخدمونَ الجنود في حقولهم ويلزمونهم بالعمل كخدم، ولكن الملك كسرى الأول ربطَ الجيشَ مباشرةً بالحكومةِ المركزيةِ مِنْ أكثر من ارتباطهم بالسابق بالنبلاء المحليّين.

وبالرغم من أن الإمبراطور البيزنطي جو ستينيان الأول (٥٢٧-٥٦٥) دَفعَ ٤٤٠ ألف قطَعة من الذهب للمُحَافَظَة على السلام مع الفرس، ولكن في سنة ٥٤٠ م كسر الملك كسرى الأول معاهدَة السلام الأبديَ مع الرومان التي حصلت في ٥٣٢ م، وغزا الملك كسرى الأول سوريا، حيث حاصر بشكل مؤقت مدينةَ أنطاكية، وجمع الملك كسرى أموالاً من المدن البيزنطية المختلفة في طريق عودته.

وفي سنة ٥٦٥ م، مات الملك البيزنطي جوستينيان الأول وَخَلَفَهُ الملك جستين الثّاني (٥٦٥-٥٧٨) الذي صمّمَ على إيقاف الإعانات الماليةِ للزعماءِ العربِ لإعاقتهم عن مُهَاجَمَة الأرض البيزنطيةِ في سوريا، في السنوات السابقة كانَ الساسانيونَ يحكمونَ أرمينياً بعائلةَ سورين وبَنوا معبدَ نار في مدينةً ديفين قُرْب مدينة يريفان حديثة عاصمة أرمينيا، ولكن بموت العضو المؤثرَ لعائلةِ ماميكونيانَ، قامت ثورة أدّتْ إلى

مذبحة الحاكم الفارسي وحارسه في سنة ٥٧١ م، الإمبراطور جوستين الثّاني استغلّ الثورة الأرمينية لإيقاف دُفْعاته السنوية للملك كسرى الأول وقام بالتحالف مع الأرمن، الأرمن رحبوا به كحلفاء، وأرسل جيشه إلى الأراضي الساسانية، فحاصر جيشه مدينة نيبيس في سنة ٥٧٢ م، على كل حال، حصل خلاف بين الجنرالات البيزنطيين الذي أدى ليس فقط إلى ترك الحصار على نيبيس، ولكنّهم بعد ذلك حوصروا في مدينة دارا التي احتلها الفُرْس ثم بعد ذلك قام الفرس بتدمير سوريا، مما اضطر الإمبراطور جوستين الثّاني لطلب السلام، أما الثورة الأرمنية فقد انتهتْ بعفو عام مِنْ الملك كسرى الأول الذي أعادَ أرمينيا إلى الإمبراطورية الساسانية.

حوالي سنة ٥٧٠ م، معد يكرب سيف بن ذي يزن الأخ غير الشّقيق لملكِ اليمن الذي خلعه الملك الحبشي أبرهة طَلبَ من الملك كسرى الأول المساعدة لخلع ملك الحبشة الذي يحكم اليمن مسروق بن أبرهة وتولي العرش مكانه، فأرسل الملك كسرى الأول بسرعة جيشاً صغيراً تحت بقيادة فاهريز إلى اليمن قُرْب مدينة عدن الحالية، ورافق معد يكرب الحملة الفارسية، وانتهت المعركة وأصبحَ ملكاً في وقت ما بين سنتي ٥٧٥ م و٥٧٧ م. وهكذا كسب الساسانيون حليفاً لهم في اليمن ما جعلهم قادرين على تأسيس قاعدةٍ في جنوب بلاد العرب للسَيْطَرَة على التجارةِ البحرية في الشرق، وتَركَ الساسانيون لاحقاً المملكةُ العربيةُ الجنوبيةُ ثم أرسلوا لها بعثة فارسية أخرى في سنة ٥٩٨ مَ التي انتهت بنجاح بحيث جعلت جنوب بلاد العرب محافظة تابعة للدولة الساسانية واستمرت كذلك حتى ظهرت المشاكلِ بعد الملك كسرى الثاني.

عهد الملك كسرى الأول شهد ازدياد قوة الدهاقنة وهم نبلاء القرى، طبقة النبلاء التافهة التي كانت تحوز العقارات التي كَانتْ العمود الفقري منْ الإدارة الساسانيين الإقليمية وكذلك النظام الضريبي الذي أسسه الملك كسرى الأول، الملك كسرى الأول كَانَ بَنّاء عظيم، قام بتحسين رأس مال الدولة بتأسيس البلداتَ جديدةَ، وبناء البناياتَ الجديدةَ، وإعادة بناء القنواتَ وتجهيز المزارع مجدّداً التي حطمتها الحروب، بَنى تحصيناتَ قويةَ في الترخيصات، وقام الملك كسرى الأول بوضع القبائل في البلداتِ المُختَارَة بعنايةِ على الحدودِ ليجعل هذه القبائل موالية للفرس وتصد المحتلين، الملك كسرى الأول كَانَ متسامحاً مع كُلّ الأديان، ومع ذلك أمرَ بأنّ الزرادشتية يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الدينَ الرسميَ للدولة، ولَمْ ينزعج كثيراً عندما اعتنق أحد أبنائِه المسيحية.

بعد الملك كسرى الأول تولى العرش الملك هرمز الرابع (٥٧٩-٥٩٠) وكَانَ أيضاً حاكماً نشيطاً وقد واصلَ النجاحَ والازدهارَ اللذَيْن أُسّسا مِن قَبَل أسلافه، وأثناء عهد كسرى الثاني(٥٩٠-٦٢٨) ثار الجنرال برهام تشوبين (الملك برهام الخامس) المنافس للملك كسرى الثاني عليه ودخلت الإمبراطورية سريعاً في أزمة، ولكن الأزمة لم تدم طويلاً، وكسرى الثاني أسس قوته مسيطراً بذلك على الإمبراطورية، وقام باستغلال الحرب الأهلية في الإمبراطورية البيزنطية وانطلق مع جيوشه باحتلال شامل للأراضي البيزنطية، فقد كاد حلم كسرى الثاني بإعادة حدود الإمبراطورية الأخمينية السابقة يتحقق وكاد أن يكتمل بسقوط القدس ودمشق في يده، وكذلك مصر سَقطتْ مباشرة بعد ذلك .

وفي سنة ٦٢٦ م أصبحت مدينةالقسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية تحت حصار السلافيين والأوراسيين المتحالفين مع الفرس. هذه القمة في التوسع الساساني كان يرادفها في نفس الوقت قمة تَفَتّح الفن الفارسي والموسيقى والهندسة المعمارية في بلاد فارس وبحلول سنة ٦٢٢ م كانت الإمبراطورية البيزنطية على حافة الانهيار وحدودِ الإمبراطوريةِ الأخميدية السابقة على كُلّ الجبهات احتلها الساسانيون ما عدا أجزاءِ من الأناضول.

عصر الهبوط والسقوط (٦٢٢-٦٥١) :

بالرغم من النجاح الضخم لحملة الملك كسرى الثاني، إلا أنها أرهقت الناس بالضرائب، واستطاع الإمبراطور البيزنطي هرقل (٦١٠-٦٤١) أن ينتقمَ من الساسانيين بتحرك تكتيكي وذلك بأن ترك العاصمة المحاصرة القسطنطينية وهاجم بلاد فارس مِنْ المؤخّرة عن طريق الإبحار من البحر الأسود، وفي هذه الأثناء ظَهرَ شكٌّ متبادلَ بين الملك كسرى الثانيوجنرال جيشه شهرباراز، وقام الوكلاءُ البيزنطيون بتسريب رسائل مزيفة للجنرال شهرباراز تظهر بأنّ الملك كسرى الثاني كَانَ يُخطّطُ لإعدامه، فخاف الجنرالَ شهرباراز على حياته وبَقى محايداً أثناء هذهِ الفترةِ الحرجة، وخسرت بلاد فارس بذلك خدماتَ إحدى أكبر جيوشِها وإحدى أفضل جنرالاتها، إضافةً إلى ذَلك توفيَ بشكل مفاجئ شاهين وسباهبود العظيم قادة الجيش الساساني والذي كان تحت سيطرته بلاد القوقاز وبلاد الأناضول، وهذا ما رَجَّحَ كفّةَ الميزان لمصلحة البيزنطيين وأوصل الملك كسرى الثاني إلى حالةِ الكآبةِ.

وبمساعدةِ الترك الزرقوقوّات تركية أخرى استغل الإمبراطور البيزنطي هرقل غياب قادة الجيش الساساني شاهين وربح عِدّة انتصارات مُدَمِّرة للساسانيين وأضعفتْ جوهرياً الساسانيين بعد ١٥ عاماً على حربهم للبيزنطيين، حملة الملك هرقل تَتوّجتْ في معركة نينوى، حيث انتصر الملك هرقل (بدون مساعدةالترك الذي تركوه) على الجيش الساساني بقيادةراهزاد، وزحف الملك هرقل خلال بلاد ما بين النهرين غربِ بلاد فارس وعرش سليمان وقصر داستوجيرد حيث وصلته أخبارَ اغتيالِ الملك كسرى الثاني.

بعد اغتيالِ الملك كسرى الثّاني انتشرت الفوضى في الدولة الساسانية على مدى أربع عشْرة سنة وجاء بعد كسرى الثاني إثنا عشرَ ملكٍ متعاقبون من ضمنهم اثنتان مِنْ بناتِ كسرى الثاني براندخت وازرميدخت، وضعفت الإمبراطوريةَ الساسانية إلى حدٍّ كبيرٍ، وتغيرتْ قوَّة السلطة المركزية على أيدي جنرالات الجيش، واستغرقت هذه الفوضى عِدّة سَنَوات لظهر ملك قوي بعد سلسلة من الانقلابات العسكرَية.

وفي ربيع سنة ٦٣٢ م، يزدجرد الثالث حفيد الملك كسرى الثاني الذي عاشَ في اصطخر اعتلى العرش الساساني، وفي تلك السَنَة نفسها بدأت الفتوحات الإسلامية العربية الأولى لبلاد الفرس. جاء في أطلس تاريخ الإسلام (ص٤٩): "هناك مبالغة في نصوص تصوير اتساع دولة فارس في العصر الإيراني، لأن فارس لم تكن قط في أي عصر من عصور تاريخها قبل الإسلام دولة ثابتة الحدود. إنما كانت حدودها تتسع أحياناً في عصور الملوك الأقوياء، وتنقبض في عصور الضعفاء وهم الأكثرون. وعماد القوة العسكرية الإيرانية كان جماعات مرتزقة من قبائل تركية إلى جانب قبائل الهضبة الإيرانية نفسها. وكان الأكاسرة يسلطون هذه الجماعات المقاتلة على على البلاد لإرهاب أهلها وإرغامهم على دفع الجزية والإتوات كما ترى في الولايات الشرقية".

وفي الحقيقة أن الساسانيين قاوموا في البداية مقاومة فعّآلة استطاعت أن تضغط على الجيوش الإسلامية الأولية وتمنعها في البداية، ولكنْ كان الملك يزدجرد الثالث تحت رحمة مُستشاريه مختلفيَ الرأي أمام الانهيارَ الواسع للبلاد بسبب الممالك الإقطاعية الصغيرة، إلا أن الفرس لم يعودوا مهددين بعد اللقاء الأول بين الساسانيين والعرب المسلمين الذي كان في معركة الجسر سنة ٦٣٤م والذي أدّى إلى انتصار الساسانيين، لكن لَمْ يُتوقّفْ الفتح الإسلامي هناك وظَهرَ ثانية بسبب الجيوش الإسلامية المنضبطة تحت قيادة القائد سعد بن أبي وقاص أحد الصحابة والذي اختاره الخليفة الراشد عمر بن الخطاب لَقيادة الجيش العربي المسلم وهزم سعد بن أبي وقاص الجيش الساساني الكبير الذي كان بقيادة الجنرال الساساني رستم فروخزاد في معركة القادسية في سنة ٦٣٧م وأصبحت مدينة المدائن محاصرة وسقطت بعد الحصار، بعد هذه الهزيمة الكبيرة للفرس في معركة القادسية هَربَ الملك يزدجرد الثالث شرقاً مِنْ المدائن، وترك خلفه أغلب الخزانة الإمبراطورية الواسعةَ، وفتح المسلمون العرب المدائن بعد ذلك، وتركت الدولة الساسانية مصدراً مالياً قوياً لهم استطاعوا الاستفادة منها، وكَانت الإمبراطورية

الساسانية في ذلك مستنزفة ومقسّمة وبدون حكومةِ قوية مركزية فعّآلة، في وقت الغزوات العربية، وتطورت الأحداثَ بعد ذلك بسرعة، فبسبب الفراغ النسبي مِنْ السلطة فيَ الإمبراطورية كانت النتيجةَ هي الغزو الإســلامي لباقي أراضي الإمبراطورية في بلاد فارِس، و حاولَ عدد مِنْ حكَام بلاد فارس الساسانيين دَمْج قواتهم لإيقاف الغزوات الإسلامية، ولكن هذه الجهود كانت بلاَ فائدة بسبب انعدام الســلطة المركزية القوية، وتمت هزيمة هؤلاء الحكام في معركة نهاوند، وكان الأمل الوحيد للإمبراطورية الساسانية لهزيمة العرب المسلمين هو طائفة فروسية هم (طَبقة النبلاء الأحرار)، وتم استدعاء هذه الفرقة العســكرية التي لم تكن جاهزة في كل وقت وحاولوا تكوين جيش وحيد للدفاع الأخير عن الإمبراطورية الساسانية، ولكن أيضاً بلا فائدة بسبب عدم وجود التركيبة العسكرية المنضبطة وعدم وجود الدعم المالي للقوات العســكرية، وتحطمت هذه الطائفة الفروســية تدريجياً بســبب الفوضى في الإمبراطورية، فأصبحت الإمبراطورية الساسانية عاجزةَ جداً الآن الغزوات الإسلامية.

مع انتشار أخبار الهزائم المتتالية للجيوش الفارسية أمام العرب المسلمين هرب الملك يزدجرد الثالث مع نبلاء الدولة الفارسية من عاصمة الإمبراطورية نهاوند إلى المحافظة الشمالية خوزستان، وبعد ذلك بسنوات تم اغتيال الملك يزدجرد الثالث على يد طحان في مرو سنة ٦٥١ م، بينما استقر بقية النبلاء في وسط آسيا حيث ساهموا كثيراً في الثقافة واللغة الفارسية ونشروها في تلك المناطق وأسسوا السلالةِ الإيرانيةِ المحلية الأولى ســلالة السّــامنيين تلك الســلالة التي أرادتْ إنّعاش التقاليدَ الســاســانية التيَ قيدها المَسلمون بعد فتح بلاد فارس.

الشـــلل الغير متوقع للإمبراطورية الســاســانية اكتملَ بعد خمس سَــنَوات، وأغلب أراضي الدولة الساسانية أصبحت ضمن أراضي الخَلافة الإسلامية الجديدة، وعلى كل حال العديد مِنْ المُدن الفارسية قاومتْ وقاتلتْ ضــدّ العرب المسْــلمين عدّة مرات، مُدن مثل أصــفهان والري وهمدان قام العديد من الخلفاء المســلمين بقمع الثورات فيها ثلاث مرات ولكن الســكـان المحليين في بلاد دخلوا في الإســلام برغبتهم، وأما من لم يدخل الإســلام منهم فقد تم فرض الجزية عليه، وهو مبلغ مالي أوعيني رمزي يؤخذ من أهل الكتاب والمجوس مرة كل عام.

وبعد ذلك قام العرب المســلمون بفتح بلاد فارس كلها، وبفتح بلاد فارس على يد المســلمين وبمقتل الملك يزدجرد الثالث سنة ٦٥١ م كانت نهاية الإمبراطورية الساسانية.

الحكومة :

أَسّــسَ الســاســانيون إمبراطوريةً حدودها مقاربة لحدود الإمبراطورية الإخمينية، وجعلوا إدارة هذه الإمبراطوريةِ من عاصــمتهم تسـيفون التابعة لمحافظة خفارفاران، وقد أطلق الملوك الســاســانيون على أنفســهم لقب شـاهنشـاه (ملك الملوك)، وأما الملكات السـاسـانيات فقد كَانَ عِنْدَهُن لقب بينيبشـينان بانيبشـين (ملكة الملكات)، فأصبح الملَوك السـاسـانيون هم السـادة الكبار المركَزيون لهذه الإمبراطورية وجعلوا النار المقدسة هِي رمز الدين الوطني، وهذا الرمز واضح على عملات الساسانيين المعدنية حيث الملك الســائد بتاجهِ وملابســه الفخمةِ يَظْهَرُ على وجهِ العملة، والنارِ المقدّســةِ رمز الدينِ الوطني على عكسِ العملة المعدَنيةَ.

ربما تكون الأراضي الساسانية يحكمها عدد مِنْ الحُكَّام التافهين مِنْ العائلة الساسانية المالكةِ المعروفة بــــ (شـهردار) ولكن الإشراف المباشر على الحكم هو للملك (شَاهنشـاه) ،وقد تميز حكم السَاسـانيين بالمركزية الكبيرةِ والتخطيط الحضريـي الطموح والتنمية الزراعية والتحسـينات التقنية، ولكن كان تحت الملك السَــاســاني بيروقراطية قويّةٌ نفّذتْ مُعظم شــؤون الحكم، وضــمن هذه البيروقراطية كانت هناك الكهانة الزرادشــتية وكَانتْ قويّةَ جدّاً، والكاهن الأكبر للديانة المجوســية(الزرادشــتَية) في الإمبراطورية الساسانية يعتبر مساوياً للقائد الأعلى للجيوش الساسانية (إيران سباهبود)، وكان

رئيس نقابة التجار والتُجّارَ (هو توخشان بود) وكذلك وزير الزراعة (واستريوشانسالار) الذي كَانَ أيضاً رئيسَ المزارعين كانوا جميعاً تحت الإمبراطورِ الساساني، وهم الرجال الأقوى والأعلى مرتبةً بعد الإمبراطور في الدولة الساسانية.

تم إعداد مجلس الدولة في الإمبراطورية الساسانية وهو يضم الإمبراطور الساساني ووزراءه، يتَصرّفَ الملكُ الساساني عادةً بنصيحةِ وزرائه الذين يكونون في مجلس
الدولة، المسعودي المؤرخ المسلم مَدحَ الإدارة الممتازة للملوك الساسانيين وسياستهم المنظمة بشكل جيد، وعنايتهم بشؤون الإمبراطورية، وازدهار مملكتهم في جميع المجالات.

الحكم في الإمبراطورية الساسانية وراثي في الأوضاع الطبيعية ولكن قد يجعل الملك الحكم من بعد للابن الأصغر في حالتين :

١ - عندما لا يكون الوريثَ المباشرَ موجوداً.

٢ - إذا اختار النبلاء والأساقفة في الدولة هذا الابن الأصغر، ولكن يُحدد اختيارهم في أعضاء العائلة المالكة.

طبقة النبلاء في الإمبراطورية الساسانية هي عبارة عن خَلِيْط من العشائر الفارسية القديمة وعوائل أرستقراطية فارسية وعوائل نبيلة مِنْ الأراضي الخاضعة للإمبراطورية، وقدَ ارتفعت العديد مِنْ العوائلِ النبيلة الجديدة بعد حلول السلالة الساسانية وسيطرتها على الحكم في بلاد فارس، بينما العديد مِنْ العَشائر الفارسية المهيمنة سابقاً في الإمبراطورية بارثيون البارثية وهي سبع عشائر فارسية بقيت وَكانت لها الأهميةِ الكَبيرة في الإمبراطورية الساسانية، في عهد الملك المؤسس للإمبراطورية أردشير الأول كانت العوائل البارثية القديمة (سورين باهلاف) و(كارين باهلاف) مع عدّة عوائل فارسية (فارازيس) و(أنديجانز) كنات لهم مرتبة شريفة وعظيمة في الإمبراطورية الساسانية، وريث الملك أردشير الأول وهو الملك شابور الأول كانت له علاقة وطيدة ببيت عائلة (سورين باهلاف) بسبب أمه، وهذا واضح في الرمز الذي استعمله قمة جوندوفر ودائرة أحاطت بالهلال.

وأيضاً إضافة إلى العوائل غير الإيرانيةَ النبيلةَ والإيرانيةَ هناك أيضاً ملوك مرووسيستان وأبارشهر وكرمان وَإيبريا وأديابين كانت لهم منزلة كبيرة بين النبلاء في الإمبراطورية، وفي حقيقة الأمر أن بعض العوائل النبيلة في الإمبراطورية مثل سورين وكارينز وفارازيس قد تمتعت بحكم شبه مستقل في بعض الولايات الساسانية، وأبقت عائلة سورين باهلاف قاعدتهم في سيستان وحَكمَت إحدى فروع العائلة المنطقةَ التي حول نيشابور، وهكذا فإن العوائل النبيلة التي ظهرت في الإمبراطورية الساسانية استمرّتْ في حكمها لهذه الولايات بحكم حقها الشخصي بالرغم من تبعيتها للإمبراطوريةَ الساسانية.

عُموماً، فإن عائلة بوزرجان تعتبر مِنْ العوائلِ الفارسيةِ التي حصلت المواقعَ الأقوى في الإدارةِ للإمبراطوريةِ، إضافة إلى ذلك ذلك القادَة العسكريين الذين كَانوا يحكمون محافظاتِ الحدود (مَرزبان)، وكان القادة العسكريون يتفاوتون في المنزلة عند الملوك الساسنيون فمثلاً حكام محافَظات الحدود الأكثر إستراتيجيةً مثل : محافظةِ القوقاز كانوا في منزلة أعلى من غيرهم حكام محافظات الحدود الآخرين.

أما من الناحية الثقافية فقد طبق الساسانيون نظام التقسيم الطبقي الاجتماعي، وهذا النظام كَانَت تدعمه الديانة الزرادشتية التي أصبحت الدين الرسمي للإمبراطورية الساسانية، والزرادشتيَة التي أظهرت الأديانُ الأخرى بأنها كانتْ قَدْ تُحمّلتْ بشكل كبير في الإمبراطورية، ولكن أرادَ الأباطرة الساسانيون شعورياً أنْ ينعشوا التقاليد الفارسية وإزالة التأثير الثقافي اليوناني على الإمبراطورية وأراضيها

الجيش الساساني :

العمود الفقري مِنْ الجيش الفارسي (سـباه) في العصرـ السـاسـاني كَانَ متكوّناً من اثنين مِنْ أنواع وحدات سـلاح الفرسـان الثقيلة : كليباناري وكاتفراكس، هذه قوة سـلاح الفرسـان، وهي متكوّنة من النبلاء الذين يتدربون في شبابهم على الخدمة العسكرية، ويدعمهم سلاح الفرسان الخفيف : مشاة، ونبّالون (الذين يرمون السـهام)، وتركّزتْ وسـائلُ السـاسـانين في عَرْقَلَة العدوَ في النبّالين، وفيلَة الحرب، وقوّات أخرى، وهكذا يمكن في المعارك أن يفتح ذلك ثغرات في العدو يمكن لقوات سـلاح الفرسـان أن يستغلها.

وعلى خلاف أسلافهم البارثيين، فإنه قد طوّرَ الساسانيون أساليب الحصار وأصبحت متقدّمة، وخَدمَ هذا التطوير الإمبراطورية الساسانية جيداً في النزاعات مَع الرومان، التي يتمحور فيها النجاح في القدرة على الإسْتِيلاء على المُدن والنقاط المُحَصَّنة الأخرى، بالمقابل طوّرَ الساسانيون أيضاً عدد مِنْ التقنيات للدفاع عن مُدنهم مِنْ الهجوم، الجيش الساساني كَانَ مشهوراً بسلاح فرسانه الثقيل الذي كَانَ يماثل كثيراً جيش سلفه الفارسي ولكنه كان أكثر تقدّماً وفتكاً منه، المؤرخاليوناني أميانوس ماركيلينوس وصف سلاح الفرسان الثاني (كليباناري) الذي قام بتجهيزه وتنظيمه الملك شابور الثاني. وفي الحقيقة أن سلاح الفرسان الثقيل الإسلامي المخيف كان مماثلاً بشكل حرفي للعرب الذين تبنّوا أسلحة ووسائلَ سلاح الفرسان (كليباناري)، وسلاح الفرسان الثقيل العربي الإسلامي الذي اجتاحَ بقيّة الإمبراطورية الرومانية، طورت الإمبراطورية الساسانية في الجيش الفارسي طبقة النبلاء (أزادان) كطائفة فروسية، وطورت أسلحة سلاح الفر سان (كليباناري) وقام العرب بتبني هذه الفرق العسكرية التي ا ستغلها فيما بعد للغزو الإ سلامي والذي تباعاً أعطاها للغرب، الإنفاق المالي على الطائفة الفروسـية (أزادان) إلى جانب أنهم ظهروا بمظهر المدافع عن العرش السـاسـاني كل هذه العوامل اشـتركت في بقاء هذه الطائفة الفروسـية واسـتمرارها، وكذلك كانوا الأكثر بروزاً في الحروب باعتبار أنهم هم المدافعين عن العرش السـاسـاني، وكانت الإمبراطورية في ذلك الوقت غير مسـتنزفة ولا مقسّـمة وليسـت بدون حكومة فعّآلة في وقت الغزوات العربية الإسـلامية، الطائفة الفروسـية (أزادان) قوات حماية الحدود أن تهزمهم، ولكنّهم ما كَانَوا أبداً يُسْتَدْعَون ولكن بمرور الوقت، تَجلّتْ الأحداث بسرعة، وظهر الفراغ النسبي في السلطة في الإمبراطورية، وكانت النتيجة الغزو الإسلامي، والعجيب أن الطائفة الفروسية (أزادان) لا تزالتَبْقى في الروح، ليس من الناحية الشخصية، ولكن في أوروبا الغربية التي أسست هذا الفرقة العسكرية تباعاً للعرب فجعلت لها عقارات إقطاعية في القرون الوسطى لتمويلها، وأصبحت هي رمز الشرف الفروسي والتزاماً نبيلاً بالدفاع عن العرش في القرون الوسطى في أوروبا.

النزاعات :

كما أن السـاسـانيين ورثوا دولة البارثيين واسـتمروا في حروبهم مع الإمبراطورية الرومانية فقد اسـتمرت الصراعات والعمليات الحربية مع الإمبراطورية الرومانية حتى بعد انقسـامها في ٣٩٥ م إلى : الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية)، وعاصمتها القسطنطينية، التي حلت محل الإمبراطورية الرومانية، وقد استمر وصف الفرس الساسانيين لها بـ (العدو الغربي) كما وصفت الإمبراطورية الرومانية قبل أنقسامها، والأعمال العدائيه بين الإمبراطوريتين الساسانية والبيزنطية أصبحت أكثر توتراً، وقد كانت الإمبراطورية السـاسـانية على غرار الإمبراطورية الرومانية في صراع دائم مع الممالك المجاورة والبدو الرحل، وبالرغم من أن السـاسـانيين لم يسـتطيعوا القضاء بشكل تام على غارات البدو الرحل، إلا أنهم نجحوا بشكل كبير في التعامل معها أكثر من الرومان، وذلك بسبب استعمالهم لسياسة منظمة وحملات تهديد رادعة للبدو الرحل.

أما في الغرب، فقد كانت حدود الإمبراطورية الساسانية مناخمة لإقليم كبير للإمبراطورية البيزنطية، وكان إقليماً مستقراً وهادئاً، ولكن في الشرق كان أقرب جيران الإمبراطورية هما : الإمبراطورية الكاشانية، وقبائل البدو الرحل مثل :الهون البيض، وقد قامت الإمبراطورية الساسانية ببناء بعض التحصينات مثل : قلعة طوس ومدينة نيسابور التي تحولت فيما بعد إلى مركز للتعلم والتجارة، كما ساعد في الدفاع عن المقاطعات الشرقية للإمبراطورية من الهجوم.

في جنوب ووسط الإمبراطورية : القبائل العربية البدويه حين أغارت على الإمبراطورية الساسانية، قام الساسانيون بتأسيس مملكة المناذرة العربية وعاصمتها (الحيرة)، لكي تفصل بين البر الرئيسي للإمبراطورية وبين القبائل العربية الغازية.

بسبب الصراع بين الإمبراطور الساساني كسرى الثاني (أبرويز) وملك المناذرة النعمان بن المنذر سنة ٦٠٢ م والذي أدى فيما بعد إلى معركة ذي قار سنة ٦٠٩ م وبسبب الحروب الطاحنة بين الإمبراطورية البيزنطية بقيادة الإمبراطور البيزنطي هرقل، أضعف ذلك الإمبراطورية الساسانية سياسياً وعسكرياً، فلم تستقر الإمبراطورية بعد مقتل كسرى الثاني (أبرويز) بل قام الفرس بقتل من بعده من الملوك حتى انتهت دولتهم على يد العرب المسلمين، وكذلك ضعفت الإمبراطورية عسكرياً بسبب إرهاق الجيش الساساني بالحروب مع البيزنطيين والقبائل العربية في الجاهلية والإسلام.

وفي الشمال، كانت قبائل الخزر التركية وغيرها من البدو الرحل في كثير من الأحيان تقوم بالاعتداء على المقاطعات الشمالية من الإمبراطورية، وبعد ذلك بوقت قصير قام الميديون بنهب الأراضي الساسانية في سنة ٦٣٤ م، ولكن قامالجيش الفارسي بهزيمة الميديين وطردهم، وقام الساسانيون بعدها ببناء العديد من التحصينات في منطقة القوقاز لوقف هذه الهجمات.

نشاطات الولايات الشرقية للإمبراطورية :

العلاقات مع الصين :

قامت الإمبراطورية الساسانية بإقامة علاقات خارجية قوية ونشطة مع الصين، وأصبح في الصين سفراء من فارس وكثيراً ما يسافر إليها، وقد ورد في الوثائق الصينية القديمة تقرير عن ثلاثة عشر سفيراً تجارياً ساسانياً جاءوا إلى الصين، وكانت النشاطات التجارية البرية والبحرية مع الصين نشطة، وكان ذلك مهماً على حد سواء عند الامبراطورية الساسانية والإمبراطوريات الصينية، وقد تم العثور على أعداد كبيرة من القطع النقدية الساسانية في جنوب الصين مما يؤكد وجود التجارة البحرية بين الساسانين والصينيين.



من الرسوم الساسانية القديمة

وقد أرسل الملوك الساسانيون في مناسبات مختلفة أكثر الراقصين والموسيقيين الفرس موهبة إلى الإمبراطورية الصينية في فترة حكم ليويانغ في عصر (أسرة جين) (٢٦٥ م - ٤٢٠ م) وأسرة (وي الشمالية) وسلالة (تشانجان) - وهي سلالة فريدة من نوعها حكمت الصين - وسلالة تانغ وغيرها، والسلالات الحاكمة في الإمبراطوريات الصينية وكذلك الإمبراطورية الساسانية على حد سواء استفادوا من التجارة على طول طريق الحرير، والمصلحة مشتركة بين الطرفين في صون وحماية تلك التجارة، وكان هناك تعاون في حراسة طرق التجارة عبر آسيا الوسطى، وقاموا ببناء الآبار في مناطق الحدود الآمنة لإبقاء القوافل بعيدة من قطاع الطرق والقبائل الرحل.

سياسياً :

بذل الساسانيون والصينيون جهوداً عديدة لعقد التحالفات بينهما ضد العدو المشترك (الهفتاليون) وهم قبائل الهون البيض، وفي الوقت الذي نمت فيه قوة إحدى القبائل التركية (كوكتلر) في آسيا الوسطى تعاون الصينيون والساسانيون في محاربة هذه الإمبراطورية الوليدة التي تعتبر خطراً مشتركاً عليهما.

هرب فيروز - ابن الإمبراطور الساساني يزدجرد الثالث - وابنه نيرسي مع عدد قليل من النبلاء الفرس إلى الصين ولجؤوا إليها بعد الفتح الإسلامي للإمبراطورية الساسانية والقضاء عليها، ومن المحتمل أنه في سنة ٦٧٠ م تم إرسال قوات صينية مع فيروز من اجل استعادة الحكم الساساني واسترجاعه لعرشه وقد كانت نتائج المعارك مع المسلمين متفاوتة، وربما استطاع أن يسترجع (سيستان) (سكستان) واستطاع فيروز حكمها في فترة قصيرة، وهذه المعلومة التاريخية ظهرت من خلال بعض الآثار والأدلة من بعض النقود القليلة المتبقية، ولكن بعد ذلك عاش نيرسي بن فيروز وذريته في الصين وتمت معاملتهم كأمراء بكل احترام.

التوسع نحو الهند :

بعد سيطرة الساسانيين على إيران والمناطق المجاورة لها في عهد أول أباطرة الساسانيين أردشير الأول وكذلك الإمبراطور الثاني شابور الثاني (٢٤٠ م - ٢٧٠ م) واستطاع توسيع سلطتهم شرقاً إلى ما يسمى اليوم بـــ (باكستان) وشمال غرب (الهند) اللتان كانتا تتمتعان بالحكم الذاتي تحت الإمبراطورية الكاشانية، ولكن الكاشانيين اضطروا في النهاية الخضوع للساسانيين، ورغم ضعف الإمبراطورية الكاشانية في مناطق شمال الهند في القرن الثالث الميلادي إلا أنه نمت قوة وسيطرة إمبراطورية غوبتا عليها في القرن الرابع الميلادي، ولكن من الواضح أنه كان للإمبراطورية الساسانية سيطرة وقوة وتأثير على مناطق شمال غرب الهند طوال هذه المدة.

وكان هناك اتصال ثقافي وسياسي بين بلاد فارس وشمال غرب الهند خلال هذه الفترة بسبب بعض انتشار الثقافة الساسانية في مناطق كوشان المحتلة، وتأثر الكوشانيون بالساسانيين في تصور مفهوم (الملكية)، وانتشرت التقاليد الساسانية فيتجارة المنسوجات والأواني الفضية.

ولكن هذا الاتصال الثقافي بين الكوشانيين والساسانيين لم يستطع أن يغير من الممارسات الدينية للساسانيين أو مواقفهم من الكوشانيين، لأن الساسانيين كانوا يقومون بالدعوة للزرادشتية الديانة الرسمية للدولة، بل ويقومون في بعض الأحيان على اضطهاد الأقليات الدينية في الإمبراطورية وإجبارهم على اعتناق الديانة الزرادشتية، بينما يفضّل الكاشانيون أسلوب (التسامح الديني).

وانحدر الاتصال الثقافي بين بلاد فارس والهند إلى أدنى مستوى خلال تلك الفترة، ولكن بقي هناك اتصال ثقافي بينهما، فعلى سبيل المثال : استورد الفرس من الهند لعبة (الشطرنج) وغيّروا اسم اللعبة من (شطرنجا) إلى (شطرنج)، وفي المقابل : أخذ الهنود من الفرس لعبة (الطاولة).

وخلال فترة حكم الإمبراطور الساساني كسرى الأول تم استيراد العديد من الكتب من الهند وترجمتها إلى (البهلوية) اللغة الرسمية للإمبراطورية الساسانية، ومن الأمثلة البارزة لذلك : ترجمة قصص (دليلة ودمنة) الهندية على يد (برزويه) أحد وزراء كسرى الأول بناءً على أمره، وهذه الترجمة الفارسية لهذه القصص الهندية عرفت طريقها فيما بعد إلى اللغة العربية واللغات الأوروبية، وقد ذكر الفردوسي في كتابه (شاهنامه) التفاصيل الكاملة للقصة الأسطورية لرحلة الوزير (برزويه) إلى الهند للحصول على كتاب (دليلة ودمنة).

المجتمع الإيراني تحت الحكم الساساني :

كانت الحضارة الساسانية وكان المجتمع الساساني مزدهرين، ولم يكن ينافسهم في هذا الازدهار إلا الحضارة البيزنطية، وكان التبادل الثقافي والعلمي بين الإمبراطوريتين شاهداً على التنافس والتعاون بينهما.

من أبرز الفروق بين الإمبراطوريتين البارثية والساسانية هو الحكومة المركزية، فالساسانيون من الناحية النظرية كانوا يعتبرون مجتمعاً مثالياً يمكن فيه الحفاظ على الاستقرار والعدالة، وقد توفر لذلك العامل القوي وهو الحكومة المركزية الساسانية، ولكن كان نسيج المجتمع الساساني شديد التعقيد مع وجود نظم مستقلة للتنظيم الاجتماعي الذي يتحكم في العديد من المجموعات الاجتماعية المختلفة داخل الإمبراطورية، يعتقد المؤرخون أن المجتمع الساساني كان ينقسم إلى أربع فئات : الكهنة (في الفارسية : آتروبان)، المقاتلون (في الفارسية : أرتشتاران)، الأمناء (في الفارسية : دبيران)، والعامة (في الفارسية : هوتخشان - وآستريوشان)، ولكن الطبقة المتميزة في المجتمع الساساني هم : شاهنشاه ومعناه : ملك الأملاك (الإمبراطور الساساني) وهو الذي يحكم على جميع الأمراء وطبقة النبلاء (في الفارسية : بزركان) والحكام للولايات الساسانية، وكان (شاهنشاه) والكهنة وطبقة النبلاء يشكلون طبقة متميزة في المجتمع الساساني، وكان هذا النظام الاجتماعي صارماً - إلى حد ما - في الإمبراطورية الساسانية.



للموسيقى والشعر أهمية كبيرة في إيران القديمة كما هو الحال اليوم،
صورة القرن السابع لعصر الموسيقيين الساسانيين

الإنتماء إلى طبقة معينة كان يقوم على أساس الوراثة أو (الولادة)، ولا يوجد استثناء في ذلك للانتقال من رتبة إلى أخرى إلا على أســاس الجدارة والكفاءة، وكان من وظائف الملك الســاســاني هو الضــمان لاســتقرار هذه الفئات وعدم تداخلها، وكان هذا النظام الاجتماعي يكفل عدم قمع القوي للضـعيف في الدولة، وفي نفس الوقت : يبقي الضــعيف على ضــعفه، وكان الحفاظ على هذا التوازن الاجتماعي هو جوهر العدالة الملكية في الإمبراطورية الســاســانية، وكانت فعالية أداء هذه الفئات في المقابل يقوم على أساس تمجيد النظام الملكي قبل كل شيء.

وكان المجتمع الساساني ينقسم إلى : أزادان أو أزاتان (الأحرار)، وكذلك غيرهم من حراسهم، وهؤلاء الحراس كانوا متحدرين من الغزاة الآريين القدماء ومجموعات من الفلاحين غير الآريين، وقد تشكل من هذه الطبقة الارستقراطية الكبيرة (أزاتان) عدد قليل من المسؤوليين الإداريين، ومعظمهم كانوا يعيشون على تجارة العقارات الصـغيرة، وقد كانت هذه الطبقة هي العمود الفقري لســلاح الفرســان في الجيش الساساني.

الحالة السياسية والاقتصادية :

كانت الدولة الساسانية تحكم بلاد إيران في القرن السابع الميلادي ويكوِّن الفرس مادة الإمبراطورية، ولكنها أخضــعت الترك في بلاد ما وراء النهر، والعرب في العراق، وكانت حدودها الغربية غير مســتقرة حســب قوتها، فأحياناً تغلب على أطراف بلاد الشــام كما حدث ســنة ٦١٤م عندما اجتاحت بلاد الشــام واستولت على بيت المقدس، ثم استولت على مصر سنة ٦١٦م. ولم يستسلم هرقل امبراطور الروم بل أعاد تنظيم بلاده وإعداد جيوشــه وهزم الفرس في آســيا الصـغرى ســنة٦٢٢م، ثم اســتعاد منهم ســوريا ومصر سنة ٦٢٥م، ثم هزمهم هزيمة ساحقة سنة ٦٢٧م قرب أطلال نينوى، مما أدى إلى ثورة العاصمة ضد كسرى الثاني، وعقد خليفته شيرويه الصلح مع هرقل، على أن أحوال الدولة الفارسية لم تستقر بعد ذلك، إذ تكاثرت الثورات والانقلابات الداخلية، حتى تعاقب على عرش فارس في تســع الســنوات التالية أربعة عشر حاكماً، مما مزّق أوصال دولة الفرس، وجعلها مسرحاً للفتن الداخلية، حتى أجهز عليها العرب المسلمون في حركة الفتح.

هذه نظرة عامة عن الأحداث السياسية والعسكرية التي مرت على بلاد فارس وفيما يلي الحديث عن بعض جوانب الحياة السياسية والدولة العسكرية بالتفصيل حيث يعد هذا الجانب هو الملمح الأساسي للإمبراطورية الفارسية.

أولاً تنظيم الدولة العسكري :

الفرس أمة متجذِّرة في التاريخ، لهم في الحضارة الإنسانية أصالة يشهد لها تراثهم، وفي الحرب دراية وخبرة وفنون أثبتتها حروبهم مع العرب والروم والهياطلة، وهي حروب وُصــفت بأنها "اســتولت على عقول ملوك آل ساسان، فلم يستريحوا منها ولم يريحوا الشعب حتى أنّ الملك الواحد كان يحارب الروم سنوات، ثم تعلن الهدنة ربما يستجمع قواه ويعدّ لها وقودًا جديدة".

كان الفرس في تاريخهم القديم "أمّة مســلحة" وشــعبًا محاربًا، ولذلك تمكّن الأشــكانيون "نظرًا إلى تربيتهم العســكرية من الاســتيلاء على "بارتا"، ثم خلقوا بالغزو دولة إيرانية جديدة" أســموها "الدولة البرتية".

ويبدو أنّ الإمبراطورية الفارســـية نظَّمت المجتمع الفارسي ليكون مجتمع حرب، فاعتمدت نظاماً أسرياً وإقليمياً يرتكز على أربع وحدات هي : "البيت (غانة) ، والقرية (ويس) ، والقبيلة (زنتو) ، والإقليم (دهيو)". كان رؤســاء القرى يضــطلعون بدور أســاسي في هذا التنظيم، "فهم كانوا كبار أمراء الملك ، وكانوا يُنشّئون رعاياهم على الحرب".

وخضـــع تركيب المجتمع الفارسي إلى النظم الاقطاعية والطبقية لكي يأتي متوافقاً مع النظم الحربية للدولة. ويشير تنسر إلى تقسيم الهيكل الإجتماعي الذي كان سائداً أيام الساسانين "إلى أعضاء أربعة منهم الملك: العضـــو الأول هو أهل الدين (آثروان Athravan)، والعضـــو الثاني المقاتلة (إرتشـــتاران Rathaestar) والعضو الثالث الكتّاب (دبيران) والعضو الرابع المهنة (الفلاحون (وستريوشان) والصناع (هو تخشان)".

وظهرت في الدولة الســاســانية تقســيمات إجتماعية أخرى منها ما أورده الجاحظ في كتابه "التاج" بقوله: "جعل أزدشير الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قِسْمَتِها: فالأول الأساورة من أبناء الملوك، والقسم الثاني النسّاك وسدنة بيوت النيران، والقسم الثالث الأطباء والكتاب والمنجِّمون، والقسم الرابع الزرّاع والمهان وأضرابهم".

ويقول المؤرخ المسعودي أن أزدشـير رتَّب ندماءه في طبقات "وكان يرى أن ذلك من السـياسـة ومما يرمُّ عمود الرئاســـة، فالأولى الأســـاورة وأبناء الملوك، وكانت الطبقة الثانية وجوه المرازبة وملوك الكور المقيمين بباب أزدشير والأصبهبذية ممن كانت له مملكة الكور في أيامه، وأهل الطبقة الثالثة المضحكون وأهل البطالة وأهل الهزل".

ومهما كانت تسـمية الطبقات التي اعْتُمِدَتْ في فارس فإنّ هذا التنظيم أوحى بالطبيعة الحربية التي بُنِيَتْ عليها دولة الفرس. فالملك الذي كان يقف على رأس هذه الطبقات، كان عســكرياً بطبعه وتربيته، كما إن أكثر ملوك الساسانيين كانوا شغوفين بالحرب واشتركوا فعلاً في أعمالها. إلاّ أنّ الذي يثير الإستغراب هذا التضـارب في أولويات تصـنيف الطبقات، فالبعض يجعل المقاتلة في الطبقة الثانية بعد أهل الدين، ويحصرـ تكوينها بالفرســان والرجّالة برتبهم وموظفيهم كافة، أما الجاحظ فيجعل الأســاورة من أبناء الملوك في المقدمة. ومصطلح الأساورة يرد في تصنيفهم في سياقين، الأوّل "أنّ ضباط الجيش كانوا يسمّون الأساورة"، والثاني يُحَدِّدُه بسلاح الفرسان ويصفهم "بصفوة الجيش من الأساورة (الفرسان) المصفّحين". كما أن بعض المصـنفيين يجعلون في الطبقة الرابعة من تقسـيمه الزرّاع والرعاة والتجار وأصحاب المهن، وهي طبقه ليسـت في وجهها الآخر سـوى "مصـدر الرجال للحرب"، في حين وصـفهم البعض الآخر بأنهم "طبقة سيئة التكوين ومؤلفة من جند غير أكفياء".

وفيما تبدو صـــورة المجتمع الحربي الفارسي ظاهرة في ترتيب طبقاته، يأخذ التقســـيم الإداري لبلاد فارس طابعاً عســكرياً واضـحاً باعتماده "نظام المرازبة الأربعة". وفي هذا الإطار حفظ لنا تنسرـ تنظيم الدفاع عن فارس بتطبيق "نظام الثغور" مســـتنداً إلى قول أزدشــير: "لا يجوز أن يُطْلَق لقب المَلِك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصــحاب الثغور، وهي الآن وناحية المغرب وخوارزم وكابل". ويطلق المســعودي على حكام الثغور لقب "أصــبهبذ" و"جعل الأصــبهبذين أربعة "الأول بخراســان والثاني في المغرب، والثالث ببلاد الجنوب، والرابع ببلاد الشمال، فهؤلاء هم أصحاب تدبير الملك، كل واحد منهم قد أُفْرِدَ بتدبير جزء من أجزاء المملكة، وكل واحد منهم صـــاحب ربع، ولكل واحد من هؤلاء مرزبان وهم خلَفاء هؤلاء الأربعة".

ويشـــير الطبري الى أن تنظيم الثغور الأربعة جرى زمن كسرـــى أنوشروان حين ألغى رتبة "إيران - سباهبذ" بقوله: "وكان يلي الأصبهبذة - وهي الرياسة على الجنود - قبل مُلْكِهِ رجل، وكان اليه اصبهبذة البلاد، ففرّق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين أربعة إصبهبذين، منهم إصبهبذَ المشرق وهو خراسان وما والاها، وإصبهبذ المغرب، وإصبهبذ نيمروز، وهي بلاد اليمن، وإصبهبذ أذربيجان وما والاها، وهي بلاد الخزر وما والاها، لِمَا رأى في ذلك من النظام لِمُلْكِه".

وتحفظ كتب التاريخ، إلى جانب الأصبهبذين، وجود مرازبة يحكمون الأقاليم ويقيمون فيها. ويشير المصنفون إلى "أن معظم المرازبة كان يغلب فيهم الطابع الحربي على الطابع المدني، وفي أثناء الحرب كان المرازبة يعملون قوادًا في الجيش تحت رياسة الأصبهبذين".

ثانياً: تنظيم الجيش الفارسي:

نظم الأكاسرة جيوشـــهم لتكون متناســـبة مع اتســـاع أمبراطوريتهم. كما حدَّد ملوك فارس عقيدة جيوشهم فجعلوا مهمتها الأساسية المحافظة على مُلْكِهم، فكانت أول خطوة لأزدشير حربه للانتقال من ملوك الطوائف إلى الدولة الموحَّدة التي أراد صورتها وفق قوله: "ردُّ المُلك إلى أهله وجَمْعُه لرئيس واحد وملك واحد". وتمثّلت خطوة الساسانيين الثانية، بعد تحقيق وحدتهم، في انصرافهم إلى وضع استراتيجية لدولتهم مستمدة من تاريخهم، وحروبهم مع اليونان والروم. وأصبحت سياسة الفرس منذ عهد أزدشير وخلفائه الأوائل متجهة إلى حماية الحدود من الشرق والشمال والغرب والتي كانت على ما يبدو مهدَّدة بصورة دائمة بحيث وجّهوا "عنايتهم كلها إلى غزو الروم وقتالهم، ولن يستريح ملكهم ما لم ينتقم لدارا من الإسكندريين".

واهتم الفرس بتنظيم "جيش أمبراطوري قوي"، وربطوا وجود دولتهم بقوته وتماسكه، فأغدقوا المال على إعداده متبعين ســـياســـة انوشروان: "الملك بالجند والجند بالمال". وفي هذا الإطار كان جيش فارس يشمل الصنوف كافة المتعارف عليها في ذلك العصر، فجعل تنسر المقاتلة قسمين: "الفرسان والرجّالة وهم يتفاوتون بأعمالهم ومراتبهم". بينما يشـــير المســـعودي إلى تنظيم الجيش الفارسي في وصـــفه لاستعراض أبرويز لصفوف جيوشه بقوله "وقد صُفَّت له الجيوش والعدد والسلاح فيما صُفَّ له ألف فيل، وقد أَحْدَقَتْ به خمسون الف فارس دون الرجّالة".

أ- فرقة الفرسان :

عرف الفرس الفروســية منذ القدم حتى أصــبحت رمزاً للبطولة، يفتخر تنسر بها في كتابه بقوله: "إن الله تبارك مُلْكُه جمع في الفرس فروســـية الترك وفطنة الهند وصـــناعة الروم". ومن الطبيعي أن يكون لسلاح الفرسان مكانة عالية في المجتمع الفارسي حتى أصبح "لقب فارس (سوار) قيمة اجتماعية أعلى شـــأناً"، ولا عجب بذلك فقد جاء في "مروج الذهب" أنّ أزدشـــير جعل الطبقة الأولى من خاصّـــته من "الأساورة وأبناء الملوك" كما لقّب الأساورة في كتبه بأنهم "حماة الحرب".

وتُشَكِّل فرقة الفرسان الدارعين نخبة الجيش الفارسي وعماده، بحيث كانت ترتبط نظراً إلى أهميتها بالملك مباشرة وعليها يرتكز سلطانه ونظامه. وتوصف هذه الفرقة بأنها "طبقة الفرسان ذوي الأسلحة الثقيلة التي أصــبحت من أهم الفرق الحربية، وكانت تتكوّن من النبلاء المتواضــعين، وتعتمد على المَلِك مباشرة، وبذلك لا يمكن لأحد الحكام الثائرين في الولايات أن يستخدمها ضدّ مولاه".

ويُحَدِّثُنا المؤرخون عن وجود "فرقة ثانية من الفرسان المختارين تسمى "فرقـة الخالديـن، من عشرة آلاف رجل، و"الفدائيين" وهي فرقة أخرى من الفرســان "تمتاز بالجرأة وتتحدّى الموت". ولعلّنا نقول إن هذه الفرق كانت تشكل الوحدات الخاصة التي تقف قرب الملك وتنال ثقته.

وكانت الخيالة الثقيلة في الجيش الفارسي الســلاح الحاســم في المعركة، ويشــير ســتروكوف في دراســته لموقعة ماراتون (٤٩٠ ق.م) إلى "أن تفوّق الفرس يكمن في خيّالتهم القوية التي كانت جاهزة لشـــن الضربات العنيفة على أجناب الترتيب القتالي اليوناني". ويصــفونها بقولهم : "كان الإيرانيون يلقون ضدّ الرومان بأفواج منظمة من الفرســـان الدارعين في صـــفوف كثيفة، فكان بريق الدروع التي كانت تتبع اتجاه الجيش يعكس هيبة تبهر الأبصـــار". ومن هذا المنظور، حافظ ملوك الفرس على وحدات الخيالة وعزّزوها وأهتموا بتجهيزها، فكان كسـرى "يتفقد الأســاورة فمن لم يكن له منهم يســار قوّاه بالدواب والعدّة وأجرى لهم ما يُقوِّيهم". ولقد أشار الطبري إلى أنّ سلاح الفارس أيّام كسرى "كان يتكوّن من

تجافيف، ودرع، وجوشـن، وسـاقين، وسـيف، ورمح، وترس، وطبرزين، وعمود، وجعبة فيها قوسـان بوتريهما وثلاثين نشاباً ووترين يعلقهما الفارس في مغفر له ظهرياً".

وكانت وحدات الفرســـان محطّ اهتمام ملوك الفرس وعنايتهم. فقد أفادوا من خبرات أعدائهم الأغريق في تدريبها على حدّ قول ايريك موريز: "إن الفرس تعلّموا، وحوالى العام ٤٠٠ ق.م، أســـس المدرسة الإغريقية. وطوّعوا من شعب السيت خيالة الاستطلاع". أمّا قيادة الفرسان فقد جعلها الأكاسرة "من المناصب العامة التي تورَّث بين أفراد الأسر السبع، ورياسة الفرسان كانت واحدة من ثلاث وظائف حربية وراثية". ويذكر الطبري أن الخيّالة الفارسية في معركة القادسية "كانت في الصفوف الأولى، يليها، "الفيلة، ثم المشاة".

ب- فرقة الفيَّالة:

تعتبر الفيَّالة فرقة أساسية في الجيوش الفارسية وتشكِّل عمادًا لنظامها العسكري، ويشير المسعودي إلى أنه كان "في مربط أبرويز ألف فيل. وقد صُــفّت له الجيوش والســلاح، وفيما صُــفّ له ألف فيل". ويبدو أن الأكاسرة إسـتقدموا الفيلة من الهند التي كانت "تتخدها في بلادها، وليس فيها وحشــية وإنما هي حربية"، وتمنَّوا كما جاء على لسان أبرويز "ليت أنّ الفيل لم يكن هنديًا وكان فارسياً ".

وتؤدي الفيَّالة في حقل المعركة دور الدروع في معركة اليوم، ونجد مركزها في خطة عمليات الفرس كما أوردها ستروكوف في وصف لموقعة كافكامل العام ٣٣١ق.م بين الفرس ومقدونيا: "تمركزت العربات والفيالة أمام الجبهة"، بينما كانت تلي صفوف الفرسان في معركة القادسية، حيث "عبئ رستم في القلب ثمانية عشر فيلاً، عليها الصناديق والرجال، وفي المجنبتين ثمانية وسبعة، عليها الصناديق والرجال". وكانت مهمة هذه الأفيال خرق صــفوف العدو والالتفاف على قلبه لتذعر ســلاح الفرســان كما أَوْرَدَ الطبري: "وكانت حَمْلَة الفيلة على الميمنة والميسرة على الخيول، فكانت الخيول تحجم عنها وتحيد".

ج- الرجّالة (بايكان):

كانت فرق الرجّالة أو المشـــاة تتألَّف من الوحدات التي يجمعها أصــحاب الإقطاعات والذين ألزموا رعاياهم دفع الضرـائب وأداء الخدمة العســكرية تحت رياســتهم...، وكانت هذه الفرق المكوَّنة من الحرّاثين، سـيئة التكوين ومؤلَّفة من جند غير أكفياء. والواقع أنّ هذه الصـفات جعلت المهمات الموكلة إلى هذه الفرقة في سـاحات الحرب تتناسـب مع قدرات عناصرها، فكانوا يسـيرون في الصـفوف التي تلي الفرسـان والخيَّالة في مؤخرة الجيش يهدمون الأسـوار، ويخدمون الفرسـان، ويحرسـون الفيّالة على حد قول المسعودي: "كانت ملوك الفرس توقي الفيلة المقاتلة بالرجَّالة حولها".

د- فرقة الحرس الملكي:

كانت هذ الفرقة تحيط الملك بهدف الدِّفاع عنه وحراسته، وكان رئيسهم يتمتَّع بأوسع جاه في البلاط، وفي أيام كسرى كانت وظيفة "الهزاربد" رئيس الألف رجل ثم أصبح رئيسًا للحرس الملكي". كما أن هذه الفرقة كانت أم فرق الجيش وكانت مؤلفة من ألفين من الفوارس وألفين من المشاة كلهم من الأشراف.

هـ- فرقة المرتزقة :

نُظِّمَت المرتزقة في الجيش الفارسي في فرق أُطْلِقَ عليها الفرق "الرديفة"، وكانتتُجنَّد من جميع الأمم الخاضـعة لسـلطان الفرس، وكانت كل فرقة تتكلَّم بلغتها، وتقاتل بأسـلحتها وتتبع أسـاليبها الحربية الخاصة. وكان هناك فرق رديفة من السجستانيين، وفرق من الأمم الجبلية المختلفة في القوقاز. وورد في "تاريخ الحضـارات العام" أنه "كان يردف الجيش الإيراني وحدات من المرتزقة سـوادهم من الأرمن". وكان مما يلفت قيام ملوك ومرازبة الفرس بتجنيد المرتزقة اليونان نظراً إلى تفوق الجندي اليوناني التقني. وقد كوَّن بحارة شـواطئ آسـيا الصـغرى الذين ينتمون إلى عنصر يوناني بالإشـتراك مع البحارة الفينيقيين، رجال أسـطول فارسي حسـبوا له حسـابًا. ومن الفرق التي أردفت بجيوش الفرس كما يقول الطبري، كتيبتان جعلهما ملك فارس مع ملك الحيرة بحكم تحالفهما "دوسر" وهي لتنوخ و"الشـهباء" وهي لفارس. ويشير الألوسي إلى أنَّ هناك ثلاث كتائب إضافية، "الرهائن والصنائع والوضائع".

ثالثاً: المبادئ العسكرية التكتيكية والإدارية:

نظّم ملوك الفرس جيوشهم ووضعوا لها أسساً إدارية وحربية فكانت محطَّ إعجاب وتقدير أعدائهم ملوك الروم وفق ما جاء في كتاب ملك الروم إلى سابور بن أزد شير: "أما بعد، فقد بلغني من سياستك لجندك وضـبطك ما تحت يدك وسـلامة أهل مملكتك بتدبير ما، أحببت أن أسـلك فيه طريقتك وأركب مناهجك".

أ- الإعداد والتدريب العسكري :

إهتمت دولة الفرس بإعداد "جيشها الامبراطوري" لتنفيذ سياستها الحربية من خلال تطبيق برنامج تربية عسـكرية يشـمل الفروسـية والرمي، ويبدأ مع الأطفال منذ صـغرهم. وبالإشـارة إلى مراحل هذه التنشـئة نجدأنَّ الأبناء من سنّ الخامسـة إلى سـن العشرين يتعلّمون ثلاثة أشياء فقط" ركوب الخيل، والصيد بالقوس وقول الحق. أما القتال في المعركة فكان يُعدّ أسمى صفات الرجل وكان يليه في الأهمية بناء أُسْرَة كبيرة من الأبناء، ثم يأتي بعد ذلك مَثَلُهُم الأعلى وهو تكوين الجندي الباسل".

والواقع انّ مستويات التدريب في الجيش تتصل بتنوع الطبقات الإجتماعية التي يتكوَّن منها المجتمع الفارسي، فبينما نجد تكوين الجندي يعتمد على تقاليد وعادات الأسر التي كانت تسـاهم في تكوين "الأمة المسـلحة"، كان النبلاء الشـبان يُلَقَّنون فن الحرب قبل كل شيء، ويخضـعون لبرامج يشرف عليها مؤدِّب الأساورة الذي كان يعمل على تعليم أبناء المحاربين في المدن والرساتيق حمل السلاح وآدابه.

ويحفظ لنا الطبري مراحل تربية "بهرام بن يزدجرد" لدى الملك العربي "المنذر" الذي أتاه برهط من فقهاء الفرس ومعلِّمي الرمي والفروسية ليأخذ عنهم كل ما ينبغي التدرب به. أيضاً نلاحظ وجود أندية السـباق خارج المدن حيث كان المدرّبون يعنون بالخيل وحيث يجري سـباق الخيل وتمرينات الرماية بالسهم.

ولقد بلغت مهارة الفرسان وقدراتهم الفنيَّة والتقنية في الرماية مستوى رفيعاً جعلت أربري يصفهم في حربهم مع الرومان بقوله: "كانوا يرسـلون عليهم سـهامهم المميتة عن بعد، أمّا عن مهارتهم في رمي السـهم إلى الوراء من فوق ظهر الجياد وهي تعدو بعيداً عن العدو، فقد أكسـبتنا هذه العبارة -رمية بارتية-".

ب- الجاسوسية:

١- العيون :

اتخذ ملوك فارس في حربهم وسلمهم، في داخل مملكتهم وعلى حدودها، عيوناً لهم لتنسم الأخبار، وجمع المعلومات لما في ذلك من منفعة لخاصة أنفسهم وعامة رعيتهم. ولقد أسدى أحد الحكماء نصيحة لأنوشروان، إعتُبرت من السياسات الملوكية، تضمَّنت :"إذكاء العيون في الثغور ليَعْلمَ ما يَتَخَوَّف منه، فيأخذ له أُهْبَتَهُ قبل هجومه".

٢- الأسرى :

أفاد الفرس، في حروبهم واقتصادهم وعمرانهم من بعض الأسرى الذين قاموا ببناء المدن كمدينة اصطخر، وإنشاء السدود واستصلاح الأراضي في العراق وزرعها بمزروعات جديدة. ونظّم ملوك الفرس أسراهم في وحدات عسكرية أطلقوا عليها اسم "وحدات المرتزقة"، واستخدموها في حروبهم. كما أفاد الفرس من معلومات أسراهم عن بلادهم الأم وبخاصة فنونهم العسكرية إلى درجة "أن الفروق الأولى بين الفن الحربي عند الإيرانيين وعند الروم البيزنطيين قد زالت قليلاً قليلاً حتى صارت النظريات الحربية عند الأمتين واحدة تقريباً ".

٣- الجواسيس :

إتخذ الفرس الجواسيس كعناصر قتالية لكشف خطط العدوّ ونواياه ومعرفة جواسيسه وعيونه، كما كلِّفوا معرفة معارضي الدولة في الداخل وكشف مناوئيها. ويصف تنسر نظام التجسس الذي نظَّمه الفرس الساسانيون بقوله: "إنّ الملك قد نَصَّبَ على أهل المملكة الجواسيس والمُنهين، وإنّ الناس منهم في رعب وحيرة. فاعْلَمْ أنّه لا خوف على الأبرياء والمخلصين من هذا، فإنّ عيون الملك والمنهين إليه لا يُعَيَّنون إلاّ إذا كانوا من الصالحين الأتقياء الأمناء العلماء المتديّنين الزاهدين، ليَصْدُرَ ما يعرضون على الملك عن ثبت ويقين". ويبدو أن نظام الجاسوسية كان ثقيلاً ومخيفًا فجاءت تطمينات الدولة بأن المكلفين هذه المهمة من ذوي الأمانة والضمير الحيّ، يكتبون عن الناس بالحق، وقد عبّر عن ذلك تنسر بقوله: "يجب أن يَتَنَبَّه الملك فلا يستمع لمن لا يعتمد عليه ولا يوثق به".

واهتم ملوك الفرس بجمع المعلومات عن إداراتهم وشرائح شعبهم في مختلف أنحاء فارس، "فكانت الحكومة المركزية ترسل المراقبين يراقبون الإدارات المحلية، وقد دعي هؤلاء عيون الملك وآذانه. فكان المراقبون ينظمون التقارير عن مشاهداتهم، ويرفعونها إلى الإدارة المركزية لدراستها.

وطال نشاط جواسيس الفرس بلاد الروم فقد استفاد الأكاسرة من نصارى إيران ونجحوا في إطلاق بعضهم إلى داخل بلاد الروم وجمع المعلومات عنها، وينقل لنا أحد المؤرخين مشهداًلنشاط أحد الجواسيس قائلاً : "إن عيشوييه، الذي عيّن جاثليقًا برضى الملك، كان مُقَرَّباً جداً عنده وكان يؤدي إليه خدمات طيبة إذ يوقفه على حركات البيزنطيين". وبالمقابل يبدو أن الروم إستفادوا كثيراً من النصارى المنتشرين في فارس إلى حد جعل هرمز ملك الفرس يقول: "لا قِوام لملكنا ولا ثبات له، مع استفسادنا من بلادنا من النصارى وأهل سائر الملل المخالفة لنا".

ج- الإستطلاع :

قام الفرس بعمليات الإستطلاع والإستعلام، وأرسلوا السرايا الإستطلاعية، ليس بهدف القتال فحسب، وإنما بهدف جمع أخبار العدو ومعرفة ما عزم عليه. وكانت مهمة الإستطلاع توكل إلى مقدمة الجيش وطلائعه، وفي هذا السياق يشير الطبري في روايته لمعركة القادسية الى أن رستم قائد الفرس "أمر الجالنوس قائد مقدمته بالتقدم إلى الحيرة، وأمره أن يصيب له رجلاً من العرب. فخرج هو والآزاذمرد سرية في مئة حتى انتهيا إلى القادسية، فأصابا رجلاً... فأختطفاه.

وكان القائد الفارسي يقوم بمهمة الإستطلاع بنفسه في أحيان كثيرة، ويذكر الطبري أن سابور في لقائه بجيش الروم بقيادة لليانوس قرر إستطلاع مقدمة لليانوس بنفسه بعد "أن اختلفت أقاويل العيون في ما أتوه من الأخبار عن لليانوس وجنده، فتنكّر سابور و سار مع ناس من ثقاته ليعاين عسكرهم فوجّه رهطاً ممن كان معه ليتحسسوا الأخبار ويأتوه بها على حقيقتها".

***

د- نظام الدِّفاع عند الفرس:

١- نظام الثغور :

قسّم الفرس بلادهم إدارياً وفق مباديء تخدم نظامهم الحربي. وفي هذا الإطار يشير المسعودي إلى توزيع مسؤولية الإدارة "وتدبير الملك" بين أربعة أصبهبذين "الأول بخراسان والثاني بالغرب والثالث ببلاد الجنوب والرابع ببلاد الشمال".

ومما لا شك فيه أنّ الطابع الجغرافي لتقسيمات المسعودي أوجد في كتاب تنسر ما يفسّره من الناحية العسكرية حين يذكر صراحة أهمية الثغور التي تعيش إشتباكات دائمة مع الأعداء ويحدِّدها "الآن وناحية المغرب وخوارزم وكابل" كما يشير إلى رفعة مكانة أصحابها ومكافأتهم بمنحهم لقب ملك.

٢- نظام النقاط الحصينة :

إهتم الفرس بإقامة الحصون، وبناء القلاع، وترتيب المقاتلة في الثغور، وفق خطة مدروسة تؤمن لهم الدفاع عن الحدود ورد العدوّ في حال اجتياحه البلاد.

وتشير المصادر التاريخية إلى أن شبكة من القلاع والحصون كانت تلفّ حدود فارس، وكان كل واحد بينه وبلد العدو درب وعقبة. ومن الحصون القوية، تحصينات "دربند" أَجَلُّ موانيء بحر قزوين. ويصف قدامة، سور دربند وأهميته العسكرية بقوله:"وأقام أنوشروان لبناء الحائط فبناه وجعله من قبل البحر... إلى أن أَلْحَقَهُ بالجبال. فلما فرغ من بنائه علّق على المدخل أبواب حديد ووكّل بها مئة فارس يحرسون الموضع بعد أن كان محتاجاً إلى خمسين ألفاً من الجند وجعل عليه دبابة". ويشير قدامة إلى حصن قزوين ويسمى بالفارسية كشوين. " وبينه والديلم جبل ولم تزل فيه للفرس مقاتلة من الأسوارية يرابطون فيه ويدفعون الديلم".

وأقام الفرس حصوناً في البحرين، ويذكر الطبري في هذا السياق "المشقَّر وهو حصن حياله حصن يقال له الصّفا، وكان الذي بني المشقر رجلاً من أساورة كسرى".

وكان ملوك الفرس يشحنون هذه الحصون بالمقاتلة، فانتشرت الحاميات العسكرية في هذه النقاط الحصينة من الحدود. ويبدو أنَّ نظام خدمتهم كان قاسياً لارتباطه بحالة الحرب والتوترات الدائمة مع الدول المجاورة لفارس ما أبعدهم عن عائلاتهم مدة طويلة، وهذا ما خلق حركات تململ واضطراب في صفوفهم أضرَّت بالجيش وتماسكه، وعبّر عن هذه الحالة الملك أبرويز في رسالته القاسية إلى أبيه كسرى التي تضمَّنت مضبطة اتهام له شملت إساءته في تدبيره الملك ومنها "تجميره من جُمِّر في ثغور الروم وغيرهم من الجنود، وتفريقه بينهم وبين عائلاتهم".

٣- نظام الدولة الجاهزة :

يتَّفق المؤرخون العرب على قيام إمارة عربية، في الحيرة وراء نهر الفرات، تبعت نهائياً للدولة الساسانية بعد فترة عداء عنيف لقبائل العرب في عهد ملك الفرس "سابور ذي الأكتاف" الذي أفشى فيهم القتل و سفك فيهم من الدماء سفكًا. وانتهز العرب فرصة للإنتقام منه، بمساندة ملك الروم عليه، فاجتمع في عسكر لليانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل.

ويبدو أنَّ قوة العرب العسكرية كانت حاجة لدولة الفرس وعنصراً أساسياً في تنظيم خططهم الدفاعية، فرأى ملوكهم استثمارها لمصلحتهم بحيث تصبح حصن الملك حيال العرب الرحّل. وقد أسدت هذه الإمارة خدمات عسكرية للفرس في حروبهم مع الروم، فكانت كتائبها "الدوسر" و"الشهباء" و"الوضائع" و"الصنائع" "والرهائن" تعمل ضمن سياسة الفرس الحربية، وإستغل أمير الحيرة هذه السياسة فكان يغزو بها بلاد الشام ومن لم يَدِنْ له من العرب. ولعل ما يشير إلى أهمية هذه الإمارة العسكرية في سياسة الفرس الحربية، أن الأكاسرة حافظوا لأمراء الحيرة على لقب ملك أسوة بأصحاب الثغور وحكام ولايات أطراف الدولة وفق ما جاء في كتب المؤرخين نقلاً عنهم: "وكل من يجيء إلينا مقدماً فروض الطاعة لن نخلع عنه لقب ملك ما دام يمضي مستقيماً على طريق الخضوع".

هـ- نظام حصار الحصون :

عرف الفرس فن حصار الحصون وفتحها، وينقل ابن قتيبة عن كتابهم المعروف "بالآيين"، أن أول مبادئ الحصار كان القيام بعمل استخباراتي مرفقاً بحرب نفسية لا ستمالة من يقدر على استمالته من أهل الحصن ليظفر منهم بخصلتين إحداهما استنباط أسرارهم والأخرى إخافتهم وإفزاعهم بهم، وأنْ يدُسَّ بينهم من يُصغِّر شأنهم ويُويِّئسهم من المدد. واستخدم الأكاسرة في عملية الحصار جميع صنوف المقاتلين ووسائل الحصار، وهذا وصفاً حياً لحصار آمد وسقوطها بيد الفرس : " حوصرت المدينة بخمسة صفوف من الجند الدارعين،... وانتشر الفرسان ذوو الدروع وكان مع هؤلاء صفوف من الفيلة". واستخدم الفرس وسائل هندسية خاصة للحصار منها سلالم لتسلّق الأسوار ومواضع ينصب المنجنيق عليها ومواضع تُهيَّئالعرّادات لها ومواضع تُنقبُ نقباً .

و- إدارة المعركة:

١- الحشد :

طبَّق الفرس مبدأ الحشد في حروبهم بحيث كانت الوسائل والقوى متناسبة مع أهداف القتال. ويذكر الطبري في مواضع مختلفة من تاريخه أرقاماً لأعداد جيوش الفرس التي أعدَّت لهذه الحروب، يَشُكُّ الباحث بصحتها بسبب المبالغة بها، منها قوله: "إنّ الملك ازد شير بهمن غزا الرومية في ألف ألف مقاتل". بينما يذكر أعداد جيش الفرس بقيادة رستم الذي واجه العرب في القادسية: "إنّ أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف، معهم ثلاثون فيلاً".

وعرف الفرس أيضًا "النفير العام" في مملكتهم، ولعل هذا النفير كان يطلق عندما كانت تتعرَّض مملكتهم لأخطار دول الجوار مثل الترك والروم والعرب. وكان يشمل الاستنفار قوى فارس وولايات الأطراف. ويذكر الطبري أن سابور (ذا الأكتاف) لما استشعر خطورة الروم باحتلالهم طيسبون كتب إلى من في الآفاق من جنوده يعلمهم الذي لقي من ليانوس ومن معه من العرب، ويأمر من كان فيهم من القواد، أن يُقْدِمُوا عليه في من قبلهم من جنوده، فلم يلبث أن إجتمعت إليه الجنود من كل أُفُق.

٢- نظام الخميس والكراديس :

إعتمد الفرس في حروبهم نظام الخميس والكراديس، فقد ذكر الطبري أنّ قائدهم رستم رتّب جيشه يوم القادسية "مقدمة وطلائع ومجنبتين ومجردة ورجالة". وكانت أقسام هذا الجيش تتألف من كراديس وصف مشهدها الطبري بقوله : "وتكتّبت الكتائب من هؤلاء وهؤلاء"، أقسام هذا الجيش ونظم كل كردوس في صفوف متنوعة فوقفت الخيالة في الصفوف الأولى يليها الفيلة ثم المشاة.

٣- تكتيك الصدم :

إســتخدم الفرس تكتيك الصــدم قديماً في القرن الســادس قبل الميلاد، ونصــف ذلك بأنهم قد حاولوا إنشــاء تكتيك حقيقي للصــدمة بأن وضــعوا في صــفوف القتال عربات مســلحة بالمناجل الطويلة، كما إستخدموا الهجَّانة المسلحة لخرق صفوف العدو وترهيب خيولهم.

و شكَّل سلاح الفيالة في ما بعد دروع جيش فارس في مختلف أقسامه. وكان هذا السلاح حاسماً في المعركة وقادراً على إحداث عنصر الصــدم الذي وصــفه الطبري في عرضــه لمعركة القادســية بقوله: "لمّا تكتّبت الكتائب بعد الطراد، حمل أصحاب الفيلة عليهم، ففرّقت بين الكتائب، فابذعرّت الخيل".

٤- مقر القيادة :

كان قائد الجيش ملكاً أو من يكلّفه بالقيادة، يجلس على سرير يوضــع في قلب الجيش في مكان مناسب، وقد أشار ابن قتيبة إلى ذلك بقوله: "وأن يرتاد للقلب مكاناً مشرفاً ويلتمس وضعه فيه". كما أنه كان يلتفّ حول هذا العرش فرقة من الجند كان عليها أن تدافع عنه حتى الموت.

٥- الكمين :

إعتمد الفرس في القتال نظام الكمائن، ويذكر ابن قتيبة في عيون الأخبار أنه قرأ في "الآيين" وهو كتاب من كتب الفرس، مبادئ الكمين الناجح ويلخصــها بما يأتي: "أن ينتخب للكمين من الجند أهل جرأة... وليس بهم أنين ولا ســعال، ويختار لهم من الدواب مالا يصــهل... ويختار لكمونهم مواضــع لا تغشى... وأن يكون إيقاعهم كضريم الحريق...".

٦- البيات :

هو عمل يهدف إلى الإيقاع بالعدو ليلاً، ويشرــح إبن قتيبة ما دوَّنَهُ الفرس في كتاب الأيين تفاصــيل عملية البيات فيقول: "ينبغي للمبيتين أن يفترصــوا البيات إذا هبَّت ريح... فأنه أجدر ألاّ يُسْــمَع لهم حس. وأن يتوخى بالوقعة نصف الليل. وأن يصير جماعة من الجند وسط عسكر العدو وحوله... وليُعْلَم إنما يحتاج في البيات إلى تحيير العدو وإخافته...". ويشــير الطبري إلى عملية بيات ناجحة نفذها بهرام ملك الفرس في بلاد الترك لقتل خاقان بقوله: "فســار إلى خاق بهرام في العدة الذين كانوا معه، فبيَّته وقتل خاقان بيده".

٧- الأعمال الهندسية :

عرف الفرس عمليات الدعم الهندسي في حروبهم، وتنوَّعت أشكالها في عمليات الدفاع والهجوم كافة. ومن أنواع هذا الدعم، عمليات التجسير التي نُفِّذَت لتسهيل عبور الموانع المائية على جسور عائمة على قوارب وفق ما نقل عنهم بأن "الجيش الإيراني كان يعبر الزّاب على جسرــ من القوارب". ويذكر الطبري أن كسرى أنوشروان "أمر بإعادة كل جسر قُطِع أو قنطرة كُسِرَت"، في إشارة إلى أنّ الجسور كانت خشبية وحجرية. ويصــف الطبري عملية تجســير ميدانية نُفِّذَت في أثناء عمليات القتال يوم القادســية بقوله :"أراد رستم العبور، أمر بسَكْر العتيق بحيال فارس ، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكّرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً ".

ومن الأعمال الهندســية المعروفة لدى فارس "الخنادق"، ويشــير الطبري إلى ذلك ما قاله في وصــفه لوقعة جلولاء عن تخندق الفرس :"فإحتفروا الخندق... خندقوا وتحصنوا في خندقهم". واستخدم الفرس طريقة جديدة لحمايتهم باســتخدام قنافذ حديدية مربعة الرؤوس تلقى على الأرض لتجرح حوافر الجياد. والواقع أنّ الفرس اتقنوا استخدام هذه "القنافذ"، وزرعوها في حقول منظّمة، وأحاطوا بخندقهم الحسك من الخشب إلاّ طُرُقِهم... ورموا حوله حسك الحديد لكي لا يقدم عليهم الخيل.

واستعمل الأكاسرة الموانع الطبيعية لعرقلة تقدم العدو ووقف مسيره فقد كانوا يفتحون السدود في الأراضي التي يخصبها الري، فيغرق الوادي ويوقف تقدّم العدو.

ويبدو أنه كان في جيوش الفرس وحدات متخصِّصة لتقديم هذا الإسناد الهندسي، إستعملها الأكاسرة في بناء الحصون والقلاع والجسور. ويذكر الطبري وحدة الفعلة التي كلَّفها كسرى بناء حصن المشقّر بقيادة أحد أساورته حين نصحه: إنّ هؤلاء الفعلة لا يقيمون بهذا الموضوع إلاّ أن تكون معهم نساء فإن فُعَلْتَ ذلك تمّ بناؤك".

رابعاً: التعبئة النفسية والتوجيه المعنوي:

تعتبر التعبئة النفسية والتوجيه المعنوي أهم عوامل النصر في الحرب. ومن هذا المنطلق عمل أزدشير على إقامة نظام حربي يجعل من المحاربين طبقة مقرّبة منه، وأقدم على تحريض الأمة بشحنة انفعال لإحياء الإمبراطورية الشرقية التي قضى عليها الإسكندر، وحماية حدودها في الشمال والغرب والشرق.

والواقع أنّ ملوك فارس ميّزوا رجال الجيش لأن وظيفتهم القتال، وجعلوهم أعلى درجة من باقي الجماعات، كما ألزموا المهنة أن يؤدوا لرجاله التحية وأن يسجدوا لهم. واتخذ الأكاسرة تدبيراً إستثنائياً في إدارتهم قضى بخلع لقب "ملك" على أصحاب المقاطعات التي كانت في موقع اشتباك دائم مع العدو لتمييزهم عن باقي المرازبة، ومكافأة لهم لدفاعهم عن دولتهم، كما هي حال أصحاب الثغور الأربعة وملوك الحيرة وفق ما جاء كتب التأريخ أنه : "لا يجوز أن يطلق لقب الملك على أحد من غير أهل بيتنا عدا أصحاب الثغور".

وكان كبار القادة في الجيش أحد ركائز تكوين السلطة السياسية في فارس، فقد أعطى القانون حق انتخاب الملك لرؤساء رجال الدين والجيش والكُتّاب. وكان يجري الإنتخاب بأن الملك كان يكتب ثلاث نسخ بخطِّه ويُسلِّم كل واحدة منها إلى رجل أمين يعتمد عليه، يعطي الأولى إلى رئيس الموابذة والثانية لرئيس الكُتّاب والثالثة إلى كبير الأصبهبذين.

ويبدو أنَّ الاكاسرة كانوا واثقين من جيشهم، وبخاصة سلاح الفرسان والأساورة الذين تلقُّوا تربيتهم العسكرية منذ الصغر، ويبلغ مدى الثقة بقوتهم وولائهم وكفاءتهم وإرتفاع معنوياتهم حين يَعْدُل كسرى قائداً من أساورتهيقال له "وهرز"، بألف أسوار، حيث يصفون أنفسهم : "بأن ألف رجل منا يغلبون عشرين ألفاً من الأعداء أياً كانوا".

وكانت معنويات الجيش المرتفعة ترتبط بالنظم والشرائع الفارسية التي سُنّت لتتناسب مع سياسة الدولة الحربية، فنجد أن القانون يبيح تعدُّد الزوجات ذلك أن المجتمعات الحربية في حاجة ماسة إلى كثرة الأبناء، فالذكور منهم ذوو فائدة اقتصادية لآبائهم وحربية لملوكهم. والواقع أنّ هذه السياسة الإجتماعية ساهمت في تكوين المجتمع الحربي في فارس، فهي تبدأ بتنظيم قواعد الإنجاب وتعليم أولاد الطبقات غير الموسرة على ركوب الخيل والرمي بالقوس، ثم إتمام التدريب في المدارس العليا على الجري مسافات طويلة، وركوب الخيل الجامحة، وتَحَمُّل جميع تقلبات الجو القاسية، والعيش على الطعام الخشن، السباحة، وعبور الأنهار من دون أن تبتل ملابسهم ودروعهم.

ومن هذا المنطلق تمت تنشئة مجتمع فارسي يعتز بنفسه، ويتعلَّق بوطنه بقيم وفضائل ومناقبية سجَّلتها كتب التاريخ مقارَنَةً مع اليونان: "أنّ من العسير علينا أن نجد في تاريخهم فارسياً قد استؤجر ليحارب الفرس، على حين أنّ أيّ إنسان كان يسعه أن يستأجر اليوناني ليحاربوا اليونان".

خامساً: معاملة الأسرى:

تضاربت الأخبار حول القواعد التي اتبعها ملوك الفرس وقادتهم تجاه الأسرى الذين وقعوا بين أيديهم في حروبهم مع الأعداء، فكانت تعتمد أحياناً النظرة الإنسانية ومروءة الفروسية، وتبلغ أحياناً أخرى حدود القسوة والعنف والقتل والإبادة.

وفي هذا السياق يحرص يحرص المؤرخون إعطائنا الصورة الراقية والانسانية لسلوك ملوك الفرس في حروبهم فيقول أحدهم نقلاً عنهم : "لم يُنْسَبْ قط لملوكنا القتل والغارة والغدر وسوء الخلق، والكفر بالدّين، فإذا خالف هذا ملكان أو قاما لحماية الدّين، فقطعا دابر أصحاب الفساد بالغارة والقتل، فإنهما لم يجيزا استعباد السبايا ولم يتخذاهم أرقاء بل عمّرا بهم المدن".

لقد أفاد الفرس من الأسرى كطاقة منتجة في الدولة بتوظيف خبراتهم الهندسية في البناء، ويشير الطبري إلى أنّ "خماني" إمرأة دارا "حين أغزت بلاد الروم سبي لها منها بشر كثير وحملوا إلى بلادها، فأمرت من فيهم من بنّائي الروم، فبنوا لها في كل موضع من حيز مدينة اصطخر بنياناً على بناء الروم منيفاً معجباً...". وأشار الطبري أيضاً إلى أنّ سابور "حاصر ملكاً كان بالروم، يقال له اليانوس بمدينة انطاكية، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه وأسكنهم جندي سابور. وذكر أنه أخذ اليانوس ببناء شاذروان تستر، على أن يجعل عرضه ألف ذراع، فبناه الرومي بقومٍ أشْخَصَهُم إليه من الروم".

وأفاد الفرس من أسرى الحرب في استصلاح الأراضي وزرع البور منها أو الأراضي التي أَخْرَبَها الأعداء، ويشير الطبري إلى أن سابور "أسر قيصراً من الروم وأبقى عليه من أفْلت من رجاله، فغرس قيصر بالعراق الزيتون بدلاً مما عقره من نخل العراق ولم يكن يعهد بالعراق الزيتون قبل ذلك". ويضيف الطبري "أنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجندي سابور حتى يرم به ما هدم منها".

إعتمدت دولة الفرس سياسة جديدة في التعاطي مع الأسرى نظراً إلى ازدياد عددهم وحاجة الدولة إلى كفاءاتهم في المجالات الزراعية والصناعية والحربية. وفي هذا الإطار أنشأ الأكاسرة قرى و"مستعمرات" تُنْقل إليها الأمم وأهل البلاد المهزومة ويتم تنظيمها في وحدات عسكرية يستعملها الفرس في حروبهم. ويشير المسعودي الى أن سابور "غزا بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم، فنقل خلقاً من أهلها وأسكنهم بلاد السوس وتستر وغيرها من كور الأهواز فتناسلوا وقطنوا تلك الديار، فمن ذلك الوقت صار الديباج التستري من أنواع الحرير يعمل بتستر والخز بالسوس...".

يضيف الطبري: "أن كسرى أعظم القتل في أمة يقال لها البارز وأجلى بقيتهم عن بلادهم، وأسكنهم مواضع من بلاد مملكته، وأذعنوا له بالعبودية وإستعان بهم في حروبه. وأمر فأُسِرَتْ أمة أخرى يقال لها صول... وأمر بهم فَقُتِلوا، ما خلا ثمانين رجلاً من كماتهم وإستحياهم وأمر بإنزالهم شهرام فيروز يستعين بهم في حروبه. وإن أمة يقال لها إبخز، وأمة يقال لها بنجر، وأمة يقال لها بلنجر، وأمة يقال لها الآن تمالئوا على غزو بلاده، وجّه إليهم جنوداً فقاتلوهم وأصطلموهم ما خلا عشرة آلاف منهم أُسِروا، فأُسْكِنوا أذربيجان وما والاها...".

سادساً: المراسم العسكرية :

إتبعت فارس، كما هو الحال في الجيوش، نظماً للمراسم العسكرية، ووضعت قواعد لتكريم الملوك ومكافأة القادة الأبطال ومعاقبة المنهزمين منهم. وقد خُلِّدَت هذه الإحتفالات في النقوش التي عثر عليها وأهمّها النقوش الساسانية في كردستان شمال قصر شيرين (نقش بايكولي) ومجموعة من الكتابات القصيرة في دربند.

وتحفظ المصادر التاريخية أخبار موكب الملك في أثناء تَحرُّكِه من قصره بمهابة وجلال وقوة، وفي هذا الإطار يصف الجاحظ عُدّة الملك في خروجه لسفر أو نزهة بقوله: "من حق الملك، إذا خرج لسفر أو نزهة أن لا يفارقه... قيود للعصاة، وسلاح لأعداء وحماة يكونون من ورائه وبين يديه...".

وتتوسَّــع كتب المؤرخين في وصــفها لموكب الملك البرتي: "إذا ســار إلى الريف تبعه ألف جمل تحمل أمتعته، ومائتا عربة تحمل سراريه، ألف فارس عليهم الدروع وعدد عظيم من الجند بســلاحهم، إنه يبدو على رأس فرقته يوم المعركة حسن الوجه مديد القامة،... وكان الملك إذا ذهب إلى الصيد أحاط به جماعة كبيرة من حملة الحراب ومن الحرس".

ويصف الطبري أيضاً في موضع آخر مشهداً للمراسم التي تقدم للملك في إستعراضه لحرسه بقوله: "وكان من السُنّة إذا ركب الملك، أن يقف له حرسه سماطين، عليهم الدروع والبيض والترسة والسيوف وبأيديهم الرماح، فإذا حاذى بهم وضع كل منهم ترسه على قربوس سرجه، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود".

وكانت عروض الجيش العسكرية تقام بمناسبات عديدة ومنها الأعياد، ويشير المسعودي إلى عرض أقيم لأبرويز في بعض الأعياد "وقد صُــفَّت له الجيوش والعدد والســلاح، فيما صُــفّ له ألف فيل، وقد أحدق به خمســون ألف فارس دون الرجّالة، فلما أبصرــت به الفيلة ســجدت له فما رفعت رؤوســها ويسـطها لخراطيمها حتى جُذِبَت بالمحاجن". وفي هذا الســياق يســتنتج الباحث ضـخامة هذا العرض وأهميته حيث بلغت الأعداد خمســين ألف فارس عدا الرجالة، بينما صـف ألف فيل، كما يلفت حســن التنظيم والتدريب حين نجد الفرسان تحدق بالملك والفيلة تسجد له.

وكان ملوك الفرس يســتعرضــون جيوشــهم قبل مســيرهم للحرب لإثارة الحمية والتحريض للقتال، ويشـير الطبري إلى أنّ اسـفنديار إبن ملك الفرس بشـتاسـب "تولّى عرض الجند وتمييزهم... ثم سـار بهم نحو عساكر الترك".

ومن الأهمية بمكان الإشــارة الى اســتعراض الأكاسرة للوحدات المميزة التي يتكل عليها في المهمات الصعبة، ويشير كريستنسن "أنه كان للفرسان الأرمن الذين يحاربون تحت الراية الإيرانية موضع رعاية خاصة. وكانوا حين يدخلون المدائن.... يستعرض الملك فرقهم".

سابعاً: المكافآت والعقوبات:

إعتمدت فارس في إدارة جيوشـها نظماً عسـكرية تكافئ المجلّي الذي يسـاهم في صـنع أمجاد الدولة، وتكرّم الرجال الكبار وترفع مراتبهم، كما تُعاقب المسيــء وتُخْفض درجاته. ويشــير الجاحظ في "كتاب التاج" إلى نظام منح المكافآت للذين يقدِّمونَ لفارس بطولات وأعمالاً جليلة، ومن مظاهر ذلك تشريفهم بخلع ملكية فاخرة لأن "من أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً في توكيد مُلْكه،... ومن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فكّ أسير...".

وفق هذا النّظام "تَسَــلَّم القائد الأرمني مانويل من الملك ســابور الثاني تشر ـيفاً خاصــاً خلعة ملكية وفراء من السنور...".

وكان من علامات تمييز القادة منحهم الألقاب وترفيع رتبهم مكافأةً لأعمالهم الباهرة. ويشير الطبري إلى مكانة "مهرنرسي" لدى الملك حين أغزاه بلاد الروم بمهمة لم يكن يقوم بمثلها إلاّ مهرنرسي.. الذي كان معظّماً عند جميع ملوك فارس.. وكان لمهرنرسي ولد أســمه كارد صـاحب الجيش الأعظم، واســم مرتبته بالفراسية (أسطران سلار) وهي مرتبة فوق الأصبهبذ.

وكان ملوك الفرس يمنحون مكافآت للفرق المحاربة بعد الظفر تقديراً لتضحياتها وتشجيعاً لها. ويُروى أنّ أبرويز كافأ فرقة رومية تابعة لموريق ملك الروم بعثها لنصرته بأن فَرَّقَ في جنود الروم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق.

وكان من مزايا التكريم زيارة ملوك الفرس رجالهم وتشريفهم، واعتبر الجاحظ هدف الزيارة من أخلاق الملوك لمن خُصّ بالتكرمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة، فَقَلَّ ملك سأله وزيره أو صاحب جيشه أو أحد عظمائه زيارته إلاّ أجابه إلى ذلك، لا سيما إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادة في المرتبة والتنويه بالذكر. وأما زيارة التعظيم فإنها لا تقع بسؤال ولا بإرادة المزور، وهي أفضل درجات الأشراف.

ولكن زيارات الملوك لرجالهم لم تكن فحسب من باب التشريف والتعظيم والتكرمة، فقد كانت ترتدي صورة تفقُّد أنحاء فارس وفرق الجيوش والأساورة فمن لم يكن له من يسار قوّاه بالدواب والعدّة، وأجرى لهم ما يقوِّيهم.

وكانت ترافق هذه الزيارات إجراءات تعظيم وتكريم للملك ولمن يزورون، فكانت توغر ضياعه وتوسم خيله... ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومئة راجل، فإن رَكِبَ كانت الرجالة مشاة أمامه والرُكْبَان خلفه.

وكانت الإحتفالات العامة بمناسبة انتصار الجيوش قيمة معنوية يستحقها الملك وخاصته ومكافأة لفرق الجيش وقادتها. فإذا ما أتى الملك خبراً بالنصر والظفر، أمر أن يُتَّخَذ له طعام... وأمر الخاصة والعامة بالحضور، وقامت الخطباء أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام الموبذ فتكلَّم، ثم الوزراء، ثم مدَّ الناس أيديهم إلى الأطعمة .

وتبلغ نشوة انتصار الجيوش وعظمة مناسبتها، أن يُخَلِّد ملوك الفرس صور حروبهم وثمرة ظفرهم في لوحات تمثل حفلة استسلام القادة الرومان في استعراض استوحى كريستنسن تفاصيلهمن نقش بغرب مدينة سابور يمثل انتصار ملك إيران، ويبدو سابور ممتطيًا جوادًا ، وأمامه الإمبراطور راكعاً، وعلى اليمين واليسار وقف الفرسان والمشاة الإيرانيون في صفين متقابلين وهم يمثلون الفرق الحربية لمختلف الشعوب بأسلحتهم المتفاوتة.

وبالمقابل، لم تغفل النظم الإيرانية التي شرعت لمنح المكافآت للقادة والفرق العسكرية، أن تسنَّ القوانين لمعاقبة الخائن أو الفا شل والمهزوم منهم. وكان للملوك الا سا سانيين شغف بالعدالة، كما يقول أزدشير: "يجب على الملك أن يكون فائض العدل فإن في العدل جماع الخير وهو الحصن الحصين من زوال المُلْك.

ومن هذا المنطلق إهتم الأكاسرة بتنظيم القضاء وا شترطوا على من يكون في منصب القاضي الإحاطة بعلوم المعرفة بالعلم والدين والشريعة،فالموبذان وهو القيم بأمور الدين ومعناه قاضي القضاة، وهو رئيس الهرابذة ومعناهم القوام بأمور الدين والقضاة والمتصرفون بالأحكام.

وكان القضاء العسكري يشكِّل فرعاً من القضاء، ونشير إلى أن القضاء العسكري قد نيط بقاض خاص هو سپادادور، وُجِدَت أيضاً محكمة عليا تتألف من "المجلس الأعلى"، أي جمعية العظماء رئيسها الموبدان موبد، وهيَ المحكمة التي يظهر أن لها ولاية القضاء في جرائم الخيانة العظمى.

ويبدو أن القضاء العسكري كان محيطاً وجامعاً لقواعد الضبط والربط والتراتبية العسكرية ومرجعاً للعدالة ورادعاً لمن تخوّله نفسه مخالفته. وفي هذا الإطار يفرض القانون على رجال الجيشأن يحترموا أهل الدرجات، وأن يحترموا بعضهم بعضاً وأن يحتشموا، إذ لو ألقي الحبل للناس على الغارب، لإتبع كل منهم هواه.

ويفرض قانون القضاء العسكري عقوبات زاجرة على من يرتكب جرائم العصيان والخيانة والغش، ويعتبر الجريمة بين الفرد والملك حين يعصى أو يخون أو يغش، وكان كل من يعصى الملوك أو يفر من القتال لا يأمن على حياته أبداً. وسنَّ الملك تشريعاً جديداً هو أن يؤخذ من هذه الطائفة بعضهم ويقتل لإحداث الرهبة حتى يعتبر به الآخرون. ولعل أوضح الأحكام ما نفذ بحق القائد الفارسي "بهرام بجوبين" الذيحمل إلى هرمز من الأموال والسلاحبعد إنتصاره على ملك الترك ثم فراره إلى الترك خوفاً من هرمز

نفســه، وقد نُفِّذ حكم الموت بحق بهرام بمؤامرة نفذتها خاتون إمرأة ملك الترك، دسَّــت لبهرام مَنْ قَتَلَهُ. وهناك حُكْمٌ آخر فرض بحق القادة المهزومين حينكتب كسرــى إلى قواد الجند الذين انهزموا أمام هرقل ملك الروم، يأمرهم أن يَدُلّوه على كل رجل منهم ومن أصــحابهم ممن فشــل في تلك الحرب ولم يرابط مركزه فيها، فأحرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه وطلب الخيل لنجاة أنفســهم، ويتضــح من هذه الرواية معرفة القادة بقساوة العقاب وخوفهم على مصيرهم وعلمهم بقرب حتفهم نتيجة للخيانة والتقصير.

ثامناً: الإعلام والرايات:

إتخذ الفرس علماً عظيماً لدولتهم وشعاراً لسلطانهم وصفه الطبري "بالعلم الأكبر الذي كان يسمونه درفش كابيان". ويروي المسعودي أسطورة تؤرخ لإتخاذ هذا العلم بقوله: "إنّه من جلد يأتزر به حداد إسمه كاوك، رَفَعَهُ على رمح معلناً الثورة بوجه طاغية فارسي إسمه الضحاك، وأصبح هذا العلم الذي أخذ من فوطة كاوه علماً لملوك إيران". ويصــف المســعودي هذا العلم بدقة بقوله: "كانت راية الفرس من جلود النمور طولها إثنا عشرــ ذراعًا في عرض ثمانية أذرع. وكانت الراية العظمى مرصّــعة بالياقوت واللؤلؤ وأنواع الجواهر". وكان "درفش كابيان" يرفع حين كان يخوض الجيش معارك فاصــلة، أو تدهم فارس أمور كبيرة تســتدعي خروج الملك على رأس جيشــه، أو يوكل قيادته إلى أحد أبنائه، إلاّ أنّ الطبري يشــير إلى وجود هذه الراية عندما كان هذا الجيش بقيادة أحد القواد الفرس الصــناديد "جوذرز" منذ عصرــ الملك كيخسرــو حين "دفع إليه العلم الأكبر... وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه إلى أحد من القواد قبل ذلك، وإنما كانوا يسيِّرونه مع أولاد الملوك إذا وجَّهُوهم في الأمور العظام".

وفي "القادسية"، نجد يزدجرد يرسل قائده رستم لمواجهة المسلمين ويخاطبه: "أنت رجل أهل فارس اليوم، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يَأْتِهم مثله منذ ولي أزدشير".

ويبدو أنّ "الراية العظمى" كانت شــعاراً من شــعائر الملك، وعلامة خير يســتبشرــ الفرس بوجودها منشورة بين كراديس الجيش بشائر النصر القادم وثبات المُلْكلأن فارس، كما قال المسعودي تتيمّن بها، وتُظْهِرها في الأمر الشــديد. وبالمقابل يؤدّي انخفاض هذه الراية إلى هزيمة الجيش وإهتزاز المُلْك، فلم تمسح هزيمة "بشتاسب" ملك الفرس أمام ملك التركالذي أخذ فيما أخذ العلم الأكبر الذي كانوا يسمُّونه درفش كابيان سوى إنتصار إسفنديار القائد الفارسي الذي إرتجع العلم الأعظم وحمله معه منشوراً. ولعلّه كان الإندثار الأخير لملك فارس حين أُخِذَ هذا "العلم الأعظم" أسيراً لدى العرب إلى غير رجعة من قبل "ضرار بن الخطاب"، فَعُوِّضَ عنها بثلاثين ألفًا، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف، وقتل في ذلك اليوم حول الراية عشرة آلاف.

ويبدو أن الأكاسرة خصَّصوا لكل فرقة في الجيش الفارسي راية، فكان لكل فرقة من فرق الثغور التي يقودها أحد الأصبهبذين علم خاص بها، ويشير الطبري في معرض وصفه لإستعراض "كيخسرو" لجيشه المنتصر على "فرسياب" التركي ومروره أمام رايات فِرَقِهِ وفي طليعتها "العلم الأكبر" الذي دفعه الى قائده "جوذرز" بقوله: "فلمّا وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة، إصطفّت له الرجال وتلقّاه جوذرز وسائر الإصــبهبذين. فلمّا دخل العســكر جعل يمر بعلم علم". ولعل هذا القول يجد تفســيراً لما أشــير إليه عن بعض أوصاف الأعلام والرايات الساسانية: "فهناك علم ملكي على صورة الشمس. كما نجد علماً بصورة أسد. وأسود على صورة الذئب." وبالتالي ليس غريباً أن تكون الأشكال والصور التي رسمت على الأعلام رمزاً للفرق العسكرية، لما توحي به من خصال القوّة والعطاء والشجاعة والسرعة والإحتيال والمكر، وهي بالمطلق صفات عسكرية.

تاسعاً: الإدارة العسكرية:

إعتمدت دولة الفرس نظاماً حربياً قوياً إستند إلى سياسة ملوكهم الذين أحبوا الحرب وورثوا الفكر العسكري من أسلافهم. ويشير المسعودي في عرضه "للسياسات الملوكية" التي نصح بها حكيم فارس "بزرجمهر" الملك "أنوشروان" إلى كلام يرسم بشمولية السياسة العسكرية منها: "إكرام العلماء والأشراف وأهل الثغور والقوادبقدر منازلهم، وإعداد السلاح وجميع آلات الحروب، وإذكاء العيون في الثغور ليعلم ما يتخوف، فيؤخذ له أهبته قبل هجومه". ويؤكد هذه السياسة ما وضعه الملك سابور من صفات عند إختياره عمّاله بقوله: "لا يصلح لسد الثغور، وقود الجيوش، وإبرام الأمور وتدبير الأقاليم، إلاّ رجل تكاملت فيه خمس خصال: حزم وعلم وشجاعة لا تنقصها الملمات، وصدق في الوعد والوعيد، وجود يهوّن عليه تدبير الأموال في حقها".

وإتبع أكاسرة الفرس، في تنفيذ سياستهم الحربية، تأسيس إدارات تعني بمصالح الجند والإشراف على الجيوش التي كانت العامل الدائم في ضمان الإستقرار والدفاع عن الدولة والأرض. وكان "ديوان الجند" الجهاز الذي يعنى بحقوق الجند ومصالحهم، فكان مجموعة سجلات وقوائم بأسماء المقاتلة وذراريهم ومقادير أعطياتهم وتنظيمهم في وحدات وصنوف عسكرية.

ويبدو أنّ المكانة الكبيرة التي يحتلها "ديوان الجند" في دولة الفرس، فرضت على من يتم إختياره أمر "كاتب الديوان" شروطاً ومواصفات عالية ذكر الطبري بعضها في خبر تعيين كسرى "كاتباً لديوان المقاتلة" بقوله: "وكان كسرى ولّى رجلاً من الكتّاب - نابهًا بالنبل والمروءة والغَنَاء والكفاية... لصلاح أمر الملك في جنده".

من البدهي أن تكون معاني صفات كاتب الديوان عند الفرس دقيقة، شاملة وواسعة، فالمروءة تعني حفظ القوانين، وتحرّي الدقة في التنظيم، والحرص على السرية والأمانة والعدالة، وإستيفاء الحقوق، والصبر وكتم الأسرار. أما الكفاية فإنها تتضمّن العِلْمَ بأحكام القوانين ضماناً لمصلحة الجيش، والدراية والخبرة بالجيوش والأسلحة وحلى الجند وشيات الدَواب، والمعرفة الدقيقة بالعروض.

وكان صاحب "ديوان الجند"، أيضاً، من أرفع الناس قدراً وأحسنهم خلقاً، نافذاً في الناس أمره، وعلياً بينهم قدره، شريفاً، صارماً في تطبيق سياسة الجند، وفي الطبري رواية " تمثل بابك بن البيروان الذي ولاّه كسرى ديوان المقاتلة، ووكّل اليه صلاح أمر الملك في جنده. ونادى مناديه أن يحضر الفرسان على كراعهم وأسلحتهم والرجالة على ما يلزم من السلاح. فاجتمع إليه الجند ولم يعاين كسرى فيهم. ونادى مناديه في اليوم الثاني. فلما لم ير كسرى فيهم فأمرهم بالإنصراف. وأمر مناديه في اليوم الثالث فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ما خلا الوترين، فلم يجز عن اسمه وقال له هلمّ أيها الملك كل ما يلزمك من صنوف الأسلحة".

وترتبط قوة دولة الفرس بشكل وثيق بقوة الجيش والمال، ويُعبر عن هذا الواقع بأنه "إذا إفتقرت الرعية، خلت خزانة الملك، ولم يجد نفقة المقاتلة، ويضيع المُلْك". ومن هذا المنظور يصبح المال ركيزة أساسية لبناء الجيوش وقيام الملك،فلا عزّ للملك إلا بالرجال ولا قوام للرجال إلا بالمال.

وليس غريباً أن نجد في ظل هذا النظام الحربي والإداري في فارس قيام علاقة بين "ديوان المقاتلة" وإدارة مالية الدولة، فالمال يشكل العمود الفقري لقيام الجيش وتألّف الجند و سد احتياجاتهم، وصرف رواتبهم، وتأمين وسائل القتال وتحصين الثغور. ولعلّ المعادلة التي أشار إليها المسعودي بين عمارة الأرض أو خرابها، وكثرة أموال الجباية أو قلّتها، وقوة الجند أو ضعفهم، وصيانة الدولة أو هلاكها، ترسم خطاً بيانياً لسياسة الفرس الحربية المستندة إلى سياستهم الضرائبية وهي سياسة "تقوّي الملك بإنتخاب الجنود واجتباء الخراج لأرزاقهم". ويبدو أن أحد ملوك الفرس حاد عن هذه السياسة ما جعله موضع

إنتقاد الموبذ حين خاطبه: "عمدت إلى الضــياع فإنتزعتها من أربابها وهم أرباب الخراج. فقلّت العمارة، وخربت الضـــياع، وقلّت الأموال، وهلكت الجنود والرعية، وطمع في ملك فارس من أطاف بها من الملوك".

من هنا تأتي مسئولية طبقة "الدّهاقين"، في بناء دولة الفرس القوية وجيشهم القادر، وأهمية دورهم كرؤساء وملاك الأراضي والقرى الذينكانت وظيفتهم الأصلية أن يتسلّموا الضرائب وإليهم يعود الفضل بخاصـــة في أن الدولة القليلة الخصـــب قد اســـتطاعت أن تتحمل النفقاتوأن تقدر على الحروب التي تتطلب تكاليف باهظة.

وفي ضـوء هذه السياسـة الحربية، لم يغفل ملوك الفرس إعداد البلاد لمواجهة الطوارئ، والتعامل مع الحوادث المفاجئة. لقد خصــصـــوا احتياطاً مالياً في خزائنهم لتغطية النفقات الحادثة من جراء عدوان مفاجيء على الحدود أو كوارث تصيب الثغور، على نحو ما نقل الطبري عن سياسـة كسرى أنوشروان: "قد رأينا أن تُجْمَع في بيوت أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من ثغورنا، أو طرف من أطرافنا فتق أو شيء نكرهه واحتجنا إلى تداركه أو حسمه ببذلنا فيه مالاً، كانت الأموال عندنا معدّة، موجودة".

عاشراً: مجلس العظماء والأشراف (سلطة القرار):

تذكر المصـــادر التاريخية في معرض سردها لتاريخ الفرس مصـــطلح "العظماء والأشراف"، في أماكن كثيرة، ويبدو أن العظماء والأشراف شكلوا مجلساً لا يجتمع إلاّ لبحث القضايا الكبيرة والمفاصل التاريخية التي تواجه دولة الفرس لإسـداء المشـورة للملك في تدبير المُلْك، وقضـايا الحرب والسـلم. وكان مجلس العظماء والأشراف مؤلفاً، وفق ما ألمح الطبري في ذكره للوفد الذي إلتقى المنذر ملك العرب، من "العظماء وأهل البيوت وأصـحاب الولايات والوزراء لقوا المنذر"، كما يؤكد تاريخياً أن الأشراف والأصحاب ليسوا سوى "الضباط الكبار في الدولة والعظماء يشملون الوزراء ورؤساء الإدارة".

ويبدو أنّ هذ الطبقة كانت تشكّل مجلساً أعلى تطال قراراته أحياناً مقام الملك نفسه، ويذكر الطبري أنه "تعاقد ناس من العظماء وأهل البيوت ألاّ يملّكوا أحداً من ذرِّية يزدجرد لسـوء سـيرته". ويضـيف في موضـع آخر مضـمون مفاوضـاتهم مع ملك العرب المنذر حول هذا الأمر بقوله :"وتكلم عظماء الفرس وأهل البيوت وفَرَشُـــوا للمنذر بكلامهم فظاظة يزدجرد". ويبلغ قرار هذه الطبقة درجة خطيرة حين يطال أمر وجود الملك على العرش لجهة تنحيته عن عرشـــه وحبســـه، ويذكر الطبري: "إنّ العظماء من الفرس هم حبسوا قبّاذ حين اتبع مزدك".

وكان قرار الحرب يؤخذ في إجتماع مجلس حرب يسدي المشورة للملك. ويذكر الطبري عقد مثل هذا الإجتماع لدرس تقديم مساعدة عسكرية طلبها سيف بن يزن بقوله: "وجمع كسرى مرازبته وأهل الرأي ممن يسـتشـير في أمره"، وفي مكان آخر يقول: "إنّ كسرى إسـتشـار وزراءه في توجيه الجند". ويجتمع مجلس الحرب مرة أخرى في عهد هرمز أنوشروان حين إكتنف الأعداء بلاد فارس من كل وجه فإسـتفظع هرمز ما ورد عليه وشاور فيه". ويقول المسعودي في الموقف عينه: "وأحضر الموبذان وذو الرأي".

حادي عشر: السلوك المعتمد أثناء القتال:

نروي عنهم بعض الآداب والســلوكيات التي اتبعها ملوك فارس في حروبهم : "لم ينســب قط لملوكنا القتل والإغارة والغدر، فإذا خالف هذا ملكان، فإنهما لم يجيزا إسـتعباد السـبايا ولم يتخذاهم أرقاء بل عمّرا بهم المدن". والواقع، إنّ في كلامهم شيئاً من الصحة لإستخدامهم الأسرى في أعمال العمران، وإقامة مدن وقرى لهم وإسـتخدام قسـم منهم كوحدات مرتزقة كما ذكرنا، ولكن قلما نجد سـيرة لملك فارسي خالية من القتل والسبي، وينسب إلى سابور بن أزدشير "أنّه أطلق ملك الروم بعد أنْ جدع أنفه وقيل

إنّه قتله". وقيل إنّ سابور نهى جنده عن الإبقاء على من لقوا من العرب. فأفشى فيهم القتل وسفك منهم من الدماء... وإستقرّ في بلاد البحرين يقتل أهلها ولا يقبل الفداء".

وأوصى ملوك الفرس جنودهم بالحيطة واليقظة وعدم الإنصراف عن المهمة إلى جمع الغنائم، ويذكر الطبري أن سابور "نهى جنده عن العرجة عن إصابة مال". وبالمقابل "كان الإيرانيون يحرقون حقول القمح إذا توغّل العدو في أراضيهم لكي يحولوا دون تموينه".

ومن آداب القتال عند الفرس إستدعاء وفد من أعدائهم لمفاوضتهم قبل شروعهم بالقتال، وفي هذ السياق يذكر الطبريأنّ وفوداً من العرب قدمت على يزدجرد، تكلم باسمها النعمان بن مقرن قبل بدء القتال في معركة القادسية. وفي نهاوند أرسل بندار العلج إلى العرب ليطلب منهم : " أنْ أرسلوا الينا رجلاً نُكَلِّمَهُ". ويُعتبر هذا السلوك مفخرة لجيش فارس عبّر عنها بكبرياء وبروح معنوية عاليةَ بقولهم : "إنّ ألف رجل منا يغلبون عشرين ألفًا من الأعداء أيًا كانوا، لأنّ رجالنا لا يبدأون بالعدوان والحرب والقتل".

الخلاصة : عرف الفرس، بنتيجة حروبهم مع الروم والأمم الأخرى المعاصرة لهم نظم القتال ومبادئ الحرب، وأفاد قادتهم من دروس المعارك التي خاضوا غمارها لتحسينها وتطويرها بحيث أصبحت فنون القتال عندهم لا تختلف كثيراً عمّا هو متعارف عليه في عصرنا. لقد تركت دولة الأكاسرة تراثاً عريقاً في الإدارة وتنظيم الجيوش وفن الحرب، أغنت بفضل إحتكاكها بالأمم والشعوب التي كانت على حرب دائمة معها مثل البيزنطيين والترك والهياطلة وغيرهم، وكانت لها بصمات دامغة في تكوين الفن العسكري الإسلامي.

سمات الجانب العسكري في الدولة الفارسية:

كانت قوة الفرس جنوداً قائمة على الخيالة والرماة، وكانت طريقتهم في القتال أن يمطروا العدوَّ سهاماً، ثم يجترفوه بجملة من الفرسان في التوقيت الملائم، وكان لدى الساسانيين فرقة من عشرة آلاف من الفرسان المختارين (فرقة الخالدين)، وفرقة أخرى من الفدائيين تمتاز بالجرأة وتحدي الموت، كما كان الفرس يستخدمون الأفيال في القتال، وكانت الفيلة تتخذ مكانها خلف الفرسان، وكانت أصواتها وروائحتها ومناظرها غير المألوفة لأعدائهم تلقي الرعب فيهم وفي خيلهم؛ فقد كانت لديهم أعداد كثيرة يُلْقُونها في الحروب بلا حساب (فعلى سبيل المثال قد بلغ جيش الفرس بقيادة رستم الذي واجه المسلمين في القادسية مائتي ألف مقاتل).

كما شهدت الإمبراطورية الفارسية تفرقة في المعاملة لرعاياها تبعاً لدينهم، وكان أوَّل اضطهاد حقيقي وقع على نصارى إيران قد بدأ منذ عام ٣٣٩م حتى وفاة سابور الثاني عام ٣٧٩م، وكان ذلك الاضطهاد في ولايات الشمال الشرقي، وفي المناطق المتاخمة للإمبراطورية الرومانية، وقدَّر بعض المؤرخين ضحايا اضطهاد سابور بستة عشر ألفاً، وهم الذين عُرفت أسماؤهم، وكذلك لم يكن أردشير الثاني خليفة سابور مُحبًّا للنصارى؛ لذلك امتدَّ اضطهاد الساسانيين لنصارى إيران مدَّة قرنين متتاليين.

وعلى الرغم من الهدوء النسبي بين نصارى إيران وبين خلفاء أردشير الثاني، فإن الأمور قد عادت إلى سابق عهدها في أواخر عهد يزدجرد الأول (٤٢٠م) الذي عيَّن (مهر نرسي) - عدو النصارى الأول في إيران- رئيساً للوزراء، وما كاد بهرام الخامس يعتلي العرش حتى بدأ في اضطهاد ممنهج ومنظّم لنصارى إيران؛ ممَّا أدَّى إلى فرار النصارى المجاورين للعرب إلى الأراضي البيزنطية، وقد أثار (مهر نرسيّ) القبائلَ العربية الموالية للفرس ضد النصارى، فقُتل عدد لا يُحصى منهم. بل نال الاضطهاد الفارسيُّ بعضَ النبلاء الذين دانوا بالنصرانية، وأفراداً من الأسرة المالكة مثل (بير جشنَسَب) ابن أخي سابور الثاني، والذي دخل النصرانية وسمَّى نفسه بالاسم السرياني (مارسابها) .

العلاقة بين الدولتين الرومانية والفارسية:

كانت حروب الروم والفرس سلسلة من النزاعات بين دول العالم اليوناني الروماني وقائمتين متعاقبتين من الإمبراطوريات الإيرانية: وحكام مملكة بارثيا والساسانيين. بدأت معارك بين الإمبراطورية البارثيةوالجمهورية الرومانية في عام ٩٢ قبل الميلاد؛ حيث بدأت الحروب في أواخر فترة الجمهورية، واستمرت عبر الرومان والإمبراطوريات الساسانية. انتهت هذه الحروب بواسطة الغزوات العربية الإسلامية، والتي هاجمت الساسانيين وإمبراطوريات الرومان البيزنطيين الشرقيين وكان لها تأثير حطم كلتا الإمبراطوريتين عقب فترة قصيرة من انتهاء آخر حرب بينهما.

على الرغم من الحروب التي نشبت بين الرومان والبارثيين/الساسانيين واستمرت لمدة سبعة قرون، فإن الحدود ظلت مستقرة بصورة كبيرة. كانت نتيجة لعبة شد الحبل هذه تعرض المدن والحصون والمقاطعات للنهب والأسر والتدمير والتجارة بها بصورة مستمرة. لم يكن لدى أياً من الجانبين القوة اللوجيستية أو الطاقة البشرية لإبعاد مثل هذه الحملات الطويلة عن حدودهما، ومن ثم لم يستطيعا أن يستمرا لمدة طويلة دون القيام بالتمدد المحفوف بالمخاطر لحدودهما على نحو ضئيل للغاية. وبالفعل، عمل كلا الطرفين على تحقيق فتوحات تتجاوز نطاق حدودهما، لكن كان يتم دائماً استعادة التوازن في نهاية الأمر. لكن تحول ميزان القوة في القرن الثاني الميلادي؛ حيث تحول مساره بطول شمال نهر الفرات، وهو المسار الجديد نحو الشرق أو الشمال الشرقي لاحقاً، وذلك عبر بلاد النهرين حتى وصوله إلى نهر دجلة في الشمال. وكانت هناك أيضاً العديد من التحولات الضخمة في أقصى الشمال، وذلك في أرمينيا والقوقاز.

وثبت في نهاية الأمر أن استهلاك الموارد خلال الحروب الرومانية الفارسية كانت كارثية بالنسبة لكلتا الإمبراطوريتين. أنهكت الحروب الطويلة والمتصاعدة خلال القرنين السادس الميلاديوالسابع الميلادي كلتا الإمبراطوريتين وجعلتهما معرضتين لمواجهة الظهور المفاجئ والتوسع على أيدي دولة الخلفاء، الذين غزت قواتهم كلتا الإمبراطوريتين بعد سنوات معدودة فقط من انتهاء الحرب الرومانية الفارسية الأخيرة. مستفيداً من حالة الضعف التي أصابت كلتا الإمبراطوريتين، قامت الجيوش العربية الإسلامية على نحو سريع بفتح الإمبراطورية الساسانية بأكملها، وحرم الإمبراطورية الرومانية الشرقية من مقاطعاتها في الشرق، القوقاز، مصر، وباقي شمال إفريقيا. على مدار القرون التالية، خضعت معظم مناطق الإمبراطورية الرومانية الشرقية للحكم الإسلامي.

أمثلة لأشهر الحروب بين الفرس والروم:

كانت دولتا الفرس والروم تقتسمان السيطرة على معظم العالم المأهول ووقتئذ كانتا ككل قوتين عظيمتين متجاورتين كثيرتي الاحتكاك بعضهما ببعض لذلك فقد قامت حروب طويلة متعددة بين الفرس (الفرثيون ومن بعدهم الساسانيون) وبين الرومان ، حيث كانت الدولتان الفارسية والرومانية في هذه الفترة – قبل ظهور الإسلام -فرسي رهان يتسابقان على زعامة العالم، وفي إطار هذا التنافس حدثت سلسلة من الحروب الدامية بينهما، وقد راح ضحية هذه الحروب الآلاف من أبناء الدولتين من دون جريرة؛ فقد كان الجنود عبيداً ليس أمامهم إلا الإنصياع لأوامر ورغبات الحاكم الجامحة الطامعة، ولم تكن هناك أي رسالة للحاكم أو الجيش اللهمَّ توسيع مساحة الأرض المملوكة .

ولعلَّ من أشهر الحروب والمعارك التي خاضتها الدولتان في هذه الفترة المعارك التالية:

- معركة دارا :

التي وقعت في عام ٥٣٠م، التي كانت قبل مولد الر سول صلى الله عليه و سلم بأربعين عاماً تقريباً ، وفيها تقابلت الجيوش الفارســية والجيوش البيزنطية في شــمال ســوريا، وبعد قتال مرير اســتطاع البيزنطيون هزيمة الفرس، وكســب هذه الجولة من الجولات الحربية الدامية التي كانت مشــتعلة بين الدولتين .

- معركة مالاطيا :

التي وقعت في عام ٥٧٤م بعد مولد الر سول صلى الله عليه و سلم بثلاثة أعوام، وتعتبر هذه المعركة من أكبر معارك القرن الســادس الميلادي، وفيها اصــطدمت جيوش الفرس بقيادة أنوشروان مع الجموع الكبيرة التي حشــدها البيزنطيون ليدافعوا عن بيزنطة، وفي هذه المعركة -أيضــاً - انهزم الفرس، وفرَّ أنوشروان من المعركة.

- معركة أركسامون :

التي وقعت في عام ٦٠٥م في منطقة تقع بين أورفه والنزيب شمال سوريا، والتي التقت فيها جيوش الفرس بقيادة كسرى الثاني بارويز بالجيش البيزنطي، فقد استطاع الفرس أن يُلحِقوا بالروم هزيمة كبيرة، ولكنها لم تكن حاسمة.

فهذه أمثلة لبعض الحروب التي وقعت بين الفرس والروم بحثاً عن الزعامة والاستئثار بثروات العالم.

والملاحظ في كل هذه الحروب أنه لم يكن هناك اهتمام بالمرَّة براحة أو أمان الجنود؛ بل اعتاد الفرس أن يربطوا جنودهم في المعارك بالســلاســل، ليمنعوهم من الفرار! وقد شــاهد المســلمون ذلك بأعينهم في أكثر من موقعةٍ مع الفرس، لعلَّ من أشــهرها موقعة الأبلة ، التي كان المســلمون فيها تحت قيادة البطل الإسلامي الفذِّ خالد بن الوليد رضي الله عنه، وفيها انتصر المسلمون، وعُرفت الموقعة باسم "ذات السلاسل" ؛ لأن الفرس كانوا يربطون كل عشرة من الجنود في سلسلة؛ لكي لا يفروا وفعل الروم ذلك أيضاً.



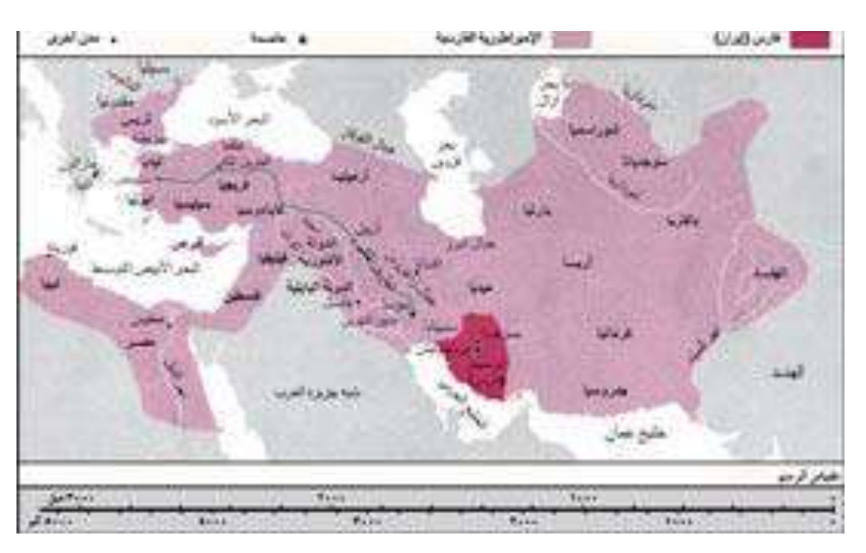
روما وبارثيا والإمبراطورية السلوقية في عام ٢٠٠ قبل الميلاد. ما لبث أن غزا كل من الرومان والبارثيين المقاطعات الخاضعة لسيطرة السلوقيين، وأصبحتا أقوى دولتين في غرب آسيا.

نظام الحكم في الامبراطورية الفارسية:

كان نظام الحكم كسروياً مطلقاً، يقف على رأسه الملك، ولقبه كسرى، وصلاحياته مطلقة, وأحياناً يوصف بصفات الألوهية، فكسرى أبرويز وصف نفسه بالرجل الخالد بين الآلهة، والإله العظيم جداً بين الرجال، مما يدل على الغرور والتعاظم، في حين وصفه المؤرخون بالملك الحقود المرائي الجشع الرعديد. وبينوا اهتمامه الكبير بجمع أكوام الذهب والفضة والجواهر التي ملأت خزائنه عن طريق المظالم التي استغل بها بؤس رعيته. وكان يلجأ إلى المنجمين والكهان والسحرة لاستشارتهم في اتخاذ قراراته المهمة .

حكمت الإمبراطورية الأخمينية مجالس جيدة التنظيم (حوالي ٥٥٠-٣٣١ق.م). وقد تم تقسيم الإمبراطورية إلى ولايات تسمى المرزُبانيات ، كل مرزبانية يحكمها موظف يسمى المرزبان . وحكام المرزبانيات عاشوا كملوك صغار . ولكن الشاهان شاه – أو ملك الملوك – الذي حكم الإمبراطورية من فارس كانت له السلطة المطلقة والنهائية . وقد نظم الملوك القوانين في مختلف أجزاء الإمبراطورية ، وسيطرت الحكومة المركزية على الجيوش في الولايات . وكان هناك جهاز سري أطلق عليه الإغريق عيون وآذان الملك يُخبر الملك بالأحوال في كل أنحاء الإمبراطورية .

احتفظ الفرس في ظل الفرثيين (البارثيين) (١٥٥ ق.م – ٢٢٥م) والساسانيين (٢٢٤-٦٤١م) بمنصب ملك الملوك الصغير . وقد كان بعض هؤلاء الحكام الفرس أقوياء ، على حين أن بعضهم الآخر كانوا ضعافاً . ومارس النبلاء المحليون سلطات عظيمة خلال فترة الفرثيين . ووجدت هيئة دينية قوية تابعة للدولة خلال فترة الساسانيين . وقد عمل رجال الدين في مناصب مدنية مهمة ، لكن الدين والدولة ظلاً منفصلين .



الإمبراطورية الفارسية خلال القرن السادس قبل الميلاد

الحياة الاقتصادية:

احتكر الأقوياء الثروة ومصادرها، وانهمكوا في مباهج الحياة وملذاتها، وزادوا من ثرائهم بالربا الفاحش والمكوس والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الضعفاء من الفلاحين والعامة، فزادوا فقراً وتعاسة، وحرّموا على العامة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه، وكان العامة من سكان المدن يدفعون الجزية كالفلاحين, ويشتغلون بالتجارة والحرف, وهم أحسن حالاً من الفلاحين الذين كانوا تابعين للأرض، ومجبرين على السخرة, ويجرّون إلى الحروب بغير أجر ولا إرادة. وكانت

الجباة للضرائب لا يتحرزون من الخيانة واغتصاب الأموال في تقدير الضرائب وجبايتها، وكانت الضرائب تفرض بصورة اعتباطية وخاصة وقت الحروب.

كان الفرس الأوائل مزراعين يربون الحيوانات ويزرعون الحبوب . وقد كانت الصحاري تغطي معظم المناطق الرتفعة . وقد طور الفلاحون وسائل الري لزراعة القمح والشعير والشوفان والخضروات ، واستخدموا القنوات المحفورة تحت الأرض لتجنب التبخر الذي تسببه الشمس الحارقة ، كما جلبوا المياة من الجبال من بُعد أكثر من ١٦٠كم إلى الأودية والسهول . كان بمرتفعات فارس حتى حين فتحها الإسكندر المقدوني ، عدد قليل من المدن الكبيرة . ويلاحظ أن الحرف تطورت بعد إنشاء المدن، وأصبحت ثناعة الخزف والنسيج وأعمال التعدين في النحاس والحديد والذهب والفضة مهمة . وأصبحت الأواني الخزفية والمعدنية أكثر أهمية من الأسلحة وأدوات الحرب والزراعة. وقام الخزافون والنساجون بصناعة الخزف والملابس والسجاد للناس.

حملت القوافل التجارية البضائع من مختلف أنحاء العالم عبر إيران إلى البحر الأبيض المتوسط . واشتملت السلع التجارية المهمة على الأحجار الكريمة وشبه الكريمة وعلى التوابل . وقد افتتح طريق الحرير إلى أواسط آسيا والصين ربما حوالي القرن الثاني قبل الميلاد . وقد أدت الطرق التجارية من بلاد الرافدين إلى الشرق الأقصى إلى فتح أواسط فارس كما جابت الصحراء الوسطى .

ربطت طرق أخرى الشرق بالهند والشمال بجبال القوقاز والبحر الأسود . وقد عبّد الفرس الطرق بين المدن المهمة في امبراطوريتهم ، وكان أكثرها شهرة الطريق الملكي الذي كان يربط ساردس في غربي آسيا الصغرى بسوسا بالقرب من الخليج العربي . وقد استخدم الفرس هذه الطرق لإيصال البريد السريع بتناوب الخيالة .



عملات فارسية : الهملة الأخمينية (على اليمن) ضربت في القرن الخامس قبل الميلاد والعملة الساسانية (على اليسار) ترجع لحوالي عام ٤٠٠م

الحالة الدينية والفكرية:

وعلى الرغم من التقدُّم الحضاري والعسكري الذي وصلت إليه الدولة الساسانية -وهو الأمر الذي أحدث توازناً إقليميّاً مع الإمبراطورية الرومانية- فإن الوضع من الناحية الدينية كان متعسِّفاً لأقصى درجة.

لم يعرف الفرس الديانات السماوية التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود جداً، وكان أكثرهم على المجوسية, فمنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزرادشتية ديناً للدولة وقد اتخذتها الدولة الساسانية ديناً رسمياً لها منذ بدايتها , كان هذا الدين قائماً على عبادة النار، وتقسيم العالم إلى عالم للظلمة وآخر للنور، وقال: إن نور الله يسطع في كل ما يشرق ويلتهب في الكون، وأمر بالاتجاه إلى جهة الشمس والنار ساعة الصلاة؛ لأن النور -في زعمه- رمز للإله، وأمر بعدم تدنيس العناصر الأربعة؛ وهي: النار والهواء والتراب والماء، ثم جاء من بعده علماء سَنُّوا للزرادشتيين شرائع مختلفة، فحرَّموا عليهم الاشتغال بالأشياء التي تستلزم النار، فاقتصروا في أعمالهم على الفلاحة والتجارة، ومن هذا التمجيد للنار واتخاذها قبلة في العبادات تدرَّج الناس إلى عبادتها، حتى صاروا يعبدونها عيناً، ويبنون لها هياكل ومعابد، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار، وجُهلت الحقيقة، ونسي التاريخ . وقد تدهورت أخلاق رجال الدين الزرادشتي فوصفوا بالارتداد والحرص والاشتغال بحطام الدنيا, ولما كانت النار لا توحي إلى عبَّادها بشريعة ولا ترسل رسولاً، ولا تتدخَّل في شئون حياتهم، ولا تعاقب العصاة والمجرمين، أصبحت الديانة عند المجوس عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدُّونها في أمكنة خاصة، وفي ساعات معينة، أما في خارج المعابد، وفي دورهم ودوائر حكمهم وتصرُّفهم، وفي السياسة والاجتماع، فكانوا يسيرون على هواهم، وما تملي عليهم نفوسهم، أو ما يؤدي إليه تفكيرهم، أو ما توحي به مصالحهم ومنافعهم، شأن المشركين في كل عصر ومصر.

وعندما صار الأمر هكذا يُباح فيه كل شيء لأي أحد؛ أصبح أساس الأخلاق متزعزعاً مضطرباً، فصارت المحرماتُ النسبية -التي تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة- موضعَ خلاف ونقاش، ويذكر ول ديورانت في قصة الحضارة أن الأخ كان يتزوج أخته، والأب ابنته، والأم ولدها، حتى إن يزدجرد الثاني الذي حكم في أواخر القرن الخامس الميلادي تزوج ابنته ثم قتلها، وإن بهرام جوبين الذي تملَّك في القرن السادس كان متزوجًا بأخته. ولم يكن هذا الزواج يُعَدُّ معصية عند الإيرانيين، بل كان عملاً صالحًا يتقرَّبُون به إلى الله، ولعلَّ الرحالة الصيني (هوئن سوئنج) أشار إلى هذا الزواج بقوله: "إن الإيرانيين يتزوجون من غير استثناء".

ثم ظهر ماني في القرن الثالث الميلادي، فدعا إلى حياة العزوبة لحسم مادة الفساد والشرّ من العالم، فحرَّم النكاح استعجالاً للفناء، وانتصارًا للنور على الظلمة -كما يدَّعِي- بقطع النسل، ثم قتله بهرام سنة ٢٧٦م قائلاً له: أنت الذي تقول بتحريم النكاح ليستعجل فناء العالم ورجوع كل شكل إلى شكله وأن ذلك حق واجب . فمن الحقِّ الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذي تدعو إليه وتُعان على إبطال هذا الامتزاج المذموم . ولكن تعاليمه لم تمت بموته، بل عاشت إلى ما بعد الفتح الإسلامي.

ثم حدث انقلاب أخلاقي جديد أشدُّ فساداً من انحرافات ماني؛ حيث ظهر مزدك الذي وُلد ٤٨٧م، فأعلن أن الناس وُلِدوا سواء لا فرق بينهم؛ فينبغي أن يعيشوا سواء لا فرق بينهم، ولما كان المال والنساء مما حرصت النفوس على حفظه وحراسته كان ذلك عند مزدك أهم ما تجب فيه المساواة والاشتراك. قال عبد القاهر البغدادي: "المزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا أن الناس شركاء في الأموال والنساء، ودامت فتنة هؤلاء إلى أن قتلهم أنوشروان في زمانه" .

وقال الطبري: "افترص السفلة ذلك واغتنموا، وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم، فابتلي الناس بهم وقوي أمرهم، حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره فيغلبونه على منزله ونسائه وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم، وحملوا قباذ على تزيين ذلك وتوعدوه بخلعه -أي إن لم يفعل- فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى صاروا لا يعرف الرجل ولده، ولا المولود أباه، ولا يملك شيئًا مما يتسع به". هذا الوضع دفع كسرى قباذ إلى أن يناصر هذه الدعوة الفاسدة، بل ينشط في نشرها وتأييدها، حتى انغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات.

وحاول كسرى الثاني تجديد الزرادشتية وإحياء معابد النيران ونشر تفسير جديد لكتابها الآفستا وكانت عقوبة من يخرج عليها الإعدام.

المعتقدات:

اعتقد قدامى الفرس بآلهة من الطبيعة كالشمس والسماء . واعتقد الناس أن لآلتهتهم قدرات اجتماعية ، فعلى سبيل المثال إللههم إله الضوء عندهم يعتقدون أنه يتحكم في العقود . ولم يكن لدى الفرس معابد وإنما كانوا يؤدون الصلاة ويقدمون القرابين في الجبال .

قام الحكيم زرادشت الذي عاش خلال الفترة ما بين القرنين الخامس عشر والحاي عشر قبل الميلاد بإدخال تعديلات في عقيدة الفرس المجوسية والتي تقوم على الثنوية أي وجود إلهين في الكون هما إله النور وإله الظلام ، وتعتمد – كما في كتابهم الزندآفستا – على وجود معبودين هما آهورامازدا (إله الخير) وأهريمان (إله الشر) وهما يتنازعان السيطرة على الكون، ويقف البشر الأخيار مع إله الخير، والأشرار مع إله الظلام . وقد حث زرادشت الناس على التمتع بمباهج الياة المادية وحضهم على الأخلاق الفاضلة لينصروا أورامازدا على أهريمان فينصرهم في صراعه الدائم معه .

وتقدس الزرادشتية النار، وقد أقيمت معابد النيران في أرجاء الدولة، ويعرف رجال الدين الزرادشتيون بالموابذة وكل منهم يرأس مجموعة يسمون الهرابذة وهم الذين يخدمون نار المعبد في كل قرية.

نشر أتباع زرادشت تدريجياً هذا المعتقد في كل أنحاء فارس . توجد تعليمات زرادشت في كتاب غاتها (الأناشيد) وهو جزء من كتاب ديني يسمى أفستا .

الحالة الاجتماعية والأخلاقية:

كانت الحياة الاجتماعية في إيران تقوم على عمادين: النسب والملكية، فكان يفصل النبلاء عن الشعب حدود محكمة، وكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة، وكان من قواعد السياسة الساسانية المحكمة ألا يطمع أحد في مرتبة أعلى من المرتبة التي يخولها له مولده. وتقوم الأسرة على أساس تعدد الزوجات، وشاع بينهم الزواج بين المحارم، وكان وضع المرأة يشبه وضع الرقيق حيث بإمكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها، كما شاعت عادة التبني للأولاد.

طريقة المعيشة:

كان الشعب في المجتمع الفارسي يخضع لنظام شديد الطبقية، وفيه مهانة كبيرة للإنسانية، فكان المجتمع مقسماً إلى سبع طبقات أدناها عامة الشعب، وهم غالب سكان فارس، ومنهم العمال والفلاحون والجنود والعبيد، وهؤلاء ليس لهم حقوق بالمرة.

وكان بين طبقات المجتمع هوة واسعة لا يقوم عليها جسر، ولا تصل بينها صلة ، وكانت الحكومة تحظر على العامة أن يشتري أحد منهم عقارًا من أمير أو كبير، وكان من قواعد السياسة الساسانيةأن يقنع كل واحد بمركزه الذي منحه نَسَبُه، ولا يستشرف لما فوقه، ولم يكن لأحد أن يتخذ حرفة غير الحرفة التي خلقه الله لها - في زعمهم، وكان ملوك إيران -أو فارس- لا يولُّون وضيعاً وظيفة من وظائفهم، وكان العامَّة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تميزاً واضحاً، وكان لكل واحد مركز محدد في المجتمع.

وكان في هذا التفاوت بين طبقات الأمة امتهان للإنسانية يظهر جليّاً في مجالس الأمراء والأشراف؛ حيث يقوم الناس على رءوس الأمراء كأنهم جماد لا حراك بهم .

السكان:

توضح المنحوتات القديمة أن الفرس كانوا وسيمي الطلعة ، ذوي أنوف طويلة ومستقيمة . وقد ارتدى وجهاء الفرس والموسرون منهم أثواباً طويلة سميت فيما بعد القفاطين ولبسوا المجوهرات والشّعر المستعار .

عاش معظم الناس العاديين في أكواخ من الطين شبيهة جداً بالأكواخ التي يعيش فيها سكان الأرياف اليوم في إيران . أما النبلاء والملوك فقد ابتنوا البيوت الكبيرة والقصور من الحجر ، ومازالت بقايا هذه المباني موجودة حتى اليوم .

تبنى الفرس كثيراً من عادات العيلاميين الذين هزموهم من قبل . ولكنهم احتفظوا بكثير من تقاليد القبائل الرُحل . فقد علّموا أولادهم مثلاً ركوب الخيل ورمي السهام وقول الحق . ويعد الفرس الكذب والاستدانة مذمة .

تشكلت الأسر الفارسية المبكرة في عشائر تكونت منها القبائل بعد نمو الإمبراطورية ، بدأت تختفي الوحدات الاجتماعية الأكبر من الأسرة . وقد كان تعدد الزوجات عندهم مألوفاً . وكان الملك يختار زوجاته من بين الأسر الأرقى اجتماعياً فقط . وقد كانت نساء الحكام يعشن في اجنحة خاصة يعيش فيها جميع نساء الأسرة .

اللغة والأدب :

تحدث الفرس القدماء الفار سية القديمة وهي لغة هندو- أوروبية لها صلة باللغة السنسكريتية في الهند وباللغة الفار سية الحديثة . اتخذ الفرس نظاماً مسمارياً للكتابة (الكتابة المسمارية) . لكن النظام المسماري استخدم في المخطوطات الملكية فقط ، لأن عدداً قليلاً من الناس استطاعوا قراءته . واستخدم الفرس الآرمية واسعة الاستعمال في سوريا وفلسطين وبلاد الرافدين ، واستطاع الفرس نقلها إلى الهند وآسيا الوسطى وآسيا الصغرى (تركيا حالياً) ، كما كانت الآرمية واللغات المحلية تستخدم في مختلف أجزاء الإمبراطورية الفارسية .

يعرف القليل عن أدب فارس القديمة ، ولكن القصص حول الأبطال القدماء مازالت موجودة ، وربما ساعد في بقائها المغنون ، وتداولها في القصص الشعبي .

الفن والعمارة :

كان الفن والعمارة في فارس القديمة مزيجاً فريداً من الثقافات اليونانية والمصرية والبابلية وغيرها من الثقافات . وقد وجدت بقايا القصور الملكية الضخمة في بسارغادا وبرسيبوليس وسوسا وهي ما يعرف اليوم بإسم إيران . كذلك وجدت الكؤوس والصحون وغيرها من الأشياء التي صنعت من الذهب أثناء وجود الإمبراطورية الفارسية . وبعد أن فتح الإسكندر المقدوني بلاد فارس أصبحت الفضة أكثر شعبية حيث وُجد الكثير من القطع الفنية الفضية . ويلاحظ أن الكثير من المتاحف تعرض المنسوجات والسجاد والفخار الفارسي .



كأس للشرب استعملها ملك أو أحد النبلاء

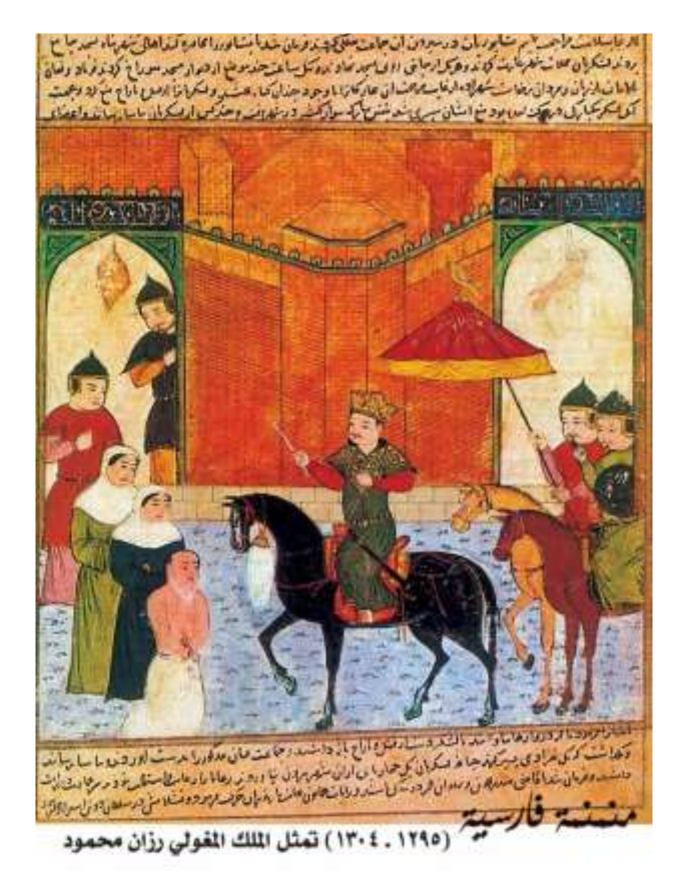


رأس فارسي من البرونز صنع في الألف الثاني قبل الميلاد

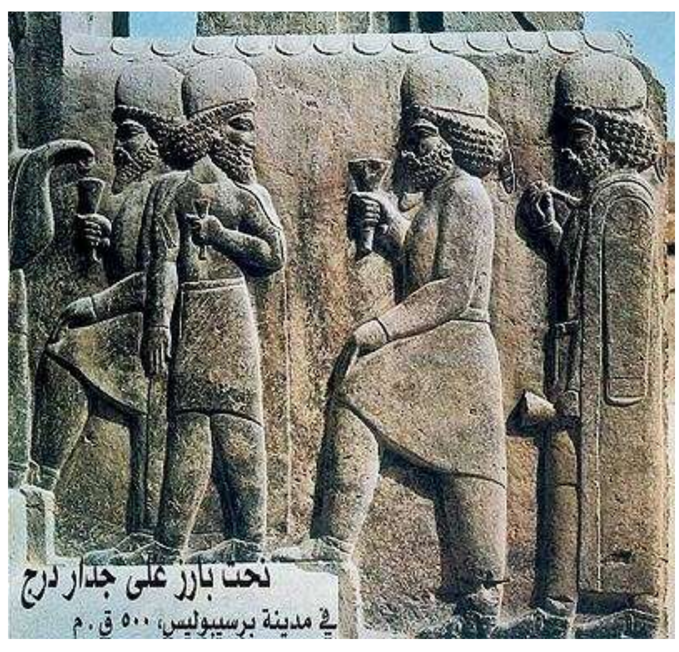
انتصار شابور (شاهبور) الأول امبراطور فارس (٢٦٠م) على الرومان







منمنمة فارسية (١٢٩٥ ـ ١٣٠٤) تمثل الملك المغولي رزان محمود



نحت بارز على جدار درج
في مدينة برسيبوليس، ٥٠٠ ق.م



إناء من الذهب يمثل رأس كبش من كنز الزوية
(القرن السابع ق.م)



قرص الشمس المجنح يضفي شرعية الملك الفارسي الذي يهزم اثنين من شخصيات بلاد النهرين



برسيبوليس عاصمة الإمبراطورية الأخمينية في شيراز ايران ويعني اسمها مدينة فارس



أغرب المدن الفارسية القديمة





جذور النزعة الفارسية المعادية للعرب



عمود حجري في برسيبوليس





المراجـــع

- تاريخ الطبري – محمد بن جرير الطبري
- تاريخ الرسل والملوك – من بيعة الحسن بن علي - الطبري
- تاريخ الفرس للطبري والفردوسي
- في عيون الأخبارابن قتيبة
- الشرق الأوسط الحديث : تاريخ سياسي منذ الحرب العالمية الأولى للمؤلف مهران كامراوا
- Persian literature, Encyclopædia Britannica: ٢٠١١ retrieved Sept.
- U.S. Central Intelligence Agency (٢٠٠٨-٠٤-١٥). "CIA - The World Factbook -- Iran". U.S. Central Intelligence Agency

الفهـــــــرس